

أسرار حج والزيارة

السيد عادل بن السيّد علي العلوي

الإهداء

إلى أنبياء الله وأوصيائهم وورثتهم من العلماء الصالحين إلى أمير الحاج في كل موسم . إلى من يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً...

إلى قطب عالم الامكان ، صاحب العصر وإمام الزمان ، المهدي المنتظر والموعود من آل محمّد : مولانا وإمامنا الحجة بن الحسن العسكري ٧ عجل الله فرجه الشريف .

إلى حجاج بيت الله الحرام ، وزوّار قبر رسول الله محمد ٦ وفاطمة الزهراء ٣ وقبور الأئمّة الطاهرين : وصحابة النبي المكرّمين في غرقد البقيع ، والطيبين في مقبرة المعلّى في مكة المكرّمة .

أقدم هذا المجهود المتواضع (أسرار الحجّ والزيارة) برجاء القبول والدعاء والشفاعة .

عبدكم

عادل بن السيّد علي العلوي

الحوزة العلمية - قم المقدّسة (١٤٣٠ هـ)

المقدمة

الحمد لله الذي جعل كلمة (لا إله إلا الله) حصنه الحصين ، فمن دخله كان آمناً، وجعل بيته العتيق هدىً ومباركاً وقياماً ومثابَةً للناس ، فمن دخله كان آمناً، وجعل زيارته والطواف حوله توبةً وحباً وحجاباً بين العبد وبين العذاب المهين .

والصلاة والسلام على نبي الرحمة المصطفى الأمين محمد سيد الأنبياء وخاتم المرسلين ، وعلى آله المعصومين الطاهرين ، قادة الحق وسادة الخلق أجمعين ، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم من الآن إلى قيام يوم الدين .

إن الحمد والشكر لله

(أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ويتجلى إسمه الربوبي (الرَّب) في تربية خلقه ، وقد عيّن سبحانه لعباده منذ أن خلق آدم ٧ وإلى يوم القيامة سلسلة من العبادات الجسميّة والروحية ، ووظائف دينية وأخلاقية ، تهدف إلى تربية الانسان وصنعه إلهياً، يستخلف الله في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فيصل إلى كماله اللائق له ،

بما أودع فيه من أسرار كونه الطبيعي وما وراء الطبيعة ، فالانسان في ضلّ هذه العبادات والأخلاقيات وتطبيقها في نفسه مع ربه ومع المجتمع والطبيعة يستطيع الوصول إلى الكمال المودع فيه ، والذي خلق من أجله ، ويحصل على نصيبه الأوفر وحظّه الأكبر من اللذائذ المعنوية والروحية في عالمي الملك والملكوت ، أو الدنيا والآخرة ، أو الغيب والشهود.

وإذا كان الانسان أسير هواه وذليل نفسه الامارة بالسوء، أحاطت به سوء أعماله ومساوى أخلاقه ، فمارس القبائح وإرتكب الذنوب وإتصف بالمساوى ، فستظل قواه

المعنوية والروحية رهين عالم الاستعداد والقوة ، ولم يخرج إلى عالم الفعل والحيوية ، وسيظل عاجزاً عن إدراك اللذائذ العقلية والمعنوية والروحية ، لأنه يفقد الشبه والنسخية مع عالم المعنى والملكوت ، فهو أشبه بالرجل الأمي القروي الذي يوضع في مكتبة عامرة بنفائس المخطوطات ، وأمّهات الكتب في مختلف العلوم والفنون البشرية ، فهل يستفيد هذه الرجل من هذه المكتبة؟!

ثم إنَّ خلق الخلائق لم يكن عبثاً ولهواً إذ يتنافى ذلك مع كلمة الخالق ولطفه وعلمه (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [1] .

ثم المقصود في نفع خلق الخلق وخلق الانسان بالخصوص ، لا يرجع إلى الخالق سبحانه ، لغناه في ذاته ، ولصمديته ، وإنما يرجع إلى الانسان نفسه من بلوغ قمة الكمال والجمال والجلال .

قال أمير المؤمنين ٧ في مقدمة خطبة همّام : «إنَّ الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم ، آمناً من معصيتهم ، لأنه لا تنفعه طاعة من أطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه» .

ولقد تأسست مدارس ومذاهب لتربية الانسان ، والأخذ بيده لإيصاله إلى كماله ، إلا أنهم وقعوا في إفراط وتفریط لجهلهم بحقيقة الانسان في تكوينه الجسدي والروحي ، ولكن سبحانه وتعالى لم يتركهم من دون أن يبين لهم السبيل طريق الحق وطريق الباطل ، فقد أرسل الرسل وبعث الأنبياء وأنزل الكتب ، ولأنه أعرف بواقع مخلوقه الذي تمدح بخلقه بقوله تعالى : (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) [2] لقد خلقه في أحسن تقويم ، علّمه ما لم يعلم ، وهدّبه وربّاه بأوامره

ونواهيه ، بما فيها من المصالح والمفاسد .

فالأنبياء والأوصياء ومن يحذو حذوهم من ورثتهم العلماء الصالحاء ، قرّروا بما جاء به الله سبحانه بأنّ طريق تكامل الانسان هو العبودية لله عزّ وجلّ ، ولا سبيل إليه

غيرها، وأنَّ العبوديَّةَ لله جوهره كُنْهها الربوبيَّةُ ، اذ ورد في حديث القدسي الشريف :
«عبدني حتى أجعلك مثلي ، أقول للشيء كُنْ فيكون ، وتقول للشيء كُنْ
فيكون» .

وفي الحديث المعتبر عند الفريقين - السنَّةُ والشيعة - عن رسول الله ٦ في حديث قدسي
عنَّ الله عزَّوجلَّ : «ما تقرب إليَّ عبد بشيء أحبَّ إليَّ ممَّا افترضت عليه ، وإنَّه
يتقرب إليَّ بالنافلة حتى أحبَّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره
الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها» [3] .

فالمقصود في الانسان تربية وإشباع غريزة حبِّ الكمال والجمال والخير المكنون
والمتجدِّد في فطرته الموحدة والسليمة ، ومن ثمَّ يصل إلى قاب قوسين أو أدنى من
العليِّ الأعلى ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ويكون الحق سبحانه سمعه وبصره
ولسانه ويده ، كما يكون بقرب الفرائض سمع الله وبصره ولسانه ويده وكم فرق بين
القربين : قُرب الفرائض وقرب النوافل كما هو معلوم عند أهله .

ثمَّ لكي يقف الانسان في عباداته على روحها ومغزاها، فانه يحاول أن يكشف
أسرارها ولطائفها وفلسفتها وحكمتها وآدابها القلبية والمعنوية .

ومن هذا المنطق ترى جمع من العلماء الأعلام في كلِّ المذاهب الاسلاميَّة ولاسيما
في مدرسة أهل البيت : في صنف من مؤلِّفاتهم ومصنِّفاتهم شمروا عن سواعدهم ،
لبيان بعض الأسرار في العبادات ، ومن بينها عبادة (الحجِّ والزيارة) لما فيها من
المناسك المتفاوتة والفريدة ، وعليها طابع الشموليَّة ، وصبغة الفرد والمجتمع ، ممَّا
يوجب الدهشة والتساؤلات من كلِّ طبقات ومستويات المجتمع .

فكلُّ واحد في حجِّه وعمرته وزيارته يسأل في نفسه : لماذا هذه المناسك وبهذا
الشكل والمحتوى ؟ انه غريب وعجيب !!

إنّ منافع العبادات ومردّها إلينا، فإن الله غنيّ في ذاته ، فما هي المنافع المتوخاة
والمشهودة في مناسك الحجّ؟!!

(اللهمّ إنّ أقدامنا قاصرة عن الوصول إلى جناب قدسك ، وإنّ أيدينا قاصرة عن النيل
إلى ذيل أنسك ، وإنّ حجب الشهوات والغفلات قد حجبت بصائرنا عن جمالك
الجميل ، وإنّ الأستار الكثيفة الناشئة من حبّ الدنيا ومن أعمالنا الشيطانية قد صيرت
قلوبنا مهجورة عن التوجّه إلى عزّ جلالك ، إن صراط الآخرة لدقيق ، وإن طريق
الانسانية لحديد، ونحن المضطرون في فكرتنا كالعنكبوت قديد، ونحن الحائرون
كدود القرّ قد نسجنا لأنفسنا سلاسل الشهوات والآمال ، فما نحن فيها مقيدون ، وعن
عالم الغيب ومحفل الأنس بالمرّة آيسون ، اللهمّ إلا أن تبرق لأبصارنا وقلوبنا ببارقة
إلهية ، فتنورنا وتجذبنا بجذبة غيبية يذهلنا بها عن أنفسنا.

«الهي هب لنا كمال الانقطاع إليك ، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك ، حتّى
تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة ، وتصير أرواحنا معلقة
بعزّ قدسك» [4] .

إن الحجّ كسائر العبادات له ظاهر وصورة كما فيه باطن ومعنى ، وكما أنّ الظاهر
له آداب وأحكام يؤدى عدم رعايتها والالتزام بها إلى بطلان الحجّ في صورته
وظاهره ، ولم يسقط التكليف ، فكذلك لباطنه آداب وحكم قلبية وروحية ، يلزم من
عدم رعايتها وتطبيقها والتوجّه إليها بطلان أو نقص في الحجّ في معناه وفي باطنه ،
وإذا التزم برعاية تامّة تلك الآداب المعنوية والقلبية ، فإنّ الحجّ سيكون ذات روح
ملكوتية ، والحاج والمعتمر بعد ما راقب الآداب الباطنية ، وإهتمّ بها يمكن أن يكون
له نصيب من السرّ الالهي المودع في حجّ أهل المعرفة وأصحاب القلوب الذي هو
قرّة عين لأرباب السلوك ، وحقيقة معراج قرب المحبوب ، وهذا ما يشهد به
البرهان والعرفان والقرآن .

ومما يدلّ على أنّ الانسان يشاهد أعماله في بواطنها قوله تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا
عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) [5] فكلّ واحد يرى أعماله
خيرها وشرّها حاضرًا، ويشاهد صورتها

الباطنيّة الغيبيّة ، وتتجسّد له كما هو مذهب من يقول بتجسّد الاعمال كما هو المختار.

(وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) [6] (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ) [7]

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) [8] (يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) [9] .

فمثل هذه الآيات وكثير من الأخبار ممّا يدلّ على أنّ الانسان يعاين ويشاهد الأعمال
نفسها في ملكها وملكوتها في شهودها وغيبيها.

ومن أعلى مراتب الخسران والضرر أن يقنع الانسان بصورة العبادة وقشرها،
ويحرم من بركاتهما وكمالهاتها الباطنيّة التي توجب السعادات الأبدية ، ورفع
الدرجات في القيامة (إقرأ وإرقأ) (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [10] .

فالعبادات مراقبة الروح للعروج إلى مقام الوصول ، وجوار ربّ العزّة والفناء في
إرادته والبقاء به .

«الذي هو غاية آمال الأولياء، ومنتهى أمنيّة أصحاب المعرفة وأرباب القلوب ... ويا
لها من حسرة تعجز عقولنا عن إدراكها، ولا تدركها إلّا بعد الخروج من هذه النشأة
والورود في المحاسبة الإلهية ، ومادمنّا في حجاب عالم الملك وحرّ الطبيعة ، فإنّنا
لا نقدر أن ندرك شيئاً من ذاك العالم (وإنما مددنا أيدينا إلى النار من مكان بعيد،

فأي حسرة وندامة وضرر وخسران أعلى من أن ما هو وسيلة للكمال والسعادة
للإنسان ودواء للالام والنقائص القلبية ... لا يستفيد منه فائدة روحانية ..

أيها العزيز شمّر ذيل الهمة وأبسط يد الطلب ، وأصلح حالاتك مهما تتحمّل من
التعب والمشقة ، وحصل الشرائط الروحية [11] لحجّ أهل المعرفة ، وإعلم أن ما
يتعلّق بالقالب والجسد ويظهر عليه غالباً يسمّى بالفقه الأصغر ، وما يتعلّق بالقلب
والروح ويظهر منه غالباً، يسمّى بالفقه الأكبر - كما سيتضح ذلك إن شاء الله.

الشكر لله كما هو أهله ومستحقه :

فقد شاء سبحانه وتعالى فيما مضى من عمري أن اتصدي لتدريس مجموعة من
النساء العالمات والفاضلات من (المعينات) [12] فدرستهنّ أسرار الحجّ

والزيارة باللغة الفارسية ، وكتبت ذلك في وريقات باللغة العربية ، أودعت فيها ما
تيسّر لي من أسرار الحجّ ، ثمّ طلبت مني قناة (الفرات) الفضائية بيان بعض أسرار
الحجّ فأجبت دعوتهم في حلقات ثمانية سنة (١٤٢٧ هـ ق) ثمّ طلبت مني قناة
(المعارف) الفضائية أيضاً بيان الآداب المعنوية للحج وهي عبارة أخرى عن
الأسرار فلبّيت دعوتهم في عشر حلقات سنة (١٤٢٩ هـ . ق) وبطبيعة الحال تزداد
المعلومات ، فوجدتها قد أصبحت كتاباً، فوددت أن أقدمه إلى عامّة الناس ، ولاسيّما
أهل العلم والمرشدين في قوافل الحجّ ، لعلّه يكون للاخوة الاعزاء والقراء الكرام
تحفة وتذكرة ، ويكون لي من العلم النافع الذي يتركه الانسان بعد موته فانتفع به يوم
حشري وأفوز بدعاء المؤمنين والمؤمنات (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ
) وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين .

وأختم مقدّمتي بمقولة الامام الخميني ١ في أهميّة البعد المعنوي للحجّ :

«إنّ المراتب المعنوية للحج هي رأسمال الحياة الخالدة ، وهي التي تقرّب الانسان في
أفق التوحيد التنزيه ، سوف لن نحصل على شيء، ما لم نطبق أحكام وقوانين الحجّ
العبادية بشكل صحيح وحسن ، وحرفاً بحرف ، وعلى الحجاج المحترمين والعلماء

المعظمين ومسؤولي قوافل الحجاج ، أن يصرفوا وقتهم ويكون كلّ همهم **تعليمي** وتعلّم مناسك الحجّ ، وعلى العارفين مراقبة من يرافقهم حتى لا يتخلف أحد عن الأوامر لا سمح الله، إنّ البعد السياسي والاجتماعي للحج لا يتحقّق إلا بعد أن يتحقّق البعد المعنوي والإلهي ، وأن تكون كلمة (لبيك) التي تتلفّظون بها إستجابة لدعوة الحقّ تعالى ، وأنتم محرومون لأجل الوصول إلى ساحة الحق المقدّسة تشعرون أنفسكم إنّ التلبية لأجل الحق تعالى تنفون صفة الشرك بجميع مراتبها، وتهاجرون بأنفسكم التي هي منشأ الشرك الكبير نحو الباري جلّ وعلا، والأمل في أن ينال الباحثون عن ذلك أجرهم ، وهو على الله فيما لو أدركهم الموت وهم في طريق هجرتهم).

إنّ الحجّ في معالمة وعوالمه ، في نسكه ومناسكه سفرة ومأدبة معنويّة - قلبية وقاليّة - فينبغي القيام بها خالصاً لله سبحانه جسمياً وروحياً في وقت واحد، وهذا يتطلب المعرفة والعلم الكامل بالفقه الأصغر والفقه الأكبر في الحجّ والزيارة ، أي يعرف الحجاج مناسكهم الفقهية من الواجبات والمستحبات والمحرمات والمكروهات ، كما يعرفون الآداب المعنوية وأسرار المناسك وحكمتها وفلسفتها.

ولا يخفى أنّ الجهات العرفانية والآداب المعنويّة للحجّ كثيرة وما جاء في هذا الكتاب الذي بين يديك ، إنّما هو قطرة من بحار تلك الأنوار الساطعة ، وغيض من فيض ، والخطوة الأولى لمسيرة ألف ميل ، ولكن المهم أن يعرف الحاج إلى أين يذهب ؟ ودعوة من يلبي ؟ وأي ضيافة هذه ؟ وانه ضيف من ؟ وما هي آداب وشرائط هذه الضيافة الأرضيّة في الظاهر والقالب ، والسماوية في الباطن والقلب . وانه **هجرة** حج من الملك إلى الملكوت ومن التراب إلى ربّ الأرباب ، ومن الفرش إلى العرش ، وانه من أبرز مصاديق الفرار إلى الله سبحانه والإستقلال بأشجار محبته ولطفه ، ويا له من مقام كريم لا يلقاه إلا ذو حظّ عظيم !!

[١] () الدخان : ٣٨ .

[٢] () المؤمنون : ١٤ .

[٣] () الآداب المعنوية للصلاة : المقدمة : ١١ .

[٤] () الآداب المعنوية للصلاة : الامام الخميني : ص ١٧ .

[٥] () آل عمران : ٣ .

[٦] () الكهف : ٤٩ .

[٧] () المزمّل : ٢٠ .

[٨] () الزلزلة : ٧ .

[٩] () النبأ : ٤٠ .

[١٠] () المجادلة : ١١ .

[١١] () اقتباس من الآداب المعنوية للصلاة : ٢٢ ٢ .

[١٢] () انّ قوافل الحجّاج وحمّلات الحجّ في ايران الاسلاميّة بعد ثورتها وجمهوريّتها تحت برامج (منظمة الحجّ والزيارة) ومن قبل بعثه السيّد القائد دام ظلّه قسم الروحانيّين (والمرشد الديني في القافلة) فانهييعين لكلّ قافلة (مئة نفر تقريباً) رجل دين (روحاني) واحد، وإذا بلغ مائة وأربعين أضافوا آخرأ بعنوان(معين) وإذا زادوا عن المائة والأربعين زادوا آخرأ من النساء الفاضلات في الحوزة بعنوان (معينة) لتكون في خدمة وتعليم الحاجّات .

الفصل الأوّل

ملاح عامّة عن الحجّ والعمرة

الفصل الأوّل : ملاح عامّة عن الحجّ والعمرة

الحجّ دين ودولة

لقد استرعى الحجّ منذ اليوم الأوّل إنتباه وإهتمام المسلمين وعلمائهم الأعلام على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الفكرية والعقائدية والفقهية ، فصنّفوا وأغنوا المكتبات الاسلامية بمؤلفاتهم القيمة حول مناسك الحجّ وأحكامه في كتب فقهية ، وحول أسرار الحجّ وحكمه في كتب عرفانية .

وكلّما تطوّر العلم والفن في الصناعة والتقدّم التكنولوجي إزداد إقبال الناس على المعارف الدينية ، ورجب الشباب المتعطّش والمتفّ لتعرف على فلسفة الأحكام وعلل الشريعة المقدّسة ، وما فيها من الآداب والمعطيات والبركات والأسرار ، ومن ثمّ كان المقصود من الحجّ بل من كلّ العبادات والطقوس الدينية في الاسلام نيل السعادة والحياة الطيبة ، وتهذيب النفوس ، وإنارة العقول ، وتربية الأرواح ، وصيقة القلوب ، ولا يتم ذلك إلا بتطبيق الشريعة بتفهم ووعي وبقاهة .

والحجّ ميثاق وثيق وعهد قديم بين الربّ وعبده ، وإنه من أعظم الفرائض الالهية منذ خلق آدم أبي البشر ٧ وإلى يوم القيامة .

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) [1] .

فيه منافع دنيوية ودينية تنطوي على الأصعدة الفردية والاجتماعية ، بكلّ أبعادها الاقتصادية السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها .

كان الحجّ ولا يزال هو المركز والمحور الأساسي للمعارف والعلوم الالهية ولتزكية النفوس وجلائها والانس بالله سبحانه في نهج قويم وصراط مستقيم ، نحو الكمال المطلق ومطلق الكمال ، قاب قوسين أو أدنى من ربّ العالمين .

وما الحجّ في مناسكه ورموزه العباديّة والسياسيّة إلا فرص ومحطّات إيمانيّة ، ينطلق منها المؤمنون والمؤمنات ليبلغوا السعادة الأبديّة ، بعد تحوّل عميق وأصيل في السلوك الفردي والاجتماعي .

ان مؤتمر الحجّ السنوي والعالمي يحتوي على منافع عظمي لعامة المسلمين ، كما يضمّ في جوهره وأصله القرب الالهي للمؤمنين كافة .

سئل الامام الصادق ٧ عن معنى المنافع في قوله تعالى : (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ) أهى منافع الدنيا أم الآخرة ؟ فقال ٧: الكلّ [2] .

ولا يخفى ان المنافع الفرديّة والاجتماعيّة تعمّ كلّ مجالات الحياة من الاقتصاد والسياسة والثقافة ، وحتى المنافع العسكريّة وغيرها .

فالحج دين ودولة ، حياة وأمة ، يضمّ بين دفتيه القدرات الفكرية والاقتصاديّة والسلوكيّة والعملية .

الحجّ مظهر مشرق لقدرة الأمة الاسلاميّة وعزّتها وإتحادها ووحدتها، وإنه ليعلم المسلمين كيف يكونوا، فيعطيهم القوّة والعزّة ووحدة الصفوف والقلوب .

قال الامام الخميني ١: الحجّ كالقران لينتفع به الجميع ، لكن العلماء والمتعمّقين في معانيه والمطلّعين على هموم الامة الاسلاميّة إن ألقوا القلب في بحر معانيه ، ولم يتهيبوا الدنو والغوص في أحكامه وسياساته الاجتماعيّة سيلتقطون من أصداف هذا البحر المزيد من جواهر الهداية والرشد والحكمة والحريّة ، وسيرتوون إلى الأبد من زلال حكّمته ومعرفته .

ولكن ما العمل؟! وأين نمضي بهذا الغم العظيم حيث صار الحجّ مهجوراً كالقران؟! إنه كما خفيّ عنّا كتاب الحياة والكمال والجمال هذا في الحُجب التي صنعناها، وكما دفنت خزانة أسرار الخليقة في جوف أكّداس تربة أفكارنا العوجاء، وهبط لسان

الإنس والهداية والحياة إلى لسان الوحشة والموت والقبر.. فكذلك مُني الحجّ بهذا المصير، فصار من عاقبة الامر أنّ ملايين المسلمين يقصدون (مكة) المكرّمة كلّ عام ، ويضعون أقدامهم على أرض وطأها (النبي ٦) و ابراهيم واسماعيل وهاجر...، لا أحد يسأل نفسه عن ابراهيم ومحمد ٨ وماذا فعلا؟! وما كان هدفهما؟ وما يريدان منّا؟!!! الخلاصة : إنّ على المسلمين جميعاً إن يجدّوا في تجديد حياة الحجّ والقرآن الكريم ، وفي إعادتهما إلى ميادين حياتهم[3] .

لا شكّ أنّه بعد الصحوة الاسلاميّة وإقبال الشباب على الدين ، فان الحجّ تلبّس بطابع جديد، وأخذ رويداً رويداً موضعه الواقعي في العالم الاسلامي ، ونأمل أن يزداد الإقبال بوعي المسلمين ونهوضهم ونهضاتهم الثقافيّة والإصلاحية .

ومن هذا المنطلق وضعنا هذا الكتاب عسى أن نكشف بعض الآداب المعنويّة وأسرار بيت الله الحرام ، ورموز المواقف الكريمة والمشاهد المقدّسة ، ولا بدّ لمن أراد التعمّق والغوص في بحار هذه المعاني السامية والعمل الشاقّ والمبارك ، أن يبحث ويتدبّر الآيات القرآنيّة المتعلّقة بالحجّ ومناسكه وأحكامه ، والسير في الأحاديث الشريفة المرويّة عن رسول الله ٦ وعن الأئمّة الأطهار بيت الوحي والعصمة :، فان كلّ الأسرار المذكورة والتي ستكشف في هذه العباداة وغيرها، والتي تجلّت وظهرت للعلماء الأعلام والمحققين الكرام والفقهاء العظام والعرفاء الأجلاء، إنّما كان مصدرها ومنبعها الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة .

إنّ الحجّ في كلّ عام يرمز إلى أضخم مؤتمر عبادي سياسي إسلامي ، ولا بدّ ممّن يهمهم الأمر أن يخطّطوا ويبرمجوا له ، ليشهد الناس منافعهم الدينيّة والدنيويّة ، على كلّ الأصعدة ، وفي كلّ المجالات .

وما أروع ما يحمله حجّاج بيت الله الحرام وزوّار مرقد الرسول الأكرم ٦ وأهل بيته : في المدينة المنوّرة من الوعي والفهم ومعرفة الأحكام والحكم في الحجّ والزيارة ، يستضيئون بنور الله ويستأنسون بذكره .

من الواضح إنّ الدين عبارة عن مجموعة قوانين وأحكام سنّها الله سبحانه وأنزلها لهداية البشر، وبعث بها الأنبياء والمرسلين ليقوم الناس بالقسط ، وتكون حياتهم حياة طيبة ، ويعيشون بسلام كما ينالون سعادة الدارين .

والدين بمعناه العام الذي يعني التسليم لأحكام الله في أوامره ونواهيه هو الاسلام الذي جاء به جميع الأنبياء، ويتلّخص بكلمة التوحيد (قولوا لا إله إلا الله تُفَلِّحُوا) وقال سبحانه وتعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [4] ثم أكمل دينه بخاتم

الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى الأمين ٦ فجاء بالاسلام بالمعنى الخاص ولن يقبل الله غيره من الناس كما في قوله تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) [5] ثم هذا الاسلام كامل في شريعته لا نقص فيه ، كما جاء به الرسول

الاعظم محمد ٦، الا انه لا بد من كمال تطبيقه أيضاً، وحفظ رسالته من الضياع والانحراف ، وبيان حقيقته ، وقلبه وقالبه ، وهذا انما يتم بمن يقوم بتنفيذه وتطبيق ، هو الامام المنصوص عليه من ربه ، والمنصوب من قبل رسوله ، وثم هذا الأمر وكمل الاسلام التطبيقي به ، بعد كامل تشريعه - اى الكمال النظري والكمال العملي ، أو قل السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية - وذلك بولاية أمير المؤمنين علي ٧ ونصبه في يوم الغدير، بأمر من الله سبحانه في قوله تعالى (بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) وبعد البلاغ والنصب الإلهي نزل قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) [6] .

وفهذا هو الاسلام بالمعنى الأخصّ ، وهو الاسلام التطبيقي والسلطة التنفيذية بعد رسول الله ٦، ولن يقبل الله من الناس ديناً غير الاسلام الكامل بنبوته وإمامته ، أي بالتجربة التشريعية والتجربة التطبيقية ، أي بالسلطتين التشريعية والتنفيذية ، فلا بد من الشريعة والتطبيق العملي معاً، كما أشار رسول الله ٦ في مواطن عديدة قائلاً: «إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» [7] .

فلانقول حسبنا كتاب الله، كما لا نأخذ ديننا وإسلامنا من غير أهل البيت : ففرج إليهما معاً، في كلّ حياتنا العقائديّة والسلوكيّة والعباديّة وغيرها.

ولا يخفى ان كلّ إنسان بفطرته السليمة وعقله السليم يرى أنه يفتقر إلى الدين الإلهي الذي يسوق البشر إلى وادي السعادة وساحل الإطمئنان والعيش الرغيد، والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة .

ثمّ من أهمّ وأبرز أوصاف الدين الاسلاميّ ما فيه من الكمال والجمال بشموله وأبديّته ، أي بكليّته وخلوده ، فانه يعمّ البشريّة بكلّ هويّاتهم الشخصيّة ، وألوانهم وأسنتهم وبلادهم وأزمانهم ، كما إنه نظام دولة ودين ، دنيا وآخرة .

والإسلام كباقي المعلولات لا بدّ من علتين في حدوثه ووجوده: العلة الفاعليّة وهو الله سبحانه ، والعلة القابليّة وهو الانسان ، وذلك بفطرته التوحيدية (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) [8] فذات الاسلام وحقيقته نور وعلم

وحياة وهداية وسعادة أبدية ، جاء ليثير دفائن العقول ، ويحرث أرض الفطرة ، لينثر فيها بذور الخير والحق والصدق والإحسان والعدل والكرامة الانسانية .

ولا يحق لأي كان أن يتلاعب به أو يفسّر بميوله وأهوائه (أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) [9] وما جاء من الشرايع المختلفة (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً

وَمِنْهَا جَا) [10] فانما هو رعاية للتخصيص والتطور باعتبار الزمان والمكان ،

وإختلاف الأحوال وآداب المجتمع ، لا من جهة النسخ والتبديل والتعديل .

هذا والحجّ من أتمّ مظاهر الإسلام في شموله وأبديّته .

قال الامام الباقر ٧: «بُني الاسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية ، وما نوذي بمثل ما نوذي بالولاية» [11] .

فمن كان مستطيعاً وترك الحجّ فإنه أخلّ بركن من أركان الإسلام (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [12] فالإسلام بقوانينه وأحكامه عام وتامّ وأنه على

الدوام ، لا نقص فيه ولا إعوجاج ، وما تخلف المسلمين وإنحطاط مجتمعاتهم الإسلامية إلا نتيجة الابتعاد التطبيقي والعملية لدينهم الإسلامي كما هو مطلوب وما يزيده الإسلام منهم ، فإن الإيمان : إقرار باللسان وإعتقاد بالقلب وعمل بالأركان .

فلا بدّ من فهم الإسلام كما هو ، من الكتاب الكريم وسنة رسوله ﷺ ومنهاج الأئمة الأطهار أهل البيت : الذين إصطفاهم الله فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

وما أكثر النصوص الدينية التي تحت المسلمين على طلب العلم النافع والعمل الصالح ، والتفقه في الدين ، ومعرفة الأحكام والحكم .

الكافي بسنده عن أبي عبدالله ٧ قال : «لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقّها» [13] .

وعن مفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبدالله ٧ يقول : «عليكم بالتفقه في دين الله ، ولا تكونوا أعراباً ، فإنه من لم يتفقّه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ، ولم يرك له عملاً» .

وعن علي بن أبي حمزة قال : سمعت أبا عبدالله ٧ يقول : «تفقّوها في الدين فإنه من لم يتفقّه منكم في الدين فهو أعرابي ، إن الله يقول في كتابه : (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) [14] وغيرها من الأخبار

الشريفة ، فهلموا إلى التفقه في الدين ومعرفة أسرار الحجّ ، لنكون على بصيرة من أمرنا ، وإن الله ليحبّ بغاة العلم ، وإن الذي يسلك طريقاً في طلب العلم سلك الله له

طريقاً إلى الجنة ، وهل الجنة إلا دار السعداء (أَمَّا الَّذِينَ سَعَوْا فَبِئْسَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا) [15] .
ومثل هذا العلم الإلهي غيور ذات كبرياء، ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ،
وكان من أهل هذا النور الأعظم .

[١] () آل عمران : ٩٦ .

[٢] () الكافي : : ٤٢٢ .

[٣] () نبذة من بيان الامام الخميني لزياري بيت الله الحرام فيالخامس من ذيلحجة الحرام عام ١٤٠٨ هـ ق .

[٤] () آل عمران : ١٩ .

[٥] () آل عمران : ٨٥ .

[٦] () المائدة : ٣ .

[٧] () كتبت بالتفصيل هذا الحديث سنداً وامتناً ودلالة في كتاب (في رحاب حديث الثقلين) في ٥٠٠ صفحة في
موسوعة رسالات اسلامية المجلد التاسع فراجع .

[٨] () الروم : ٣٠ .

[٩] () الشورى : ١٣ .

[١٠] () المائدة : ٤٨ .

[١١] () الوسائل كتاب الحجّ وكتاب الصلاة .

[١٢] () آل عمران : ٩٧ .

[١٣] () الكافي : : ٢١١ .

[١٤] () التوبة : ١٢٢ .

[١٥] () هود: ١٠٨ .

الفصل الثاني

فلسفة الأحكام وأسرارها

الفصل الثاني : فلسفة الأحكام وأسرارها

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

المقصود من السرّ وما يرادفه كالخفاء والبطن ما يقابل العلن ، والعلن بمعنى الظاهر والبيّن والواضح ، فالسرّ يكون من الباطن وما فيه الغموض وعدم الوضوح لكلّ واحد، بل يعرفه من كان من أهله ، وكل سرّ جاوز الإثنين - بمعنى الشخصين أو الشفتين - شاع وذاع ، أي صار شائعاً وعلناً بعد ما كان مكتوماً وسراً في الصدور، ويطلق السرّ على الحكمة لكونها مستورة ، وما وراء العلم من الفهم والمعرفة .

والفلسفة : كلمة يونانية مركّبة من (فيلا) و(سوف) أي محبّ الحكمة ، وكان في القديم يطلق على مجموع العلوم ، ثم أُطلق على العلوم العقلية ، واليوم يطلق أيضاً على المعرفة والحكمة في كلّ شيء.

ثمّ في الفلسفة والأسرار إنّما يكون الحديث عن الأسباب والعوامل على نحو الاقتضائية والعلّة الناقصة ، فيكون من الشرط اللازم لحصول المعلول وجوده .

وأما فلسفة الأحكام وعلل الشريعة ، فإنه يقصد منها ما كان وراء الفقه من الأمور الخفية أو الأسرار والمعرفة الخاصة ، وإنّه فرق بين العلم والمعرفة ، فإن العلم بالكليات بينما المعرفة بالجزئيات ، وإن العلم بالظاهر بينما المعرفة أعم من الظاهر والباطن ، فالأحكام الشرعية الفرعية يستنبطها الفقيه من الأدلّة التفصيلية من الكتاب الكريم والسنة الشريفة والاجماع والعقل - عند الأصوليين من أتباع مذهب أهل البيت : - وإنّما يبيّن في فتاويه الحكم الظاهري بينما العارف بالله يتجاوز ذلك ليصل إلى ما وراء الفقه والحكم الظاهري من الحكم والأسرار الخفية ، فالفقه قبل الحكم والأسرار بعد الحكم ، والأوّل يسمّى بالفقه الأصغر ، بينما الثاني يسمّى بالفقه الأكبر ، والأوّل يوجب سقوط التكليف الشرعي ، بينما الثاني يوجب القبول ورفع الدرجات (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [1] ثمّ الانسان بطبيعته وغرائزه يريد أن يستطلع ويكشف الرموز

ويفكّ الأسرار بمفاتيح ذهنه الوقّاد، فيتولّد في ذهنه أسئلة كثيرة ، وهذا ما نلاحظه في مناسك الحجّ ، فلماذا هذه الطقوس الدينية ، فإنّها وإن كانت عبادية ومن فلسفتها الإطاعة والاختبار، إلّا أنّ الأمر أوسع من ذلك ، فمن وراء كلّ منسك مئات الأسرار والحكم ، لو وقف العابد عليها لتوجّه إلى روح عبادته أكثر فأكثر، كما يطمئن قلبه أكثر، كمن علم مقصد سفره في حركته ، كما يتحمّل المصاعب والمتاعب أكثر فأكثر، ويساعده إلى نيل أهدافه ومقاصده بغاية قصوى ، وإنّما نقف على أسرار الحجّ من منابع الثقافة الاسلامية ومصادرها.

أولاً: من القرآن الكريم . فإنه يهدى للتي هي أقوم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه ، كتاب حق نزل من الحق وبالحق .

ثانياً: من الأحاديث الشريفة في مدرسة الرسول الأعظم محمد ٦ وأهل بيته الأطهار
..

ثالثاً: من العقل السليم والفطرة الموحدة المتجذرة فيها أصول حب الخير والجمال
والكمال .

رابعاً: من إبداعات وإبتكارات العلماء والعرفاء الأعلام في فهم النصوص ، ومن
العلم الإلهامي المتجانس مع علوم السماء من الوحي والنص والخطاب الديني .

وكشف أسرار الحج كاستنباط أحكامه، فكلاهما من واديا لاستنباط والكشف من الأدلة
التفصيلية ، إلا ان الفقه لبيان أحكام الحج ويكون قبل الحكم الشرعي ، ويحتوي على
توسيع الحكم وتضييقه، ويتعلق بظاهر الأحكام، بينما كشف الأسرار يكون بعد الحكم ،
ويحتوي على إستخراج الآثار والحكم وبواطن الأحكام .

وساحة العقل في الأسرار أوسع من إستنباط الأحكام ، فاذا كان في إستنباط الحكم لا
مجال للقياس والاستحسانات الظنية وانه يقبل بروح التعبدية المحضة ، والتسليم
الخالص ، إلا انه في كشف الأسرار لا مانع منه ، لعدم ترتب أثر شرعي عليه .

ان القرآن الكريم كما يبين الحكم الشرعي كذلك يشير إلى فلسفته وحكمته ، فاذا أمر
بالصلاة فانه قال سبحانه : (تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) [2] .

وإذا أمر بالصيام فانه قال عز وجل : (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [3] .

وكذلك الأمر في مدرسة أهل البيت وأحاديثهم الشريفة ، فانه في الأصول الأربعمأة
كتب عديدة في بيان العلل والحكيم ، منها:

١ - كتاب العلل لأحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن داود القمّي (رجال النجاشي : ٩٠).

٢ - كتاب العلل لأحمد بن عطار (النجاشي).

٣ - كتاب العلل لعلي بن الحسين بن علي بن فضال .

٤ - كتاب العلل لعلي بن سهل حاتم بن أبي حاتم القزويني .

٥ - كتاب العلل لمحمد بن خالد بن عبدالرحمان .

٦ - كتاب العلل لمحمد بن أحمد بن داود بن علي (شيخ القميين).

٧ - كتاب العلل لأبي هاشم داود بن القاسم الجعفري .

٨ - علل الشرايع للشيخ الصدوق عليه الرحمة[4] .

ومن أمثلة السؤال عن العلل في الروايات .

عن أبي عبدالله ٧ أنّه سأل عن شيء من الحلال والحرام فقال : أنّه لم يحصل شيء إلاّ لشيء [5] .

وفي الحديث : «لم صار الحاج لا يكتب عليه ذنب أربعة أشهر» «سألته عن التلبية لم جعلت» «لم سميت الكعبة كعبة» «لم سمى البيت العتيق» «لم سمى بيت الله الحرام» «لم جعل إستلام الحجر» «لم جعل المقام بمنى ثلاثاً» «لم جعل السعي ...» ومثل هذه التعبيرات كثيرة في الروايات ، وإنها تدلّ بوضوح على أهمية معرفة أسرار وفلسفة الحجّ ، وبيان حكمه ومعارفه وبواطنه .

ولكلّ منسك وطقس ديني من العبادات الشرعية شكل ظاهري ، وشكل باطني ،
ومن المؤسف أن عامّة الناس أخذوا من الشرع ظاهره وقشوره وجسده وقالبه ، أما
قلبه ولبّه وباطنه وروحه ، فقد تغافلوا وتجاهلوا عنه ، وهذا الأمر ينعكس في أمورهم
الدينيّة وفي المعاش ، فتراهم ينظرون إلى كلّ شيء بدقّة وتفحص ويركضون وراء
كشف رموزه وبواطنه ، ونتيجة سعيهم الاكتشافات والاختراعات وتطوّر الحياة
والصناعة التكنولوجيّة ، ممّا يوجب الحرص وطول الأمل وعشرات الأمراض
الروحيّة والاجتماعيّة ، من التكالب والصراعات والحروب المدمّرة ، فليتهم معشار
عشر من هذا السعي الدؤوب في كشف الحقائق الكونيّة الماديّة كان لكشف الحقائق
الكونيّة المعنويّة والملكوئيّة .

وهذا لا يعني أن نتغافل عن كشف الحقائق الدينيّة ، بل الدنيا مزرعة الآخرة ،
والمفروض أن يكون المقصد الأوّل والهمّ الأساسي هو نيل الدرجات والجنات
ورضوان الله جلّ جلاله في الآخرة ، وأن لا تكون دنيانا على حساب آخرتنا، بل
ينعكس الأمر تماماً، وأن نطلب الآخرة ومقاماتها على حساب الدنيا، فنشتري مرضاة
الله العظيم بمتاع الدنيا القليل ، وهذا من التجارة التي لن تبور، والخاسر خسراناً مبيناً
من باع آخرته بدنياه ، والأكثر خسراناً من باع آخرته بدنياه غيره !!

فلا بدّ من رعاية الظواهر والبواطن بأجلى وأتم مظاهر الرعاية ، وبكلّ قوة وإستحكام
وإصالة وتسديد .

ومن يترك الظاهر فانه أولى به أن يترك الباطن ، والدنيا متجر أولياء الله ومزرعة
المؤمنين لآخرتهم .

ومن ترك كلّ من الظاهر والباطن فقد ترك الاسلام ، فان للاسلام ظاهر وباطن .

الظاهر والباطن : لا يخفى ان لكلّ ظاهر باطن اذ بينهما التضاييف من التقابل كالعلة
والمعلول والأبوة والبنوة ، فلا يكون الظاهر إلّا ومن ورائه باطن ، ولا يكون باطن
إلّا ما كان له ظاهر، إلّا أنّ الباطن عند ما يظهر فانه يدخل في دائرة الظاهر ويكون
من وراءه باطناً آخر، وإذا ظهر ذلك كان ظاهراً، ولازمه أن يكون له باطن آخر،

وهكذا إلى أن ينتهي إلى علم الله سبحانه الأزلي الأبدي السرمدى ، فهو الظاهر وهو الباطن ، وهو الأوّل والآخر ، فيكون علماً بلا بداية ولا نهاية (وَقَدْ رَبَّ زَيْنِي عَلِمًا) [6] .

ومن هذا المنطق قال أمير المؤمنين علي ٧: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ يَنْفَتِحُ لِي مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ» .

فرب سرّ ينكشف منه ألف سرّ، ورب ظاهر ومن ورائه ألف باطن ، وينفتح من كلّ باطن ألف بطن ، ومن كلّ بطن ألف سرّ وأخفى ، وإلى ربّك المنتهى ، فهو مطلق العلم ، والعلم المطلق ، جلّ جلاله .

[١] () المجادلة : ١١ .

[٢] () العنكبوت : ٤٥ .

[٣] () البقرة : ١٨٣ .

[٤] () ببش درآمدى بر فرهنك أسرار ومعارف حج : ١٧ .

[٥] () علل الشرايع : : ١ ٨ .

[٦] () طه : ١١٤ .

أقسام العلل الشرعية

ثم علل الشرائع وفلسفة الأحكام الإسلامية على أربعة أقسام :

١ - منها: ما بينها النبي الأعظم ٦ وأهل بيت العصمة والطهارة والوحي في عصرهم ، فعرفها الناس كتحريم الكذب والتهمة وسوء الظن والغيبة وقتل النفس (من قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا)[1]

وكالصدق والاحسان والعدل ورعاية حقوق الوالدين والجبران وصلة الأرحام ، وما شابه ذلك .

٢ - منها: تلك الأحكام التي لم تتضح فلسفتها وعلتها وحكمتها لعامة الناس ، بل لبعض العلماء الأعلام ، بل ولم يظهر تماماً لهم كما هو الثابت والمطلوب ، بل بنحو الإشارات كما في آية الصيام في قوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[2] وكما في حكمة الزكاة

(ليستوي الفقير والغني) وما شابه ذلك .

٣ - ومنها: الأحكام التي ربما نقف على جملة من فلسفتها وأسرارها، إلا أنه بمرور الزمن ومع تطوّر العلوم والفنون كأضرار الخمر ومساويه على الجسم والعقل .

٤ - ومنها: تلك الأحكام التي لازالت في ستار الإبهام ، ولم تكشف أسرارها

كعدد الركعات اليوميّة ، وربما تنكشف عند تكميل عقول البشر، وذلك يوم ظهور الحجة صاحب الزمان ٧ وعجل الله فرجه الشريف .

ثم لا يخفى أنّ كلّ الأحكام الشرعيّة بمراتبها وأقسامها الأفقيّة والعموديّة، إنّما هي مقدّمة لما فيها من المصالح الملزمة في الواجبات والمفاسد الملزمة في المحرمات ، وما يترتب عليها من تعريض الإنسان للثواب ولكماله وسعادته في الدارين .

فالحج أحكام وحكم ، ويتكفّل لبيان الأوّل الفقهاء ، ويدخل في دائرة الفقه ويسمى بالفقه الأصغر - كما مر - وأنّه من الشريعة ومن الظاهر ، بينما يتعهّد لبيان الثاني العرفاء ، ويدخل في دائرة العرفان ، وبسمّى بالفقه الأكبر ، وأنّه من الحقيقة والباطن .

وكلاهما - الأصغر والأكبر - من الفيّاض على الإطلاق ، وهو الله سبحانه وتعالى لتربية الانسان وتكامله وسعادته في الدنيا والآخرة ، ولعروجه إلى ربّه قاب قوسين أو أدنى في جنّة اللّقاء والأسماء الحسنى (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي) [3] جنّتان مدهمتان : جنّة الفقه وجنّة العرفان .

والحديث عن الحجّ تارة يكون باعتبار الأحكام والمناسك الواجبة والمستحبّة في الحجّ ، وأخرى عن الأماكن المقدّسة والتاريخيّة ، وثالثة عن الوقائع والأحداث التاريخيّة والمقدّسة ، ورابعة عن اللطائف والظرائف المتمخضة والمستخرجة من المناسك والأماكن والحوادث ، وهذا ما نسّميه

بأسرار الحجّ والزيارة ، وهو المقصود من الكتاب الذي بين يديك الكريمتين ، نأمل أن يكون من العلم والمعرفة النافعين ، ويزيد في رفع المستوى الثقافي في الأمة الاسلاميّة .

وجوه القرآن الأربعة :

ورد عن الامام زين العابدين ٧: أنّ القرآن نزل على أربعة أوجه :

١ - الألفاظ : وإنه لعامة الناس ، فان الناس إنما مع القرآن الكريم في ألفاظه من جهة أدائها، وتجويدها، ولحنها، ومعانيها اللغوية ، وما شابه ذلك .

٢ - المعاني : وإنه للخواص ، فإنّ للقرآن بطون ومعاني إلى ما شاء الله، فإنّ القرآن حبل ممدود، طرف بيد الله والآخر بيد الناس ، فمن كان من الخواص يتمسك بحبل الله ويرتقى بسلم المعاني والمفاهيم القرآنية إلى أن يصل إلى مقام الفناء في الله والبقاء بالله، ويقال له : (إقرأ وإرقئ).

٣ - اللطائف والإشارات : وإنه للأولياء، فمن كان وليّ الله في كلّ شؤونه وأرادته - والولي من يلي الآخر من دون أن يكون بينهما فاصلة كمن كان على فرس خلف آخر فيكون وليّه - فولّى الله من كان مع الله، فرضا الله رضاه ، وسخط الله سخطه ، فمثل هذا يقف على لطائف القرآن وإشاراته ، فانه الطاهر المطهر (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [4]) والمسّ بمعنى اللمس الباطني كما في قوله تعالى : (إِذَا

مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ) [5] فأمثال سلمان الذي هو من أهل البيت : يقف

على لطائف القرآن الكريم .

٤ - الحقائق : وإنه للأنبياء والأوصياء ، فإنّ الحقيقة صفة مشبهة من الحق ، بمعنى الشيء الثابت المستقر والمستمر ، فيقف عليها الأنبياء وأوصيائهم بعلمهم اللدني وإلهامي الخاص ، بلطف من الله سبحانه ، ومن الواضح من كان يعلم بالمائة ، فانه يعلم بما دونه ، فالأنبياء يعلمون بحقائق القرآن ولطائفه ومعانيه وألفاظه .

ثم ورد في الأحاديث الشريفة عن الرسول وأهل بيته : «العلماء ورثة الأنبياء».

وإنما يرثونهم في علومهم وأخلاقهم ومسؤولياتهم ، فيرثون الأنبياء في وقوفهم على مراتب القرآن الكريم من العلم والمعرفة بألفاظه ومعانيه وإشاراته وحقائقه ، كما كان ذلك للأنبياء : فتدبر وأمعن النظر، لينفتح لك آفاق جديدة في المعرفة القرآنية ، بتسديد من الله ولطفه الخفي، فانه خير ناصر ومعين ، وإنه يلهم عبده من أسرار الكون الواسع ومن أسرار شريعته الغراء، وأسرار القرآن الكريم ، وإنّ لكلّ شيء

ظاهر وباطن ، وباطنه سرّه ، فمن وقف على سرّ لأيّ باطن ، فأنّه صار ظاهراً لا محالة ، وأنّه لا شك سيقف على سرّ هذا السرّ وباطن هذا الباطن الذي صار ظاهراً ، ومن ثم يقف على البواطن والأسرار إلى أن ينتهي إلى علم الله سبحانه الأزلي الأبدي السرمدى الذي هو الظاهر وهو الباطن والذي لا بداية له ولا نهاية له ... وهذا يدلّ بوضوح أن الأسرار لا تنتهي ، وإن فوق كلّ ذي علم عليم ، وما أوتينا من العلم إلا قليلاً، فقل ربي زدني علماً، وألحقتي بالصالحين .

وكذلك الحج فإنّ فيه أربعة وجوه ، تابعة لمعرفة الحاج وتمسكّه بالاسلام وعلماً وعملاً، معتقداً وخُلقاً وسلوكاً، فمن الحجاج من يأخذ بظواهر الحج ومناسكه ، محافظاً على جوانبه الفقهيّة من الصحة والبطلان وهم العامّة ومنهم من الخاص من يأخذ بمعاني الحج وعرفانه السامية - باحثاً عن قبوله - فانه (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) فبما عنده من التقوى كماً وكيفياً يقف على معاني القرآن كما يقف على معاني الحج .

ومنهم من هو من الأولياء يقف على عرفان الحج وأسراره ، سارحاً في غيوبه بشهود جماله وجلاله مستذوقاً من حلاوة كماله ، غارقاً في بحار الأنواره .

ومنهم من الأنبياء والأوصياء يتجلى لهم حقائق الحج وعظمته ، ما هو خارج عن تصور البشر وفهمه ومن لطف الله على عباده أن جعل العلماء ورثة أنبيائه ، يحملون علومهم ومعارفهم ، وكانوا وسائط الفيض المقدّس بين الخلق وبين الأنبياء، كما كان الأنبياء وسائط الفيض الأقدس بين الخلق والخالق .

فعلى كل حاج وحاجة ان يقتربا من رجال العلم النافع والعمل الصالح ، ليقطفوا من شجرته المثمرة الحاملة بالرطب الجني والفواكه اللذيذة ويكونا ضيفاً على مآديته الروحانية والنورانية التي فهيا ما تشتهي الانفس من الاطعمه والمعنوية ، وتلذّ الأعين من ألوانها الباهرة ، وأطيابها الساحرة . وبهذا يعرف ما هو الحج ؟ ومن هو الحاج ؟!! والله المستعان إنه خير ناصر ومعين .

[٢] () البقرة : ١٨٣ .

[٣] () الفجر : ٢٩ - ٣٠ .

[٤] () الواقعة : ٧٩ .

[٥] () الأعراف : ٢٠١ .

سرّ العبادة والحجّ

إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الخلق عبثاً ولهواً، ولا لغواً ولعباً (وما كنّا لاعبين) إنّما خلق لهدف مقدّس خاص ، ومن أبرز أهداف الخلقة وفلسفة الحياة (التكامل) وذلك بالرحمة والعلم والعبادة[1].

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [2] أي ليعرفون كما ورد في الأخبار،

فلا تتمّ العبادة إلّا بالمعرفة ، ومن عرف دلّته معرفته على العبادة .

ولا يخفى إن الله غني عن العالمين فسّر العبادة : غاية ترجع إلى الخلق أنفسهم لا إلى الخالق ، فأنّه : (إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ) [3] .

ثمّ عند ملاحظة العبادات في الشرايع المقدّسة ، نرى إنّها تختلف في الأفعال والطقوس من مورد لآخر، فأنّه نشاهد أن الصلاة في أجزائها غير الصوم ، وأن الصوم غير الحجّ ، وهذه الثلاثة تختلف عن غيرها من أخواتها في العبادة .

فعند ما ننظر إليها من هذه الجهة ونرى إفتراق كلّ واحدة عن الاخرى في الماهيات والشرائط والأجزاء والموانع والآداب والسنن نتساءل : لماذا هذا الاختلاف في الظاهر، حيث لا نجد هناك وجه تشابه أو رابط يدلّ كلاً للاخر.

وقبل الجواب لتوضيح سبب الاختلاف نقول : أن الله سبحانه وتعالى جعل هذه العبادات للانسان وكلفه بها، وعندما عند ما نلحظ واقع هذه العبادات وما ينتج عنها، نرى أن بعضها يكون بين الانسان ونفسه ، أي أنها راجعة بالذات إلى شخص الفرد دون غيره كالصوم مثلاً، وبعضها يكون فيما بينه وبين ربّه كالدعاء والصلاة ، والبعض الآخر يكون بينه وبين غيره من جنسه من البشر، ويمكن ملاحظة هذا في

الزكاة والخمس والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، ومنها ما يتعلّق بالإنسان مع الطبيعة من الجمادات والنباتات والحيوانات .

فالخالق سبحانه وتعالى عند ما خلق الإنسان وأراد منه الوصول إلى الكمال المودع فيه من خلافة الله سبحانه في صفاته وأسمائه الحسنى ، وضع وجعل له في تشريعاته ومناهجه ما يوصله إلى ذلك الكمال المنشود.

وكلّ واحد منّا له القابلية والتأهّل في الوصول لأنّه قد كلّفنا بذلك ، ولا يكفّ الله نفساً إلاّ ما في وسعها، وإنّ ما يوصل الإنسان ويهيئاً له نفسيته للكمال وطي مراحل التكامل ، لا بدّ أن يكون تأثيره من جهات متعدّدة ، وهذا يتطلّب الاختلاف في المؤثرات والآليات ، فان المؤثر الواحد لا يعطي تأثيره من جميع الجهات والأبعاد، ومن هنا يتّضح سبب التعدّد والاختلاف في أفعال العبادة حيث أنّها مؤثرات على تكوين شخصيّة الإنسان وتبلوره بطابع إلهي ليستحقّ أن يتطلّل بظلال عرش الله، وأن يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ويضاف على ذلك أنّه يمكن أن يقال أن هناك رابطاً وعلاقةً وثيقةً يربط بعض العبادات ببعض غير النتائج التي ذكرناها، وهذا الرابط وربما يكون العمدة والأساس ، هو أن كلّ واحد من العبادات يقع في طريق القربة إلى الله سبحانه وتعالى .

ثمّ إنّ الحجّ من فروع الدين كسائر العبادات يرجع سرّه إلى الخلق نفسه (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [4] فالإنسان في نفسه الامكانية حدوثاً

وبقاءً، يفتقر ويحتاج إلى ربّه وخالقه وصانعه ، وإنّما يتكامل في سيره التكاملي بالعلم والمعرفة وبالرحمة الإلهية والعبادة الصادقة ، وان العلم مقدّمة الشهود والحضور: (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ) [5]

فبعلم اليقين يصل الإنسان إلى عين اليقين ، وبعين اليقين يصل إلى حقّ اليقين ، وهو مقام الفناء في إرادة الله والبقاء به .

والشهود إنّما يتمّ بتهديب النفوس وصيقة القلوب التي تتبلور بالعبادة ، فإنها طريق السلوك وظهور الغيب (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [6] فالعبادة مقدّمة

اليقين . ومن أنّم مصاديقه الموت ، فاعبد ربّك حتّى الموت .

فالحجّ في سرّه يرمز إلى الشهود والحضور، فمن تركه وكان مستطيعاً كان

كافراً، ويحشر أعمى يوم القيامة ، اذ عمي عنه في دنياه ، كما في تفسير قوله تعالى : (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى) [7] .

ثمّ العبادات تنقسم إلى جوارحية (ظاهريّة) وجوانحية (باطنيّة) ، فما يتعلّق بالجوارح إنّما هو من الأحكام والآداب ، وأمّا الجوانح فهو ما وراء ذلك من المعرفة والشهود والحضور في المحضر الالهي ، وهذا ما نقصد به من سرّ العبادة وسرّ الحجّ .

ولا يخفى إنّ أسرار العبادات وأسرار الحجّ إنّما هي عند أهل البيت :، فهم (موضع سرّه ، وملجأ أمره ، وعيبة علمه ، وموئل حكمه ، وكهوف كتبه ، وجبال دينه) [8] .

ثمّ الانسان الكامل العيني هو سرّ العبادات كلّها، وسرّ الانسان الكامل التدويني ، أي القرآن الكريم ، وبهذا نقول إنّما قبول العبادة مشروط بالتقوى (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [9] وقبول التقوى بقبول الولاية العظمى لله ولرسوله

ولخلفائه الأنمة الأطهار : أي الانسان الكامل العيني ، فانه الصراط المستقيم ، والنهج القويم ، وميزان الأعمال .

وكما لكتاب الله ظاهر وباطن ، وللقرآن سبع بطون ، ولكلّ بطن سبعين بطناً، وهكذا،
فكذلك الحجّ فان له ظاهر، وهو الأحكام الجوارحيّة ، وباطن وهو الحكّم الجوانحيّة
والمعرفة الشهوديّة ، (وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) [10] .

فالظاهر يتعلّق بقالب الانسان ، والباطن الشهودي يتعلّق بقلبه . وانه مثل غيره ، قد
نزل من خزائن علم الله.

والمؤمن العارف في برزخه النزولي قبل دنياه الدنيّة ، وفي برزخه الصعودي بعد
موته ومفارقته الدنيا، ربما يشاهد الحقائق والصور الملكوتيّة بعد تمثله وعمله
بالصور الملكيّة في دنياه ، فان الصلاة مثلاً في دنياه ، إنّما تكون في قبره وبرزخه
بعد تجسدها وتمثّلها بصورة جميلة تؤنسه وتنير له القبر.

في الحديث الشريف :

«إذا مات المؤمن دخل معه في قبره ستّة صور فيهنّ صورة أحسنهنّ وجهاً،
وأبهاتنّ هيئةً ، وأطيبهنّ ريحاً، وأنظهنّ صورةً ، فيقف صورة عن يمينه وأخرى
عن يساره ، وأخرى بين يديه ، وأخرى خلفه ، وأخرى عند رجلين ، وتقف هي
أحسنهنّ فوق رأسه ، فان أتى عن يمينه منعتة التي عين يمينه ، ثمّ كذلك إلى أن
يوّتى من الجهات الستّ فتقول أحسنهنّ صورة : ومن أنتم جزاكم الله عنّي خيراً؟
فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة ، وتقول التي عن يساره : أنا الزكاة ، وتقول
التي بين يديه : أنا الصيام ، وتقول التي خلفه : أنا الحجّ والعمرة ، وتقول التي عند
رجليه : أنا برّ من وصلت من إخوانك ، ثمّ يقلن ومن أنتِ ؟ فأنتِ أحسننا وجهاً،
وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئةً ؟ فتقول : أنا الولاية لآل محمّد صلوات الله عليهم
أجمعين» [11] .

فالحجّ بكلّ مناسكه ورموزه ومظاهره وعوالمه أسرار وأسرار، ما يقف عليها إلا
الخواص والأوحدي من الناس ، وينتقل منها إلى شهود ربّ الأرباب ، وربّ البيت
الحرام (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) [12] .

وأنّ أهمّ سرّ في الحجّ هو السير إلى الله سبحانه كما ورد في تفسير قوله تعالى :
(فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ) [13] أي حجّوا إلى الله.

ولما كان سبحانه وتعالى في كلّ مكان ، فلا يعتمد في السير إليه السير الزماني أو
السير المكاني ، بل السير إليه بمعنى الزهد عمّا سواه ، فيترك العبد ما سوى الله،
وما ليس عليه اسمه ، ليفرّ ويلتجأ إليه . وبهذا يكون حجّه لله، وإلى الله، وفي الله، ومع
الله، كما ورد في دعاء السفر: «بسم الله وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملّة رسول الله».

ثمّ خير الزاد في السير والسفر إلى الله هو التقوى ، كما في الآية الشريفة والتي
إنفردت بذكر حقيقة الزاد في السفر إلى الله سبحانه ، وهي التي تتعلّق بالحجّ وأحكام
الحجّ : (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) [14] (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ

رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) [15] .

فالحجّ رحلة إيمانيّة وسفر إلى الله ورسوله وأولياءه ، وما الشعائر الالهية وتعظيمها
قلباً وقالباً إلا من تقوى القلوب ، وما التقوى إلا زاد وراحلة في السير والسلوك في
السفر الالهي .

وقوله تعالى : (تَزَوَّدُوا) يدلّ على أنّ الجميع في سفر، فإنّهم أمروا بالتزوّد، وأخذ
الزاد علامة السفر ، ولا يمكن للمسافر العاقل الفهيم أن يسافر من غير زاد، وإنّ الزاد
في السفر إلى الله هو التقوى والورع عن محارم الله سبحانه .

والحجّ من أنتم مصاديق التقوى وأفضل أنواعها، إلا وهو التقوى الالهي (وَأَتَّقُونَ يَا أُولِي
الْأُنْبُوبِ) [16] لا طمعاً بالجنة ولا خوفاً من النار، بل لأنه أهل

التقوى والمغفرة ، فيعبد ويحج إلى بيته خالصاً مخلصاً، وحباً وشوقاً وشكراً
وعرفاناً، ونهاية مثل هذه التقوى بنفس مطمئنة راضية مرضية (لقاء الله) والدخول
في الحضرة الالهية ، وجنة الأسماء الحسنی (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي جَنَّتِي) [17] .

وإنما يقف على الأسرار من كان متعلماً على سبيل النجاة ، أو عالماً ربانياً مقترناً
علمه بتهديب النفس وتركيتها (وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) [18] .

ولا يخفى ان لكل عمل ظاهر وباطن ، وما الباطن إلا السرّ الخفي الذي يقابله العلن
والاظهار، وكل سرّ ورائه سرّ أخفى وإن الله يعلم السرّ وأخفى .

ومن توجه إلى سرّ العمل تزكّت روحه وتهدّبت نفسه ، ليرث سرّاً آخر «فمن عمل
بما علم ، أورثه الله علم ما لم يعلم» فتكشف له الأسرار ويقف على الحقائق كما هي
، وذلك هو الفوز العظيم ، ولا يلحقها إلا ذو حظّ عظيم .

ما ترك المحرمات والورع عمّا حرّم الله في الحجّ إلا تهديباً للنفس ، وللخلاص من
الأنانية وحبّ الذات (فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ) [19] .

إنّ القرآن الكريم يشير إلى ثلاثة من المحرمات في الحجّ وهي أمّهات المحرمات
المذكورة في المناسك ، ليدلّ على تطهير القوى الثلاث وتعديلها (فلا رفث) لتطهير
القوة الشهوانية . (ولا فسوق) لتطهير القوة الغضبية (ولا جدال) لتطهير القوة
الوهمية ، وحينئذ يكون الحاكم في حياة الانسان القوة العاقلة .

وإن طهرت هذه القوى الثلاث طهر الانسان في كل أبعاد حياته ووجوده الفردي والاجتماعي .

ومن وقف على أسرار حجّه خلص في عمله ، ومن خلص في العمل فأنه نال سعادة الدنيا والآخرة . فمن حجّ قبل أن يعرف أسرار حجّه ، فأنه ربما يكون عمله صحيحاً من الجانب الشرعي ، إلا انه لم يصل إلى كمال حجّه من الوفاة والضيافة الإلهية ، فلا يتعالى إلى قمة الكمال لينظر إلى الجمال بهيبة وجلال فيأنس ويتهيّب .

إنما يصل الحاج إلى أسرار حجّه إذا أخلص لله في إقامة شعائره ، فيقصد بكل وجوده أن يزور بيت ربّه ، ليكفّر عن ذنبه ويطوف مع الملائكة بقلبه ، فلا ينال ذلك من كان قاصداً في حجّه التجارة أو السياحة أو الشهرة أو السمعة والرياء والعجب ، وغير ذلك من آفات الحجّ ومبطلاته . بل يكون من أولئك الذين تعهدهم الله سبحانه في دعوة خليله وذبيحه إبراهيم وإسماعيل لتطهير بيته الحرام (وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [20] إنهم من أمة خاتم النبيين وسيّد المرسلين محمد ٦ (مُحَمَّدٌ رَسُولٌ

اللَّهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) [21] .

أجل إن من كان مصاباً بالنوايا المزيفة والأعمال الطالحة كيف يكون ضيفاً عند ربّه في حجّ بيته ، ومن كان يحمل الأصنام أو الصنميّة في أفكاره وقلبه أو اتخذ هواه إلهاً، كيف يدخل بيت التوحيد؟! ومن كان يركع ويسجد أمام الاستكبار والاستعمار بكل مظاهره ومعالمه ، كيف يخدم الراكعين والساجدين في بيت الله؟! ومن كان يطوف حول الشياطين كيف يخدم الطائفين ويتّسم بخادم الحرمين؟! .

فليس كل من حج وطاف وكان خادماً للحرمين كان حقاً، وقبل حجّه ، وكملت معرفته ، ووقف على أسرار الحجّ وعرفانه وحكمه ، بل كثير من الناس كالأنعام بل أضلّ سبيلاً، وقلوبهم كالحجارة بل أشدّ قسوة ، فانهم للحق كارهون «فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان» [22] «ما أكثر الضجيج وأقلّ

ان الحجّ ليجمع بين طيّاته كثير من العبادات والطقوس الدينيّة كالصلاة والطهارة والإنفاق والهجرة وتحمل الصعاب في سبيل الله، والإمساك عن محرّمات الإحرام والحرم ، والنفر إلى الله مع الجماعة المؤمنة ، والأضحية والإطعام والتولّى والتبرّى والجهاد.

قال صاحب الجواهر الشيخ حسن النجفي ١: (فهو حينئذٍ رياضة نفسانيّة وطاعة مالية ، وعبادة بدنيّة ، قوليّة وفعليّة ، وجوديّة وعدميّة ، وهذا الجمع من خواص الحجّ من العبادات التي ليس فيها أجمع من الصلاة ، وهي لم تجتمع فيها ما إجتمع في الحجّ من فنون الطاعات) [24]

[١] () لقد ذكرت تفصيل ذلك في رسالة (فلسفة الحياة وسرّ الخليفة) مطبوع في موسوعتنا الكبرى(رسالات إسلامية) المجلد العاشر.

[٢] () الذاريات : ٥٦.

[٣] () ابراهيم : ٨.

[٤] () آل عمران : ٩٧.

[٥] () التكاثر: ٥ - ٧.

[٦] () الحجر: ٩٩.

[٧] () الإسراء: ٧٢.

[٨] () راجع موسوعتنا (رسالات إسلامية) المجلد التاسع (رسالة سرّ الخليفة وفلسفة الحياة).

[٩] () المائدة : ٢٧.

[١٠] () فصلت : ٣٥.

[١١] () البقر: ٦: ٢٣٤.

[١٢] () قريش : ٣.

[١٣] () الذاريات : ٥٠.

- [١٤] () البقرة : ١٩٧
- [١٥] () الحجّ : ٢٧.
- [١٦] () البقرة : ١٩٧.
- [١٧] () الفجر: ٢٩ - ٣٠.
- [١٨] () الجمعة : ٢.
- [١٩] () البقرة : ١٩٧.
- [٢٠] () البقرة : ١٢٥.
- [٢١] () الفتح : ٢٩.
- [٢٢] () نهج البلاغة : الخطبة : ٨٧.
- [٢٣] () البحار : ٩٦ - ٢٦١.
- [٢٤] () جواهر الكلام : بداية كتاب الحجّ .

من ملامح وخصائص الكعبة والمناسك

ان الحجّ من الأطروحات القرآنيّة ذات الطابع والمفهوم الخاص ، والترسيم المنفرد لما فيه من الخطوط الأصليّة والعامّة ، كما فيه الخصائص وما يميّزه عن باقي الأطروحات والمفاهيم الاسلاميّة .

وإذا أردنا أن نقف على بعض الملامح الأولىّة للحج على ضوء القرآن الكريم فيمكن أن نشير إلى النقاط التالية :

الأولى : الكعبة المشرّفة محور الأعمال في الحجّ :

فأنّها أوّل بيت وضع للناس ، ودحيت الأرض من تحتها، وأخذت مساحة وسيعة من حياة الانسان المؤمن منذ هبوطه إلى الأرض وإلى يوم القيامة ، فكانت المطاف والقبلّة لبني آدم ، معمارها آدم وحواء، ومخطّطها ومهندس بنائها جبرئيل ٧، وما مناسك الحجّ والعمرة وأعمالهما إلا شعاع نوري يبدء ويختم بالكعبة .

ومن هذا المنطق لابدّ من لحاظ الكعبة من خلال ما ورد في ترسيمها وبيانها في القرآن الكريم ، فإنّها تمتاز بما يلي :

(١ - أوّل بيت للعبادة على الأرض :

(إنّ أوّل بيتٍ وُضِعَ للنّاسِ) [1] .

فلا يتقدّم عليهما أي معبد من المعابد، وإن هذا البيت العتيق يتعلّق بالناس جميعاً من أوّل آدم إلى يوم القيامة ، فلا أوليّة لطائفة أو حزب أو قبيلة أو شريحة من شرائح المجتمع ، أو ملك من الملوك عليها.

(٢ - إنّها مباركة :

(لَّذِي بَيَّغَةً مُبَارَكًا) [2] والبركة من اسم الله المبارك بمعنى الخير المستقرّ

والمستمر .

(٣ - تنسب إلى الله تشريفاً وتعظيماً:

(طَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [3] . فانه وإن كان كلّ ما في

هذا الكون ملكاً لله (اللهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) إلا ان هذا البيت إختصّ وتشرفّ
بملكيتته وملكوته لله سبحانه وتعالى .

(٤ - أنّها البيت العتيق :

(وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) [4] .

العتيق : الثمين والنادر، أو القديم ، أو انه عتق من طوفان نوح ، فدار الماء حوله ،
أو انه بيت حرّة ، لا يدخل في ملك أحد، وإنها حرّة من كلّ قيد وتحجيم .

(٥ - بيت القيام والقوام :

(جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ) [5] فكانت من موجبات وآليات

قيام الناس وقوامهم .

(٦ - أنّها بيت ومركز لهداية البشريّة جمعاً:

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَيَّغَةً مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) [6] فالكعبة

توجب هداية الناس جميعاً لمن أراد أن يكون من المهتدين ، فرسالة الكعبة لا تنحصر
بمن قام فيها، أو بالمسلمين وحسب ، بل هي عامة للعالمين .

(٧ - الأمان للكعبة ومكة المكرمة :

(وَأَذِجَعْنَا النَّبِيَّ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [7] .

وهذا استجابة لدعوة إبراهيم الخليل ٧ : (وَأَذِ قَالِ إِبْرَاهِيمَ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا) [8] .

فجعل الله هذه البقعة من الأرض في أمن وأمان (وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) [9]

(أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا) [10] (أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ

شَيْءٍ) [11] (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) [12] .

ومثل هذا التركيز على الأمن في الحرم الالهي في آيات عديدة يدلّ على عظمة الموضوع ، وأثره في حياة الفرد والمجتمع .

(٨ - حرمة وإحترام الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام وحرمة من دخله :

فحرمة الكعبة :

(عِنْدَ بَيْتِكَ أَلْمُحَرَّمِ) [13] كما للمسجد الحرة كذلك : (وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي

جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ) [14] وكذلك يجب تقديس وإحترام البلد كلّهُ (حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ

ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) بل ومن دخله يكون آمناً بآمانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا أَشْهُرَ
الْحَرَامِ وَلَا أَلْهَدَى وَلَا أَلْقَالِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ) [15] .

(٩ - مثابة ورجوع للناس :

(وَأِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا) [16] .

المثابة منطقة الاياب والذهاب للناس كثيراً وطوال الاحقاب المتمادية ، ولمثل هذا
الأمر منافع عظيمة في كلّ مجالات الحياة .

(١٠ - تساوي الحقوق بين القانطين في مگة والوافدين .

(سَوَاءٌ أَلْعَاكِفُ فِيهِ وَأَلْبَادِ) [17] فالبلد الوحيد الذي إمتاز بالمواطنة للجميع

سواء الساكن والعاكف فيه أو الوارد والوافد، فلا يعدّ من الدرجة الثانية في

المواطنة ، وإن كان هذا القانون غير جارٍ في حكومة آل سعود، إلا انه من الأصول
المتريقيّة في الاسلام ، والدالّة على عظمة البلد المقدّس .

(١١ - الطهارة والنظافة :

إنّ الله نظيف ويحبّ النظافة ، وأنّها من الايمان وأنّه يحبّ المتطهّرين ، فأمر خليله
إبراهيم وذبيحه إسماعيل ٨ بعد بناء الكعبة وتجديد عمارتها (أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ
وَأَلْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [18] وإطلاقها يعم الطهارة الظاهريّة

والطهارة المعنويّة ، فلا يقترب المشرك منها فإنّه نجس ، يؤدّي شركه إلى تلوّث بيته التوحيدى ، وهذا المعنى يتجلّى في كثير من مناسك الحجّ ، كاستحباب الغسل في المواقف ، والتي منها الميقات وورود الحرم الشريف وورود المسجد الحرام ، وغير ذلك .

الثانية : من خصائص مناسك الحجّ :

(١ - من شعائر الله :

إنّ القرآن الكريم بعد أن يذكر مجموعة من مناسك الحجّ يشير إلى أنّها من شعائر الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ) [19] والشعائر جمع شعيرة بمعنى العلامة لمواضع العبادة لله سبحانه وتعالى .

(٢ - حضور الأغنياء المستطيعين مالاً وجسماً وسرباً :

(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) [20] .

ففي كلّ عام يجب على من كان مستطيعاً في بدنه وماله والطريق (السرب) فإنّه يجب عليه أن يحجّ البيت في عمره مرّة واحدة وما زاد فهو من التطوّع والنافلة .

(٣ - حضور الفقراء والمحتاجين :

فإنّه وإن وجب الحجّ على المستطيع الغني ، إلاّ أنّه أينما كانت الثروة كانت الأيدي العاملة والفقيرة ، ولتوافد العاملين والفقراء في مكّة المكرّمة فقد خصّهم الله سبحانه بقوله : (وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) [21] (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ

وَالْمُعْتَرَّ) [22] .

(٤ - ذكر الله:

فمن أهدم وأقدس أهداف الحج أن يذكروا الله سبحانه قولاً وعملاً (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامِ الْمَغْلُوبَاتِ) [23] (لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ آلَ الْمُحْسِنِينَ) [24] .

(٥ - التلاحق بين النبوة والإمامة ودورهما في حياة الانسان :

فأنه بعد الطواف يجب صلاة الطواف خلف مقام ابراهيم ، فيذكر المصلّي بشيخ الأنبياء وصاحب الأديان السماوية الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام ، فيكون على ملته ونهجه القويم .

إن في المسجد الحرام آيات بيّنات ، ألا أن الله خصّ منها مقام ابراهيم فيدلّ

على عظمة هذا الأمر وإنه إمام المصلّي والطائف (فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم) [25] .

(٦ - الحركة الدؤوبة والهجرة من مكان إلى مكان :

فقد إمتاز مناسك الحج بالحركة الدائمة من دون سكون ، بل الحركة إلى الميقات ثم الحرم ، فالطواف والسعي والاحرام للحج والوقوف بعرفات ومشعر الحرام ومنى ومناسكها وغير ذلك ، ممّا يوجب حركة الحجاج وتلاقيهم ووصولهم إلى الأهداف المتعالية والمقدّسة ، وتحريك المجتمع الاسلامي العالمي إلى الأمام من حركة هذا المؤتمر العالمي المصغّر، والذي يتجدّد في كلّ عام ، لمواصلة المسير ومواكبة المسار، بلا سكون وجمود وخمول وكسل وتضجّر، بل بكلّ حيوية ونشاط وعمل دؤوب وجهاد متواصل وجهد مضاعف لكلّ المسلمين رجالاً ونساءً، فما أروع هذه

الحركة والمظاهرات المليونية ، والتي تحكي من ورائها الحركة المليارديّة للمسلمين قاطبةً على إختلاف طوائفهم ومذاهبهم وقومياتهم وهويّاتهم وعرقياتهم ولغاتهم وألوانهم ودولهم وحكوماتهم وبلادهم ، فمن الشرق إلى المغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال ، الكل يطوف حول كعبة الآمال بجلال وجمال وكمال .

(٧ - الابتعاد عن الرذائل الاخلاقية الفردية والاجتماعية :

(الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) [26] .

فإنّ الحجّ ومواضعه ومشاعره المقدّسة ، مهبط أولى الألباب أولئك الذين تسلّطوا على نفسهم الامّارة بالسوء بتهذيب الروح وصيفة القلب ، فتخلّصوا من إسارة الشهوات (فلا رفث) ومن الانانيّة والتفاخر وما شابه (ولا فسوق) ومن الجدال بالباطل والغلبة على الآخرين عدواناً (ولا جدال) .

(٨ - مواضع الخير :

(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) [27] .

لقد وصى الله سبحانه بفعل الخيرات في الحجّ والعمرة ومشاعرهما ومناسكهما (وما تفعّلوا من خير يعلمه الله وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى) [28]

فالحج محطّ وموضع التزود بالتقوى وفعل الخير والاحسان .

والعبادات بصورة عامّة والحج بصورة خاصّة بعض أعمالها وأقوالها تؤثر في التخلية من الرذائل والقبائح والذنوب، وبعضها في التحلية من التحلي بالطاعات والفضائل والمحامد والمكارم ، وبعضها تجمع لكلا الأمرين ، الحجّ من القسم الأخير

لأنه معجون الهي مركب من أجزاء تدفع وترفع جميع أمراض القلوب المانعة من الورد في عالم النور والحضور في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

إنّ الحجّ ذو أبعاد مختلفة تحتوي على محورّية التوحيد وتمركزه المتبلورة بالنبوة الحقّة والامامة الصادقة بأمن وأمان ، ومنافع دنيوية أخروية ، في إطار الهداية وتسويق الناس إلى السعادة الأبدية ، والتحرّر من القيود الجغرافية

والتاريخية والعرقية والتخريبية والقبيلية والمذهبية ، فالكلّ عباد الله في طواف كعبته المشرفة وبيته العتيق ومسجده الحرام ، بحضور الأغنياء وتشغيل دولاب الاقتصاد، بسياسة حكيمة تسودها روح العبادة وذكر الله سبحانه مع الجماعة ، بلا عزلة وانقطاع ، وهذا من الطرح الالهي الناجح ، فانه هو العليم الحكيم .

ان للحجّ علائم من الجنة ، فانه ورد في الخبر الشريف إن الحجر الأسود (الأسود) من الجنة ، وإنّ الكعبة كان من ورائها خيمة من الجنة ، وان الحرم عمود ونور تلك الخيمة ، وزيارة الكعبة رجوع إلى الجنة (جئْثُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَفْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) [29] (وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) [30] (أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ

آمِنِينَ) [31] (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) [32] فحضور الحاج والحاجة والمعتّم والمعتمة

بجوار بيت الله الحرام ، نموذج من حضور الموحدين والمؤمنين في دار السلام وفي الجنة .

قال صاحب الجواهر: (إن الحجّ من أعظم شعائر الاسلام وأفضل ما يتقرّب به الأنام إلى الملك العلّام ، لما فيه من إذلال النفس وأتعاب البدن وهجران الأهل ، والتغرّب عن الوطن ورفض العادات وترك اللذاة والشهوات والمنافرات والمكروهات ،

وإنفاق المال وشدّ الرحال وتحمل مشاق الحل والارتحال ، ومقاصاة الأهوال والابتلاء بمعاشرة السفلة والانزال) .

إنّ الحجّ ليعين الانسان على معرفة نفسه (ومن عرف نفسه عرف ربّه) ومن عرف ربّه عرف كلّ شيء ، وأنّه من إحرامه إلى تقصيره ، ومن عرفاته إلى جمراته ، يحطّم الأصنام في النفوس ويتغلب على الهوى ، إن كان بمعرفة وصدق وإخلاص فيتخلص من الآلهة (مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) [33] ليوحد الله في كلّ حياته (وَلَكِنْ أُمَّةٌ

جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْـمُخْبِتِينَ [34] (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ۖ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ

مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) [35] (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا

وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [36] (وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ

يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [37] .

فالحاج عبد مسلم قد سلّم وفوض أمره إلى الله عزّ وجلّ ، ومثل هذا التسليم المحض والخالص يتجلّى في مناسك الحجّ في واجباته ومحرماته ومستحباته ومكروهاته ، لاسيّما لمن كان من أهل المعرفة والكشف والشهود .

[١] () آل عمران : ٩٦ .

[٢] () آل عمران : ٩٦ .

[٣] () الحجّ : ٢٦ .

[٤] () الحجّ : ٢٩ .

[٥] () المائدة : ٩٧ .

[٦] () آل عمران : ٩٦ .

[٧] () البقرة : ١٢٥ .

- [٨] () البقرة : ١٢٦ .
- [٩] () البقرة : ١٢٦ .
- [١٠] () العنكبوت : ٦٧ .
- [١١] () القصص : ٥٧ .
- [١٢] () التين : ٣ .
- [١٣] () ابراهيم : ٣٧ .
- [١٤] () الحجّ : ٣٧ .
- [١٥] () المائدة : ٢ .
- [١٦] () البقرة : ١٢٦ .
- [١٧] () الحجّ : ٢٥ .
- [١٨] () البقرة : ١٢٥ .
- [١٩] () المائدة : ٢ .
- [٢٠] () آل عمران : ٩٧ .
- [٢١] () آل عمران : ٢٨ .
- [٢٢] () آل عمران : ٣٦ .
- [٢٣] () الحجّ : ٢٨ .
- [٢٤] () الحجّ : ٣٧ .
- [٢٥] () الحجّ : ٢٨ .
- [٢٦] () البقرة : ١٩٧ .
- [٢٧] () البقرة : ١٥٨ .
- [٢٨] () البقرة : ١٩٧ .
- [٢٩] () الانعام : ٩٤ .
- [٣٠] () القيامة : ٢٢ - ٢٣ .
- [٣١] () الحجر : ٤٦ .
- [٣٢] () البقرة : ١٢٦ .

[٣٣] () الفرقان : ٤٣.

[٣٤] () الحجّ : ٣٤.

[٣٥] () النساء: ١٢٥.

[٣٦] () آل عمران : ٦٧.

[٣٧] () البقرة : ١٣٢.

من أسرار الحجّ في تهذيب النفوس

ان من أقدس وأعظم رسالة الأنبياء طرّاً، وشريعة سيّد المرسلين محمّد المصطفى خاصّة، هو تزكية النفوس وتربيتها، وتعليم الناس الكتاب والحكمة، وليقوموا الميزان بالقسط والعدل والاحسان .

فمن أسس الاسلام وروحه وجوهريته هي الأخلاق «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» حتّى قيل : إن الإسلام دين الاخلاق ، وهذا الهدف الإلهي والنبوي في تربية الانسان وتزكياته يتجلّى أكثر فأكثر في الحجّ ومناسكه وآدابه المعنويّة ، فإن الحجّ مدرسة تربويّة ومحطّات إيمانيّة وتقوائيّة يسودها الأخلاق الإلهيّة والنبويّة والولويّة ، ودروس في الاخلاق النظرية والعملية .

من أبلغ وصايا الامام الصادق للحاج قوله : «إذا أردت الحجّ فجرد قلبك لله تعالى من كلّ شاغل وحجاب كلّ حاجب» [1] فمن أراد أن يصل إلى ربّه قاب

قوسين أو أدنى ، ينال ذلك في سلوكه مسالك الفضائل والمكارم في الأفعال والصفات ، وجعل الله العبادات على أشكال مختلفة ، ربما من حكمته أن كلّ شكل يطرد رذيلة من الرذائل ، ويوجب التحلّى بواحدة من الفضائل ، والحجّ جامع الجمع في كسب الفضائل والمحامد .

إنّ الحجّ ليعلم الحاج والحاجة كيف يكونان مع أنفسهما ومع ربهما ومع المجتمع الصغير (الاسرة) والكبير عامة الناس من الجيران والأقرباء والأصدقاء وغيرهم .

إنّ الحجّ ليعطى روح التضحية والفداء وخدمة الناس والعطوفة والشفقة والمحبة والموادّة والاحترام المتبادل ، والسخاء وحسن البشر والأخلاق والانفاق والاحسان والتواضع واللين ، وتحمل الأذى والزهد والحرية من التعلّقات الدنيويّة والتخلّص من الانانيّة ، وغيرها الكثير كلّ هذا من بركات (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ) [2] لساناً وقلباً، جسداً وروحاً .

قال الامام الرضا ٧ بعد بيان مجموعة من حكم الحجّ وفلسفته : «وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرغبة والرهبّة إلى الله سبحانه وتعالى» [3]
والحجّ المبرور ما كان مقترناً بحسن الأخلاق وحسن الصحبة لمن صحبه .

وقال ٧: «إِنَّ عِلَّةَ الْحَجِّ الْوَفَادَةَ إِلَى اللَّهِ... وما فيه من الخضوع والإستكانة والذلّ»
«والخروج من كلّ ما إقتترف» «وحظرها عن الشهوات واللذات» «ومنه ترك
قساوة القلب وخساسة الأنفس ونسيان الذكر وانقطاع الرجاء والأمل ... وحظر
الأنفس عن الفساد» «وعند ما حلقت انك نويت انك تطهّرت من الأدناس وخرجت
من الذنوب كما ولدتك أمك» [4].

(علة الحجّ الوفاة إلى الله... وليكون تائباً ممّا مضى مستأنفاً لما يستقبل) فمن أسرار
الحجّ الاخلاقيّة التوبة والرجوع إلى الله سبحانه والاستغفار من الذنوب والقبايح ما
ظهر منها وما بطن .

وسيدّ الأخلاق التقوى ، وإنّ الله في آيات الحجّ أمر عباده أن يتزودوا بالتقوى (وتزوّدوا
فإنّ خيرَ الزادِ التّقوى) [5] فالتقوى والورع روح الحجّ ، بل روح كلّ
العبادات والطقوس الدينيّة (لن يتألّ الله لُحومها ولا دِمّاؤها ولكن يتألّه التّقوى) [6].

قال الامام الصادق ٧: «إذا أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله كثيراً» [7]

(فإذا قضيتُم مناسِككم فأذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً) [8] (وأذكروا الله في

أيام مغنوداتٍ) [9] «إنّما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي

الجمار لإقامة ذكر الله» «إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف واشعرت
المناسك لإقامة ذكر الله».

فالمقصود من مناسك الحج ذكر الله سبحانه على كلّ حال وفي جميع الأحوال (أن
تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَارِكُمْ وَقُرْآدَى) [10] .

«فَعِنْدَ مَا مَرَرْتِ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ نَوَيْتِ أَنْكِ اشْعُرْتِ قَلْبِكَ أَشْعَارَ أَهْلِ التَّقْوَى
وَالْخَوْفِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ» [11]

[١] () مصباح الشريعة : ١٤٢ .

[٢] () الحج : ٢٨ .

[٣] () علل الشرايع : ٤٠٤ .

[٤] () مستدرک الوسائل : : ١٠ ١٦٧ .

[٥] () البقرة : ١٩٧ .

[٦] () الحج : ٣٧ .

[٧] () الكافي : : ٤ ٣٣٨ .

[٨] () البقرة : ٢٠٠ .

[٩] () البقرة : ٢٠٣ .

[١٠] () سبأ : ٤٦ .

[١١] () مستدرک الوسائل : : ١ ١٦٦ .

ومن أسرار الحجّ السياسيّة والاجتماعيّة

- (١ - ايجاد الوحدة وتوحيد القلوب والصفوف بين المسلمين .
- (٢ - الرشد الفكري والوعي التام بين المسلمين .
- (٣ - التسالم والمصاحبة والمعاشرة بونام ومحبة وتفاهم بين كلّ الطوائف والمذاهب .
- (٤ - ارضيّة مناسبة لتشكيل أمة إسلاميّة واحدة .
- (٥ - الرشد الأخلاقي الاجتماعي ، وحفظ الحدود ورعاية القوانين .
- (٦ - الإهتمام البليغ بالبيئة بنظافة المحيط وحفظ سلامة المجتمع .
- (٧ - تقوية هويّة المجتمع الاسلامي .
- (٨ - تعليم وعرض عملي للمدينة الفاضلة والنموذجيّة .
- (٩ - الإعداد لمجابهة أعداء الاسلام .
- (١٠ - تمثيل مسرحية عظمة الاسلام والمسلمين .
- (١١ - البراءة من المشركين[1] .

[١] () اذا أردت تفصيل هذه العناوين فراجع : فرهنكنامه اسرار ومعارف حج ، تأليف معاونة أمور الروحانيين في ايران .

ومن أسرار الحجّ العرفانيّة

فان من أهم أبعاد الحجّ البعد العرفاني ، والذي يقصد منه معرفة مناسك الحجّ وآدابه المعنويّة المبتنية على الحقائق وبآيت الشهود والإشراق والوصول والاتّحاد مع الحقيقة ، وبتهذيب النفوس وصيقة القلوب ، حتّى تكون كالمرآة تنطبع فيها حقائق الأشياء من دون التجشم للاستدلال عليها بالعقل والبراهين العقليّة ، أو النقليّة فمن ينظر إلى الحجّ من هذه الزاوية فانه يقف على خزين من الحقائق والمعارف والأسرار الحنفيّة والألطف الجليّة تؤثّر في سيره السلوكي ، وفي تاميّة الحجّ العبادي والعرفاني والعملي .

ومن أهم الأسرار العرفانيّة في الحجّ

(١ - توحيد الله ومعرفته والسير الاعتقادي بين المبدء والمعاد المتمثل بالتوحيد الذاتي والصفات والأفعالي ، حتّى يزيد في إيمان المرء ويقينه وهدايته ، فإنّ الحجّ يجسّم لنا التوحيد، ونفي الشرك بكلّ مظاهره ومعالمه .

فالحج سير من الله وإلى الله، وممّا سوى الله إلى الفناء في الله والبقاء به .

قال الامام الصادق ٧: «وزر البيت متحقّقاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه
«[1] .

(٢ - التقرب إلى الله سبحانه فان الحاج بعد معرفة ربّه لا يتوقّف عن المسير إليه ، بل يسعى بين صفاء الروح ومرّوة القلب ، ويطوف حول كعبة الحبّ الإلهي ، ليشرب من زمزم طهوره ، ويقف في عرفاته ومشاعره ليتمنى على ربّه .

وهذا القرب لم يكن بزمان ومكان ، بل بالقرب القلبي والمعنوي من ربّه ، فيراه حاضراً ويناجيه في سرّه ، فيقرّ إليه بحجّ وعمره ، فيتخلص من كلّ الرذائل ليتحلّى

بكلّ الفضائل ، فيأنس برّبّه ليخرق الحجب النورانيّة في عالم الأرواح والعقول ،
والظلمانيّة في عالم الاشباح والمُثُل ، حتى يصل إلى ربه قاب قوسين أو أدنى في
مقعد صدق عند مليك مقتدر .

قال الامام الرضا ٧ : «إِنَّ عَلَّةَ الْحَجِّ ... التَّقَرُّبُ فِي الْعِبَادَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ» .

فمن يقصد مكّة حجّاً إنّما يحج إلى ربّه ويقصد الله في عرشه وفي دعاء سفره يقول :
«بِسْمِ اللَّهِ دَخَلْتُ ، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْتُ ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ... أَنَا عَبْدُكَ وَبِكَ وَلِيكَ
»[2] فحري بالحاج أن لا يضيع حجّه بالرّفث والفسوق والجدال والقتيل

والقال .

(٣ - الضيافة الأبدية لله سبحانه ، فان الخلق كلّهم في ضيافة الله بالمعنى الأعم على
مائدة إسم الرحمن (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) [3] كما إن

المسلمين في شهر رمضان في ضيافة الله سبحانه بالمعنى العام ، وفي مكّة المكرّمة
في أيّام معدودات في ضيافة بالمعنى الخاص ، ومن زار الانسان الكامل النبي
والامام المعصوم : وهو عارف بحقّه ، فأنه كان من أكرم الوفود على الله سبحانه ،
وكان في الضيافة الالهية بالمعنى الأخصّ .

فالحج ضيافة الله ومأدبته بإسم الرحمن الرحيم (إِنَّ عَلَّةَ الْحَجِّ الْوَفَادَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى)
(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) [4] .

قال الصادق ٧ : «إِنَّ ضَيْفَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ رَجُلٌ حَجَّ وَإِعْتَمَرَ ، فَهُوَ ضَيْفُ اللَّهِ حَتَّى
يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ» [5] .

قال أمير المؤمنين علي ٧: «الحاج والمعتمر وفد الله، وحق الله أن يكرم وفده ويحبوه بالمغفرة» [6].

(٤ - من الأسرار العرفانية في الحجّ استحكام الجانب المعنوي والروحي ، فان للزمان والمكان والمناسك المقدّسة آثار معنويّة وروحيّة تنعكس على الروح الانسانيّة ، فانّها ممّا توجب طهارة وسلامة الباطن ، وتفعل الإيمان والدين بقوة ويقين .

قال أمير المؤمنين علي ٧: «والحجّ تقوية الدين» [7].

وقال الامام الرضا ٧ في فلسفة الحجّ : «وحظر النفس عن الفساد» [8].

فالحجّ شفاء من كلّ سقم وداء روحي ونفساني ومن الأمراض القلبية .

(٥ - تجلّى العبوديّة والمقياس في الطاعة كمّاً وكيفاً :

ورد في الحديث القدسي : «خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي» «عبدني أطعني حتى أجعلك مثلي أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون» «العبوديّة جوهره كنهها الربوبيّة» فالمقصود من الخلق وسرّ الخليفة وفلسفة الحياة هو العبادة والمعرفة ، وهذا ما يتجلّى في الحجّ بصورة أبهى وأجلّ ، فانّه تسليماً لله يحرم ويحرم على نفسه المحرّمات ، ثمّ يطوف مع الطائفين ويركع ويسجد مع الراكعين والساجدين ويسعى ويجمع الحصى ويرمي ويذبح ويحلق ويقصر (البّيک بحجّة حقّاً تعبّداً ورقاً) فالحجّ يكمل للعبد مقام عبوديته لله سبحانه وتعالى .

(٦ - الرياضة الشرعيّة للأمة الاسلاميّة :

فإنَّ الحجَّ دورة كاملة في الرياضيات الشرعية التي تعين السائر والسالك إلى الله سبحانه في سيره العرفاني ، فإن الحجَّ هو الجهاد الأصغر ، ومحطّات إيمانية لدرك الفيوضات الالهية ، والكمالات الانسانية «نعم الجهاد الحجَّ» .

(٧ - التذكير بالموت والمعاد :

الحجَّ جسر عامر بين الدنيا والآخرة ، فإنّه في مناسكه يذكر الانسان بيوم القيامة ، فمن أحلى مشاهدته ساعة الميقات ومكانه وبعد لبس ثوبي الاحرام ، كانما يرى الحاج نفسه في محشر القيامة ، بانتظار ساعة الطواف ، وكأنّها ساعة الحساب .

قال الامام الصادق ٧: «ولا شرع نبيّه في حلال وحرام ومناسك على ترتيب ما شرعه ، إلا الاستعداد والإشارة إلى الموت والقبر والبعث والقيامة ، وفصل بيان السبق في الدخول الجنّة أهلها، ودخول النار أهلها، بمشاهدة مناسك الحجّ من أولها إلى آخرها لأولى الألباب وأولى النهى» [9] .

فسفر الحجّ أشبه ما يكون بسفر الآخرة وعقبته من الاحتضار والموت والقبر والحشر والمعاد، لمن كان من ذوي الألباب والعقول النيرة والخالصة من شوائب الدنيا والمعاصي والردائل .

(٨ - الانقطاع إلى الله :

من همّة العرفاء في سيرهم وسلوكهم الانقطاع ممّا سوى الله، وكمال الانقطاع إليه (وهب لي كمال الانقطاع إليك) [10] .

قال الامام الصادق ٧: «إذا أردت الحجّ فجرّد قلبك لله عزّوجلّ من قبل عزمك ، من كلّ شاغل وحجاب كلّ حاجب» [11] .

فمن أهم فلسفة الحجّ وأسراره هو الانقطاع إلى الله سبحانه ولقائه الجميل بجلال
وجمال وكمال ، وهذا يتم بعد التخليّة من الرذائل ، والتخلّيّة بالفضائل ، وتجليّة
مكارم الأخلاق ومحامد الأفعال في النفوس والقلوب . فالحاج بإحرامه يحرم على
نفسه غير ربّه ، وما ليس عليه إسم الله سبحانه وتعالى ، ويكون عبداً خالصاً لله
سبحانه «فعلة الحجّ الوفاة إلى الله وطلب الزيادة» في الكمال والجمال .

وسئل الامام الباقر عن وجه تسمية الحجّ فقال ٧: «حج فلان أي أفلح فلان».

وقال الامام الصادق ٧: «هو شعبة من رضوانه ، وطريق يوذي إلى غفرانه
منصوب على إستواء الكمال ومجتمع العظمة والجلال» [12].

وإذا وجب على الحاج والحاجة أن يذبحا قرباناً في منى يوم العيد، فإنهما من ورائهما
يلتفتان إلى أن المطلوب منهما ذبح النفس الأمارة بالسوء، وفي كلّ منسك من
مناسك الحجّ ، تتجلى مثل هذه اللطائف والاشارات والأداب المعنويّة، فإنّها سلّم
للسعود والعروج إلى عوالم الملكوت والجبروت واللاهوت.

(وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِفُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ
كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ آدَىٰ مِنْ رَأْسِهِ فَفَدِيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ
يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [13].

[١] () مصباح الشريعة : ٧٦.

[٢] () وسائل الشيعة : ٨ : ٥.

[٣] () الإسراء: ٤٤.

[٤] () الحجّ : ٢٧.

[٥] () البحار: ٩٩ : ٨.

[٦] () تحف العقول : ١٢٣.

- [٧] () نهج البلاغة : الخطبة الأولى .
- [٨] () علل الشرايع : ٤٠٤ .
- [٩] () أدب الدنيا والدين : ١٧٢ .
- [١٠] () المناجاة الشعبانية - مفاتيح الجنان .
- [١١] () مصباح الشريعة : ٧٤ .
- [١٢] () الكافي : : ١٩٧ ٤ .
- [١٣] () البقرة : ١٩٦ .

أنواع الحجّ وبعض السرّ في مقدّماته

من الواضح كما في الفقه الاسلامي ينقسم الحجّ إلى ثلاثة أقسام :

١ - حجّ الأفراد: يجب على من سكن مكّة المكرّمة وأطرافها إلى (٤٨ ميل) أو لم يتوفّق إلى عمرة التمتع في وقتها، أو حصل له مانع من إتمام حجّ التمتع ، فيبدل إلى حجّ الأفراد.

٢ - حجّ القران : لمن كان من أهل مكّة أيضاً، ويأخذ الحاج هديّه من ميقاته .

٣ - حجّ التمتع : لمن بعد عن مكّة المكرّمة ب(٤٨ ميلاً) وهو أفضل أنواع الحجّ ويرجع تاريخه إلى حجّة رسول الله المعروفة بحجّة الوداع في آخر حياته الشريفة بعد نزول قوله تعالى : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) [1] فخرج النبيّ في معشر المسلمين ... فخطب النبيّ

الأعظم ٦ في المروة ، وأشبك بين أصابعه وقال : «دخلت العمرة في الحجّ كأصابع يدي بعضها في بعض» [2] .

فقال له رجل من القوم : لنخرجنّ حجّاجاً وشعورنا تقطر؟ قال له رسول الله ٦ : «أما إنك لن تؤمن بعدها أبداً» وقد حرّمها بعد رسول الله ٦ .

الكافي بسنده عن معاوية بن عمّار قال : سمعت أبا عبد الله ٧ يقول : «الحجّ ثلاثة أصناف : حجّ مفرد وقران وتمتّع بالعمرة إلى الحجّ ، وبها أمر رسول الله ٦ والفضل فيها، ولا تأمر الناس إلاّ بها» .

وقال ٧ : «التمتّع أفضل الحجّ وبه نزل القرآن وجرت السنّة» .

وعن صفوان قال : قلت لأبي عبدالله ٧ ان بعض الناس يقول جرد الحجّ وبعض الناس يقول أقرن وسُق ، وبعض الناس يقول تمتّع بالعمرة إلى الحجّ ، فقال : «لو حججت ألف عام لم أقرنها إلا متمتّعاً» [3] .

وقال الامام الرضا ٧ في سرّ حجّ التمتعّ : «إنّما أمرُوا بالتمتعّ إلى الحجّ لأنّه تخفيف من ربكم ورحمة ، لا يسلم الناس في إحرامهم ولا يطول ذلك عليهم ، فيدخل عليهم الفساد، وأن يكون الحجّ والعمرة واجبين جميعاً، فلا تعطلّ العمرة ، وتبطل ولا يكون الحجّ مفرداً من العمرة ، ويكون بينهما فصل وتميز، وأن لا يكون الطواف بالبيت محظوراً، لأن المحرم إذا طاف بالبيت أحلّ إلا لعلّة ، فلو لا التمتعّ لم يكن للحاج أن يطوف ، لأنّه إن طاف أحلّ وأفسد إحرامه» [4] .

ثمّ لا بدّ من التهيّء الكامل للحجّ بالزاد والراحلة وغيرهما من مقدّمات الحجّ فيدخل فيها (جواز السفر) ومشاكله في بلادنا الاسلاميّة في عصرنا الحاضر.

قال الامام الصادق ٧ لعيسى بن منصور: «يا عيسى اني أحبُّ أن يراك الله عزّوجلّ فيما بين الحجّ إلى الحجّ وأن تنهياً للحجّ» [5] .

ومن هذا المنطلق الكريم ورد عن الامام الصادق ٧: «لو أنّ أحدكم اذا ربح الربح أخذ منه شيء فعزله فقال : هذا للحجّ ، وإذا ربح أخذ منه وقال هذا للحجّ ، جاء أبان الحجّ وقد اجتمعت له نفقة ، عزم الله فخرج ، ولكن أحدكم يربح الربح فينفقه فاذا جاء أبان الحجّ - أي وقت الحجّ - أراد أن يخرج ذلك من رأس ماله فيشق عليه» [6] .

ومن كان يفكر بالحج طيلة سنة بجمع من زاد من النفقة من المال ، فإنه لا شكّ يعيش الحالة الروحانيّة التي يعيشها الحاجّ في أيّام حجّه يسود حياته الجانب المعنوي والإلهي ، فيبارك له في عمره وماله .

ومن الواضح المبيّن أنّ الحجّ المقبول إنّما يكون من المال الحلال .

(إذا اكتسب الرجل مالاً من غير حلّه ثمّ حجّ ولبّي نودي لا لبّيک ولا سعديک ، وإن كان من حلّه فلّبّي نودي لبّيک وسعديک) [7] .

ان الله سبحانه يتقبّل من المتّقين ، وإن الطيب للطيب ، فمن كان ماله حلالاً طيباً كان حجّه طيباً مقبولاً، وإلا كان مردوداً وأصبح عليه وبالاً ووزراً.

ثمّ المفروض أن يتزود الانسان بأحسن ما عنده من الزاد.

كان الامام علي بن الحسين ٧ اذا سافر إلى مكة للحجّ أو العمرة تزوّد من أطيب الزاد من اللوز والسكر والسويق والحمص والمحلّى [8] .

وحتى من زاد في الزاد لا يعدّ مسرفاً.

قال رسول الله ٦: «ما من نفقة أحبّ إلى الله عزّوجلّ من نفقة قصد أيّ الانفاق باقتصاد، ويبغض الإسراف إلا في الحجّ والعمرة» [9] .

فالمفروض أن يكون الأحسن والأفضل والأطيب في سبيل الله كالحجّ والعمرة والجهاد وغير ذلك لوحدّة الملاك والمناط .

الفصل الثالث : من فلسفة الحجّ في القرآن الكريم

- [١] () الحجّ : ٢٧.
- [٢] () وسائل الشيعة : ٨ : ١٥١.
- [٣] () الكافي : ٤ : ٢٩٢.
- [٤] () الوسائل : ١١ : ٢٣٢.
- [٥] () الكافي : ٤ : ٢٨١.
- [٦] () الكافي : ٢٨٠.
- [٧] () من لا يحضره الفقيه : ٢ : ٣١٧.
- [٨] () الفقيه : ٣ : ٣٨٢.
- [٩] () المصدر نفسه .

الفصل الثالث

من فلسفة الحجّ في القرآن الكريم

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

لقد أمر الله سبحانه خليله إبراهيم ٧ بعد أن رفع قواعد بيته مع إسماعيل أن يؤذّن في الناس بالحجّ فقال عزّ وجلّ: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) [1] .

وفي كلّ عام يلبي الملايين من المسلمين داعي الله حبّاً وشوقاً، فيأمّون بيت الله الحرام تعظيماً لشعائر الله، وتهوى القلوب ديار مكة المكرمة والكعبة المشرفة (فَأَجْعَلِ الْأُفْدَةَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) [2] فمن أقطار الأرض يحجّون بيت الله

رجالاً وركباناً، بألوان مختلفة ، والسنة متعدّدة ، وجنسيات وجغرافيات ومذاهب ومكوّنات متفاوتة ، إلا أنّ هتاف الكل بصرخة واحدة ، وبشعار التوحيد الموحد (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك) . وما أروع وأجمل تلك المشاهد

المقدّسة وذلك المؤتمر الاسلامي العالمي ، الذي ينعقد في كلّ عام وفي أيّام معدودات ومعلومات ، وما أكثر المنافع الدنيويّة والدنيويّة بكلّ أبعادها الثقافيّة والاجتماعيّة والتجاريّة والسياسيّة وغيرها الكثير، التي يشاهدها المسلمون ، كلّ ذلك من بركات الحجّ ، ومن بركات الكعبة المشرفّة .

ومن خلال الآيات الكريمة يمكن الإشارة إجمالاً إلى جملة من فلسفة الحجّ وفي نقاط :

(١ - الحجّ بركة وهداية للناس جميعاً: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) [3] وبكّة هي مكّة المكرّمة ، أو مكان يزدحم فيها

الناس فيبكّ بعضهم بعضاً، كما يذللّ المستكبرين ، أو لبكاء الناس من حولها أو فيها، فجعل الله البيت العتيق الذي عتق من طوفان نوح ، أو أقدم بيت وضع للناس هدى ومحلاً للنزول البركات والألطف الإلهيّة الجليّة والخفيّة ، العامّة والخاصّة ، والبركة هو الخير المستقر والمستمر، ولا تختصّ مكّة والكعبة بطائفة من الناس دون أخرى ، بل هي هداية لكلّ الناس من آدم ٧ إلى يوم القيامة ، لكلّ من قصدها متكرراً، خالصاً ومخلصاً.

(٢ - مثابة وأمناً للناس (وَإِذْ جَعَلْنَا الْمَبْتَأَةَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا) [4] .

فان الله سبحانه أمر نبيّه إبراهيم الخليل ٧ وعهد إليه مع ولده إسماعيل ٧ : (أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [5] فان أبناء إبراهيم ٧

بأديانهم الثلاثة (اليهوديّة والنصرانيّة والاسلام) يحجّون بيت الله الحرام ، بيت الطهارة والعبادة ، فيرجعون ويلتجأون بذلك البيت الآمن ، خلاصاً من الأذى ، ومن عذاب الله الأليم .

(٣ - قياماً للناس : (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ) [6] فان من

أهداف وفلسفة بعثة الأنبياء والمرسلين : أن يقوموا بين الناس بالقسط والعدالة الاجتماعية (وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [7]

ومن أبرز العوامل الذي يجمع الناس للنهوض والقيام والثورة بكل مجالاتها الفكرية والسلوكية هو الكعبة المشرفة .

قال الامام الصادق ٧: «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة» [8] .

فالبشرية سواء في حج بيت الله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً أَعَابِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) [9] .

فالكل دعاهم الله إل الهجرة الإيمانية من المعصية إلى الطاعة ، ومن البعد إلى القرب ، ومن الدنيا إلى الآخرة ، ومن قيام وإستهاض وثورة عارمة وعالمية تنطلق من الحج ومن بيت الله الحرام ومن الكعبة المشرفة .

[١] () الحج : ٢٧ .

[٢] () ابراهيم : ٣٧ .

[٣] () آل عمران : ٩٦ .

[٤] () البقرة : ١٢٦ .

[٥] () البقرة : ١٢٥ .

[٦] () المائدة : ٩٧ .

[٧] () الحديد : ٢٥ .

[٨] ()

[٩] () الحج : ٢٥ .

من السرّ في آية الحجّ

قال الله تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه : (وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ عَنِيّ عَنِ الْعَالَمِيْنَ) [1] .

وقال سبحانه : (وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّٰهِ) [2] (الْحَجُّ اشْهُرٌ مَّعْلُوْمَاتٌ فَمَنْ

فَرَضَ فِيْهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوْقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَّعْلَمُهُ اللّٰهُ وَتَزَوَّدُوا فَاِنَّ خَيْرَ الَّذِيْ زَادَ اتَّقَوٰى وَاتَّقُوْنَ يَا اُولِي الْاَلْبَابِ) [3] .

من أوّل الآيات الكريمة الدالّة على وجوب الحجّ لمن كان مستطيعاً، قوله تعالى (وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ) .

بيان ذلك :

(الله): يدل على الوجوب والاحلاص وحصر العبادة إياه .

(على الناس): يدل على أنّ الحجّ كان من قديم الزمان من لدن آدم وإلى يوم القيامة .

عن الامام الصادق ٧: إن الحجّ لعامة الناس ، فلا يختصّ بزمان ولا مكان ولا أقوام ولا طوائف ولا أمم ولا شعوب .

(حج البيت): الحجّ لغةً : - بفتح الحاء المهملة - من حجّ يحجّ حجاً فهو مصدر يدلّ على مجرد الحدث من دون أن يقترن بأحد الأزمنة الثلاثة - الماضي والحاضر والمستقبل - وإنه بمعنى القصد المتكرّر .

وفي المصطلح : عبارة عن مناسك خاصّة في أيّام معلّومات ومعدودات .

وأما الحجّ - بكسر الحاء المهملة - فهو إسم مصدر، ويدلّ على ما يحصل من الحجّ من الآثار المعنويّة والروحيّة ، فالمصدر يدلّ على أصل الفعل ، وإسمه يدلّ على ما يحصل من الفعل من إسقاط التكليف الشرعي والقرب من الله سبحانه .

فالحجّ المطلوب عند الله سبحانه ليس مجرد أصل الفعل ، بل ما يحصل من فعل الحجّ من الصيانة المعنويّة والآثار الروحيّة والمقامات الرفيعة التي تجمعها كلمة (التقوى) كما يجري ذلك في الفرق بين الصوم والصيام ، فالذي كتب على المؤمنين كما كتب على الذين من قبلهم هو الصيام ، وليس مجرد الصوم ، لأنّه ربّ صائم وليس له من صومه إلاّ الجوع والعطش ، فالمقصود من الصيام (لعلّكم تتقون) وكذلك الحجّ (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) [4] وإلّا ورد في أحاديثنا

الشريفة : «ما أكثر الضجيج وأقلّ الحجيج» (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) [5] فان

أكثرهم كالأنعام بل أضلّ سبيلاً.

ثمّ المراد من (البيت) هو البيت العتيق الذي وضعه الله للناس من اليوم الأوّل ، فكان عتيقاً، كما عتق من طوفان نوح ٧، كما أنّه الثمين كالنثرات العتيق ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في ستّة عشر موضعاً.

(من استطاع إليه سبيلاً) أعم من الاستطاعة المالية والبدنيّة والسربيّة ، أي الطريق ، كما ذكرها الفقهاء في رسائلهم العمليّة .

(ومن كفر فإن الله غنيّ عن العالمين) فمن يترك الحجّ وهو مستطيع من دون عذر، فقد كفر بنعمة الله، وهذا من الكفر العملي ، ويأتيه ملك عند نزع روحه ويقول له : مُت يهودياً أو نصاريّاً أو مجوسياً. فلا يموت على دين الإسلام ، المحمّدي الأصيل - والعياذ بالله - .

ثمّ لا يضر من كفر بالله في عقيدته أو سلوكه ، إنّما يضرّ نفسه ، فإن الله غنيّ عن الحاج وحجّه ، بل غنيّ عن العالمين ، أنّه غنيّ بالذات ، فإنّه الكمال المطلق ومطلق

الكمال في الذات والصفات والأفعال : (أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [6] فلا يضره من ضلّ عن سبيله ، وإرتكب معاصيه ، وكفر بنعمه وآلائه ،

إنّما هو الخاسر خسراناً مبيناً.

ثمّ ممّا يدلّ على الوجوب والتأكيد على الحجّ لمن كان مستطيعاً الوجوه التالية :

١ - (الله على الناس) جملة خبريّة ، وإنّها أقوى من الجملة الانشائيّة للدلالة على الوجوب وتأسيس حكم أو إمضائه .

٢ - إنّها جملة إسميّة وهي أدل على الوجوب من الفعلية لدلالاتها على الثبوت والاستمرار.

٣ - لام التكليف في قوله (الله) وللتأكيد الذي إقترن مع الله، مقدمة على المبتدئ وهو الحجّ ، فيدلّ على الحصر.

٤ - ذكر (على الناس) بعد قوله : (الله) يفيد التأكيد فيدلّ على الوجوب .

٥ - ذكر المكفّون مرّتين : (على الناس ... من استطاع اليه) بدلاً من أن يقال : الله على المستطيع ، ففي الآية بدل البعض عن الكل ، ويفيد التأكيد والوجوب .

٦ - عبّر عمّن ترك الحجّ بالكفر - وهو من الكفر العملي - .

عن الامام الصادق ٧: «من مات ولم يحجّ حجة الاسلام لمن يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحجّ ، أو سلطان يمنعه ، فليمت يهودياً أو نصرانياً».

وهذا يدلّ على الوجوب الفوري ، لعدم علم الانسان بساعة موته ، فلا يؤخّر الحجّ ويسوّفه - أي يقول سوف أذهب - لمن كان مستطيعاً.

٧ - لاظهار عدم الاعتناء بمن ترك الحجّ قال سبحانه : (فان الله غنيّ عن العالمين) فانه غنيّ ليس لمن ترك الحجّ وحسب بل لكلّ العالمين .

ثمّ في الحجّ أسرار وحكم تجمعها الايمان الكامل بالمبدء والمعاد، بالله سبحانه واليوم الآخر، وما بينهما من الايمان بالرسول والكتب النازلة عليهم ، وبالامامة من بعد الرسل .

وإليك هذا الحديث الشريف عن الامام الصادق ٧ في سرّ من أسرار الحجّ وهو التذكّر بيوم القيامة ، وفي خبر آخر من أسراره الاختبار والامتحان .

قال ٧: «وإعلم بأنّ الله تعالى لم يفترض الحجّ ولم يخصّه من جميع الطاعات بالاضافة إلى نفسه بقوله عزّوجلّ : والله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً، ولا شرع نبيّه ٦ سنّة في خلال المناسك على ترتيب ما شرّعه للاستعداد والاشارة إلى الموت والقبور والبعث والقيامة بمشاهدة مناسك الحجّ من أولها إلى آخرها لأولى الألباب وأولى النهى» [7].

القطب الراوندي في لبّ الألباب روى : ان أحوال الحجّ كأحوال الموت ، فكما يكتب الانسان وصيّته عند الموت كذلك عند الحجّ ، وكما يركب على راحلته يحمل على الجنازة ، وكلّ إمراً يوماً سيركب كارهاً على النعش أعناق العدى والأقارب وإذا دخل البادية فكأنّما أدخل قبره .

والاغتسال للاحرام كغسل الميت ولبس ثياب الاحرام كالكفن ، وإذا خرج من الميقات فكأنّه نشر من قبره ، والتلبية إجابة الدعاء، ويرى أشعث أغبر فكأنّه خرج من قبره ، وكلّما سلك عقبة يذكر عقبات يوم القيامة لعلّه يكفّرها) [8].

الكافي بسنده عن عيسى بن يونس قال : كان أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري ، فانحرف عن التوحيد، وقدم مگة متمرداً وإنكاراً على من يحجّ ، وكان يكره العلماء مجالسته ومساءلته لخبث لسانه وفساد ضميره ، فأتى أبا عبدالله ٧ فجلس في جماعة من نظرائه فقال : يا أبا عبدالله إن المجالس أمانات ولا بدّ لكلّ من به سعال أن يسعل ،

أفتأذن في الكلام؟ فقال: تكلم، فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر (أي شبه الكعبة والطائفين بالحيوانات التي لا تعقل تدور حول بيدر الطعام) وتلذذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البيت المعمور بالطوب وتهزلون حوله هروء البعير إذا نفر؟ إن من فكر في هذا وقدر، علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فأنك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أسسه وتمامه.

فقال أبو عبدالله ٧: «إن من أضله الله وأعمى قلبه استوخم ولم يستعذ به، وصار الشيطان وليه وربّه وقرينه يورده مناهل الهلكة، ثم لا يصدره، وهذا البيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محلّ أنبيائه وقبلةً للمصلين إليه، فهو شعبة في رضوانه، وطريق يوئدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحق من أطيع فيما أمر وانتهى عما نهى عنه، وزجر الله المنشيء للأرواح والصور» [9].

[١] () آل عمران : ٩٧.

[٢] () البقرة : ١٩٦.

[٣] () البقرة : ١٩٧.

[٤] () البقرة : ١٩٧.

[٥] () سبأ: ١٣.

[٦] () فاطر: ١٥.

[٧] () مصباح الشريعة : ٤٧.

[٨] () مستدرک الوسائل : : ١٠ ١٧٥.

[٩] () الكافي : : ٤ ١٩٨.

آثار الحجّ والعمرة في الدنيا والآخرة

كما جاء في الروايات

إنّ الحجّ عهد من الله للناس ، فيه معالم الدين ومظاهر الاسلام ، يجمع بين أصوله وفروعه من الصلاة والصوم والجهاد والزكاة والخمس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتولّى والتبرّى .

قال الامام الصادق ٧: «وَدَّ مَنْ فِي الْقُبُورِ لَوْ أَنَّ لَهُ حِجَّةً بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» [1] .

إنّ مكان الحجّ وزمانه وما فيه من المناسك والمعالم كلّها من شعائر الله (إنّ الصّفا والمروة من شعائر الله) ولبيان إهتمام الشارع المقدّس بحفظ الشعائر جعلها من المحرّمات (وَمَنْ يُعْظَمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) [2] (ذلك ومن

يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) [3] .

ثمّ ممّا يدلّ على وحدانيّة الله وصانعيّته معالم الحجّ (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ) [4] (فأجعلن أئندة من النّاس تهوي إليهم) [5] .

ومن أكبر نعم الله وآلائه الحجّ (وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها) [6] فمن

يتمكّن من أن يحصى آثار الحجّ وفوائده وعوائده وأسرارها في الدنيا والآخرة؟! هيهات هيهات ، ألاّ أنّه نغرف من بحار أنواره بسعة كفّ أيدينا، عسى أن نروي بعض العطش العلمي والعرفانينا، وما توفيقنا إلاّ بالله العليّ العظيم .

وإليك نبذة يسيرة ، وغيض من فيض آثار الحجّ والعمرة من خلال ما ورد في الروايات الشريفة واكتفي بالنص ، وأحيل التعليق والشرح على نباهة القارئ الكريم وثقافته وذكائه وما عنده من خزين العلوم والمعارف :

(١) - ضمان الحاج على الله إن أبقاه بلّغه أهله وإن أماته أدخله الجنّة .

(٢) - الحجّة ثوابها الجنّة والعمرة كفّارة لكلّ ذنب .

(٣) - من ظنّ بعد الحجّ أنّ الله لم يغفر له فهو من أعظم الناس وزراً .

(٤) - يكتب له بكلّ خطوة عشر حسنات ، ويمحى عنه عشر سيئات .

(٥) - يحفظ في أهله .

(٦) - كان آمناً في الدنيا والآخرة .

(٧) - ينال رضا الله سبحانه .

(٨) - عليه نور الحجّ ما لم يذنب .

(٩) - إنّ سأل الله أعطاه ، وإنّ دعاه أجابه ، وإنّ شفّعه شفّعه ، وإنّ سكت إبتدأه ، ويعوّض الدرهم منه بألف درهم ، وفي خبر آخر بألف ألف - أي مليون درهم - .

(١٠) - الحاج في ضمان الله إن مات متوجّهاً غفر الله له ذنوبه ، وإن مات محرماً بعثه الله مليئاً ، وإن مات بأحد الحرمين بعثه الله من الأمنين ، وإن مات منصرفاً غفر الله له جميع ذنوبه .

(١١) - الحجّ جهاد الضعفاء، وقال الأئمّة :: نحن الضعفاء.

- (١٢) - اذا خرج للحجّ لا يزال في طواف وسعي حتى يرجع .
- (١٣) - من مات في طريق مكّة ذاهباً أو جائياً، أمن من الفزع الأكبر يوم القيامة .
- (١٤) - الحجّ والعمرة سوقان من أسواق الآخرة ، العامل بهما في جوار الله، إن أدرك ما يأمل غفر الله له ، وإن قصر به أجله ، وقع أجره .
- (١٥) - الحاج ثلاثة : فأفضلهم نصيباً رجل غفر له ذنبه ما تقدّم منه وما تأخّر ، ووقاه الله عذاب القبر ، وأمّا الذي يليه فرجل غفر له ما تقدّم منه ويستأنف العمل فيما بقي من عمره ، وأمّا الذي يليه فرجل حفظ في أهله وماله ، وروى أنّه هو الذي لا يقبل منه الحجّ .
- (١٦) - المحبّ لأهل البيت يغفر له ، وغيره يحفظ في أهله وماله .
- (١٧) - الحاجّ والمعتّم يرجعان كمولودين : مات أحدهما طفلاً لا ذنب له ، وعاش الآخر ما عاش معصوماً .
- (١٨) - الحجّ فلاح فيقال حجّ فلان أي أفلح فلان .
- (١٩) - إنّ الله عزّوجلّ ليغفر للحاج ولأهل بيت الحاج ، ولعشيرة الحاج ، ولمن يستغفر له الحاج بقيّة ذي الحجّة والمحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل وعشرين من شهر ربيع الآخر .
- (٢٠) - الحاجّ إذا دخل مكّة وكّل الله به ملكين يحفظان عليه طوافه وصلاته وسعيه ، فاذا وقف بعرفة ضربا على منكبيه الأيمن ثمّ قالاً: أما ما مضى فقد كفيته فانظر كيف تكون فيما تستقبل .
- (٢١) - في قوله تعالى (ففرّوا إلى الله) أي حجّوا إلى الله .
- (٢٢) - الحجّ والعمرة ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد .
- (٢٣) - الحاجّ والمعتّم وفد الله، ويحبوه بالمغفرة .

- (٢٤ - من أراد الحجّ فتهيأ له فحرمه فبذنب حرمه .
- (٢٥ - إن إبراهيم أذن في الناس بالحج فقال : يا أيُّها الناس إنِّي إبراهيم خليل الله ، إنَّ الله أمركم أن تحجَّوا هذا البيت فحجَّوه ، فأجابه من يحجّ إلى يوم القيامة ، وكان أوَّل من أجابه من أهل اليمن .
- (٢٦ - حجَّوا وإعتمروا تصحَّ أجسامكم ، وتتسع أرزاقكم ، ويصلح إيمانكم ، وتكفَّوا مؤنة الناس ومؤنة عيالاتكم .
- (٢٧ - عليكم بحجّ هذا البيت فأدمنوه ، فإن في إيمانكم الحجّ دفع مكاره الدنيا عنكم ، وأهوال يوم القيامة .
- (٢٨ - من حجّ حجّتين لم يزل في خير حتَّى يموت .
- (٢٩ - من حجّ ثلاث حجج لم يصبه فقراً أبداً .
- (٣٠ - حجَّوا تستغنوا .
- (٣١ - ما رأيت شيئاً أسرع غنىً ولا أنفى للفقير من إيمان حجّ البيت .
- (٣٢ - حق الحجّ أن تعلم أنّه وفادة إلى ربِّك ، وفرار إليه من ذنوبك ، وبه قبول توبتك ، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك .
- (٣٣ - حجّ البيت والعمرة ينفيان الفقر ، ويكفّران الذنب ، ويوجبان الجنّة .
- (٣٤ - من سوّف الحجّ حتَّى يموت ، بعثه الله يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً .
- (٣٥ - في قوله تعالى : (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً) [7] ذاك الذي يسوّف الحجّ يعني : حجّة الاسلام يقول : العام أحجّ ، أحجّ العام ، حتَّى يجيئه الموت .

(٣٦ - الْحَجَّ حَجَّانَ : حَجَّ لِّلّهِ وَحَجَّ لِلنَّاسِ ، فَمَنْ حَجَّ لِّلّهِ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ ،
وَمَنْ حَجَّ لِلنَّاسِ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وفي القيامة كلّ يفرّ من الآخر ، وكلّ يفكر بنفسه (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [8] (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ
وَبَنِيهِ) [9] .

(٣٧ - مَنْ حَجَّ يَرِيدُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَرِيدُ بِهِ رِيَاءً وَلَا سَمْعَةَ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ الْبُتَّةَ - أَي
حَتْمًا - .

(٣٨ - مَنْ أَمَّ هَذَا الْبَيْتَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا مَبْرَأً مِنَ الْكِبَرِ ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَهَيْئَةِ يَوْمِ
وُلِدَتْهُ أُمُّهُ [10] .

(٣٩ - إِنَّمَا أَمْرُوا بِالْحَجِّ لَعَلَّةَ الْوَفَادَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ، وَطَلَبِ الزِّيَادَةِ وَالْخُرُوجِ مِنْ
كُلِّ مَا اقْتَرَفَ الْعَبْدُ تَائِبًا مِمَّا مَضَى ، مُسْتَأْنَفًا لِمَا يَسْتَقْبَلُ .

(٤٠ - يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ فِيهِ حَجُّ الْمُلُوكِ نَزْهَةً وَحَجُّ الْأَغْنِيَاءِ تِجَارَةً
وَحَجُّ الْمَسَاكِينِ مَسْأَلَةً .

(٤١ - إِنَّ ضَيْفَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ رَجُلٌ حَجَّ وَإِعْتَمَرَ فَهُوَ ضَيْفُ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى
مَنْزَلِهِ .

(٤٢ - عَنْ الْإِمَامِ الصَّادِقِ ٧ قَالَ لِرَجُلٍ لَمْ يَحِجَّ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ : «انْظُرْ إِلَى أَبِي
قَبِيْسٍ - جَبَلٍ مَعْرُوفٍ فِي مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ - فَلَوْ أَنَّ أَبَا قَبِيْسٍ لَكَ ذَهَبَةٌ حَمْرَاءُ أَنْفَقْتَهُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا بَلَغْتَ بِهِ مَا يَبْلُغُ الْحَاجُّ » .

(٤٣ - وعنه ٧: «إِنَّ الْحَاجَّ إِذَا أَخَذَ فِي جِهَازِهِ لَمْ يَرْفَعْ شَيْئاً وَلَمْ يَضَعْهُ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمُحِي عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، فَإِذَا رَكِبَ بَعِيرَهُ ، لَمْ يَرْفَعْ خَفّاً وَلَمْ يَضَعْهُ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَإِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ» .

أقول : في عصرنا هذا تركب السيارة والباخرة والطائرة ، وربما رفع الخفّ يعبر عنه بحركة عجلات السيارة مثلاً، أو حركة الماكنة ، والله العالم .

(٤٤ - قال رسول الله ﷺ ٦ لأمير المؤمنين ٧: «يَا عَلِيُّ تَارَكَ الْحَجَّ وَهُوَ مُسْتَطِيعٌ كَافِرٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [11] .

(٤٥ - قال أمير المؤمنين ٧ في نهج البلاغة في فلسفة الحجّ : «وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ يَرُدُّونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلَوْهُ الْحَمَامُ ، وَجَعَلَهُ سَبْحَانَهُ عِلَامَةً لَتَوَاضَعُوا لِعَظَمَتِهِ ، وَإِذْعَانَهُمْ لِعِزَّتِهِ ، وَإِخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سَمَاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ ، يَحْرُزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ ، جَعَلَهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا ، وَلِلْعَانِدِينَ حَرَمًا ، فَرَضَ حَقَّهُ ، وَأَوْجَبَ حَجَّهُ ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ» .

(٤٦ - وقال ٧: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ ... وَحَجُّ الْبَيْتِ وَإِعْتِمَارُهُ ، فَاتَهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ ، وَيُرْخِصَانِ الذَّنْبَ ، - الرَّخِصَ بِمَعْنَى الْإِسْقَاطِ - .

(٤٧ - وقال ٧: «أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَالْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تَبْصُرُ وَلَا تَسْمَعُ ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا» .

(٤٨ - وقال ٧: «الله الله في بيت ربكم لا تخلّوه ما بقيتم ، فاتّه إن ترك لم تناظروا - أي لم تهملوا فيأخذكم بالعذاب» .

(٤٩ - قال الامام الباقر ٧: «أتى آدم هذا البيت ألف آتية على قدميه ، منها سبعة حجّة وثلاثمائة عمرة» .

(٥٠ - قال الامام الصادق ٧: «فجعل فيه - في الحجّ - الإجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا، ولتعرف آثار رسول الله، وتعرف أخباره ويذكر ولا ينسى» .

(٥١ - وقال ٧ في جواب من قال إنه من حجّ مرّة ، فالأولى له أن يتصدّق بماله في سبيل الله على الفقراء ولا يذهب إلى الحجّ مرّة أخرى ، فقال ٧: «كذبوا لو فعل هذا الناس لعطل هذا البيت إن الله عزّوجلّ جعل هذا البيت قياماً للناس» .

(٥٢ - وقال ٧: «جعلها الله - الكعبة - لدينهم ومعاشهم» .

(٥٣ - وقال ٧: «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة» .

ولا يخفى ان الحجّ النافع ما كان فيه قيام الدين في النفس وفي المجتمع ، فيكون سلوك الانسان وسلوك المجتمع على ضوء التعاليم الدينيّة ، والا فقد أخبر رسول الله عن الحجّاج في آخر الزمان وحالهم فقال ٦:

(٥٤ - «يأتي على الناس زمان يكون فيه حجّ الملوك نزهةً وحجّ الأغنياء تجارةً ، وحجّ المساكين مسألة» .

(٥٥ - قال رسول الله ٦ في حجّة الوداع عند غروب يوم عرفة : «إنّ ربكم لطول عليكم في هذا اليوم ، وغفر لمحسنكم ، وشفع محسنكم في مسيئكم ، فأفيضوا مغفوراً لكم» .

(٥٦ - قال الامام الصادق ٧ لأحد أصحابه : «يا عيسى إنّي أحبّ أن يراك الله فيما بين الحجّ إلى الحجّ ، وأنت تتهيأ للحجّ» .

(٥٧ - وقال ٧: «ليحذر أحدكم أن يعوق أخاه عن الحجّ ، فتصيبه فتنة في دنياه ، مع ما يدخل له في الآخرة - من العذاب -».

(٥٨ - ما أكثر طلب الحجّ في أدعية ومناجات شهر رمضان المبارك حتّى كاد أن يقال : إنّ شهر رمضان المبارك بضيافته العامّة ، وبما فيه من الأدعية والتي تنصّ على أنه (اللهم أرزقني حجّ بيتك الحرام في عامي هذا وفي كلّ عام) إنّما هو أرضية ومعدّات لنيل الضيافة الخاصّة في أيّام الحجّ فما أعظم الحجّ !؟

(٥٩ - في الأحاديث الشريفة : «الساجد بمكّة كالمتشخّط بدمه في سبيل الله» «تسيحه بمكّة أفضل من خراج العراقيين ينفق في سبيل الله» «من ختم القرآن بمكّة لم يمت حتّى يرى رسول الله ويرى منزله من الجنّة» «النظر إلى الكعبة حبّاً لها يهدم الخطايا هدماً».

(٦٠ - وفي عظمة وشرافة أيّام الحجّ قال رسول الله ٦: «ما من أيّام العمل الصالح فيها أحبّ إلى الله عزّوجلّ من أيّام العشر، يعني عشر ذي الحجّة إلاّ رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع بشيء من ذلك» «ما من أيّام أزكى عند الله تعالى ولا أعظم أجراً من خير في عشر الأضحى».

ولا يخفى ان أربعينيات العرفاء في الأذكار والأوراد والختومات أفضلها شهر ذي القعدة والعشرة الأولى من ذي الحجّة انطلاقاً ممن قوله تعالى : (وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) [12].

وكان موسى ٧ في الأربعين يوماً صائم النهار، وقائم الليل ، وإنّما كان يطعم ويروي بحبّ الله عزّوجلّ .

فالمواهب الخاصّة الالهية لخاصّة أوليائه الأصفياء، إنّما يكون في أيّام الحجّ ، والعلماء ورثة الأنبياء، وإن العاقل لتكفيه الاشارة فتدبرّ.

(٦١ - عن الصادق ٧: «إِنَّ ضَيْفَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ رَجُلٌ حَجٌّ وَإِعْتَمَرٌ، فَهُوَ ضَيْفُ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَنْزَلِهِ» .

(٦٢ - وأخيراً وليس بآخر إن شاء الله تعالى : قال الامام الصادق ٧ لزرارة حين قال له : سيدي آتيك أربعين سنة وأسأل عن الحج ، ولازلت تحدثني عنه فقال ٧: «يا زرارة بيت حُجِّ إليه قبل آدم بألفي عام ، تريد أن تُفني مسأله في أربعين عاماً» [13] .

«يا مُنى قُلُوبِ الْمُشْتَاقيِ إِنَّ وَيَا غَايَةَ آمَالِ الْـمُحِبِّيِ إِنَّ، أَسْئَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُوصِلُنِي إِى قُرْبِكَ، وَأَنْ تَجْعَلَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ سِوَاكَ، وَأَنْ تَجْعَلَ حُبِّي إِىكَ قَانِداً إِلَى رِضْوَانِكَ، وَشَوْقِي إِىكَ ذَانِداً عَنْ عِصْيَانِكَ، وَآمِنُنْ بِالنَّظَرِ إِىكَ عَلَيَّ، وَأَنْظُرْ بَعَيْنِ الْوُدِّ وَالْعَطْفِ إِلَيَّ، وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي إِى وَجْهَكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالْحِظْوَةِ عِنْدَكَ، يَا مُجِيبُ
يَا رَحْمَانَ رَاحِمِي إِنَّ» [14] .

(٦٣ - قال أمير المؤمنين ٧: «الله الله في بيت ربكم فلا يخلو منكم ما بقيتم ، فانه ان ترك لم تناظروا» .

(٦٤ - قال الصادق ٧: «إِنَّ اللَّهَ لِيُدْفَعُ بِمَنْ يَحُجُّ مِنْ شِيَعَتِنَا عَمَّنْ لَا يَحُجُّ ، وَلَوْ أَجْمَعُوا عَلَى تَرْكِ الْحَجِّ لَهَلَكُوا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [15]» .

(٦٥ - لو أن الناس تركوا الحج لكان على الوالي - في يومنا هذا الحكومة الإسلامية - أن يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده ، فان لم يكن لهم أموال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين .

(٦٦ - عن سماعة عن أبي عبدالله ٧ قال : قال لي : «مالك لا تحجّ في العام؟»
فقلت : معاملة كانت بيني وبين قوم ، وإشغال وعسى أن يكون ذلك خيرة ، فقال ٧ :
«لا والله ما جعل الله لك في ذلك من خيرة» ثم قال : «ما حبس عبد عن هذا
البيت إلا بذنب ، وما يعفو أكثر».

(٦٧ - عن عذافر: قال أبو عبدالله ٧ : «ما يمنعك من الحجّ في كلّ سنة؟» قلت :
جعلت فداك العيال ، قال : فقال ٧ : «إذا متّ فمن لعيالك ؟ أطعم عيالك الخلّ
والزيت ، وحجّ بهم كلّ سنة».

(٦٨ - قال رسول الله ٦ : «من أنسأت له في أجله ، ووسعت عليه رزقه ،
وصححت له جسمه ، ولم يزرني في كلّ خمسة أعوام فهو محروم».
(٦٩ - عن الامام الرضا ٧ : «إنما جعل وقتها عشر ذي الحجة ولم يقدم ولم يؤخر ،
لأنه لما احبّ الله عزّوجلّ أن يعبد بهذه العبادة ، وضع البيت والواضع في أيام
التشريق ، وكان أوّل ما حجّت إليه الملائكة وطافت به في هذه الوقت ، فجعله سنة
ووقتاً إلى يوم القيامة ، فأما النبيون آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد ٦
وغيرهم من الأنبياء إنّما حجّوا في هذا الوقت ، فجعلت سنة في أولادهم إلى يوم
الدين».

[١] () الوسائل : : ٨٢ ٨.

[٢] () الحجّ : ٣٠.

[٣] () الحجّ : ٣٢.

[٤] () الحجّ : ٢٨.

[٥] () إبراهيم : ٣٧.

[٦] () إبراهيم : ٣٤.

[٧] () الإسراء : ٧٢.

[٨] () الشعراء : ٨٨ - ٨٩.

[٩] () عبس : ٣٤ - ٣٦.

[١٠] () معظم ما جاء في هذا الكتاب اقتبسناه ونقلناه من كتاب (صهباى حج) لشيخنا الاستاذ الشيخ عبداللهالجوادي الأملّي دام ظلّه .

[١١] () آل عمران : ٩٧ .

[١٢] () الأعراف : ١٤٢ .

[١٣] () الوسائل : : ٧٨ .

[١٤] () مناجاة المحبين في كتاب (مفاتيح الجنان) و(الصحيفة السجادية) .

[١٥] () البقرة : ٢٥١ .

تجسيد الحج لأصول الدين

ان الحج بمناسكه ومعالمه الحيّة يجسّد لنا أصول الدين الخمسة كما يجسّد لنا فروع الدين والأخلاق الحسنة .

بيان ذلك :

أصول الدين الخمسة في مدرسة أهل البيت : كما يلي : (التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد).

(١ - التوحيد: الحجّ يجسّم لنا كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، وطرد الشرك والنفاق والشقاق ، فان التوحيد في قوسه النزولي هو الحجّ ، وان الحجّ في قوسه الصعودي هو التوحيد.

عن الامام الصادق ٧ في دعاء الحجّ : «فإنّما أنا عبدك وبك ولك» ولا يكون القرب الإلهي والانس بالله سبحانه ، إلّا بالتوحيد الخالص ، فمن أخلص لله إستأنس به ، وإستوحش من غيره .

قال رسول الله ٦ : «هذه حجّة لا رياء فيها ولا سمعة» «من تجهّز وفي جهازه علم حرام لم يقبل الله منه الحجّ».

ومن أقوى الأدلّة على التوحيد فطرة الانسان السليمة التي فطر الله الناس عليها، فهي التي تدلّ على وحدانية الله وصانعيته ، وهذه من فطرة الدين التوحيدي .

والحجّ ومنذ اليوم الأوّل ولبس ثوبي الاحرام و(التلبية) وهي من الشعار التوحيدي الخالص يجسّد لنا التوحيد ومعرفة الله الحميد.

(٢ - النبوة والوحي : فان مناسك الحجّ إنّما جاء بها الأنبياء بوحي من الله سبحانه من آدم إلى الخاتم (أرنا مناسكنا).

قال الامام الصادق ٧: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ جِبْرِيْلَ إِلَى آدَمَ فَقَالَ : انِ اللَّهُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأَعْلَمَكَ الْمَنَاسِكَ الَّتِي تَطَهَّرُ بِهَا» [1].

قال الامام الباقر لولده الصادق ٨ عن رسول الله ٦ قال : «مَا أَتَيْتَ الرُّكْنَ الِيمَانِي إِلَّا وَجَدْتَ جِبْرِيْلَ قَدْ سَبَقْتَنِي إِلَيْهِ يَلْتَزِمُهُ».

وأمر الله خليله (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً...) وما كان إتيان إبراهيم الخليل لمكة وحسب ، بل لتشييد قواعد البيت ، وما كان إتيان الناس لمكة وحسب ، بل ليتعلموا من إبراهيم دروس التوحيد والنبوة والحياة الطيبة ، ويكونوا من أصحاب القلب السليم (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا) [2].

(٣ - المعاد الروحاني والجسماني : فإنَّ الحجَّ بمناسكته وإحرامه منذ اليوم الأول يذكر الناس بيوم القيامة ، فان لباس الاحرام يرمز إلى لبس الأكفان

وحشر الناس من المقابر والأجدات مغطي الرؤوس لرب العالمين ، وإن الناس على اختلافهم في الألوان والألسن والقوميّات والطوائف وغيرها كلهم سواسية ، ويتجلّى ذلك عند اجتماع الحجّاج في المواقيت والمواقف والمشاعر (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ) [3] (إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ

مَعْلُومٍ) [4] (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) [5] (فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ) [6] عن الامام

الصادق ٧: «حَجُّوا إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ».

وكم من مظاهر القيامة يتجلّى في الحجّ فإنّ في يوم القيامة ، يكون الناس عراة خلاء من مظاهر الدنيا، وكذلك في الحجّ بعد لبس ثوبي الاحرام وخالصهم من المخيط ومن الزينة ، ثمّ في الحجّ إعراف بالذنوب كما يكون ذلك يوم القيامة ، وأن لا ظلم اليوم والأمن للناس وحتىّ الحيوانات ، كما أنّ في سعي الحجّ مذلّة للجبارين كما في يوم القيامة ، ولمثل هذا كان الحجّ من أهم أركان الاسلام .

(٤ - العدل الإلهي : فان الحجّ يجسّد لنا العدل الإلهي بإحرام الناس وطوافهم وسعيهم ومواقفهم سواء العاكف والباد، والغني والفقير، والعالم والجاهل ، والرجل والمرأة ، وشهود المنافع وقيام الناس ، والبركة العامّة والهداية والغفران . كما إنّ الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً في آخر الزمان المهدي من

آل محمّد : يخرج من مكّة المكرّمة وفي بيت الله الحرام والكعبة المشرفّة ، فأنّه إذا خرج دخل المسجد الحرام فيستقبل الكعبة ويجعل ظهره إلى المقام ثمّ يصلي ركعتين ، ثمّ يقوم فيقول : «أيّها الناس أنا أولى الناس بآدم ، يا أيّها الناس أنا أولى الناس بإبراهيم» [7] .

(٥ - الإمامة والخلافة : فان من روح التوحيد والنبوّة هي الولاية الالهية العظمى التي تتمثّل وتتبلور بالإمامة والخلافة الحقّة لرسول الله ٦ ولم يناد بشيء بمثل ما نوّدي بالولاية ، فانها روح الاسلام وجوهره وأنّ الحجّ من دون (الولاية) وقصد الكعبة من دون (الإمامة) وحضور عرفات من دون (معرفة الامام) والأضحية من دون التفاني والتفادي في سبل الامامة ، ورمي الجمار من دون طرد الشياطين والمعاندين للإمامة، والسعي من دون السعي من معرفة الامامة الحقّة والأئمّة الاثنى عشر :، فأنّه لا ينفع الحاج حجّه ، كما لا ينفع الصائم صومه إن لم تصم جوارحه وجوانحه، ولا يكون له من الصوم إلاّ الجوع والعطش .

كما إنّ الامام السجاد ٧ يعرف نفسه في المسجد الأموي بعد واقعة كربلاء الأليمة قائلاً: «أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن زمزم والصفاء...» [8].

وهذا يعني إنّ بين الامامة والكعبة من الإضافة كما بين الأبوّة والبنوّة ، فمن جهة يكون الامام أباً لمراكز العبوديّة ومحورها، ومن جهة أخرى يكون ابناً لها، والابن من يرث أباه ويحافظ على أمواله ، والامام هو الذي يحافظ على مكة ومنى وزمزم وصفا فهو ابن هذه المشاعر المقدّسة .

وكلّ من يفصل بين الأب والابن فليس له من الحجّ إلاّ التعب والعناء، وضياع العمر وكثرة الضجيج ، من دون أن يصل إلى روح الحجّ وإصالة الضجيج .

قال أبو بصير للامام الصادق ٧ في حجّ : ما أكثر الحجيج في هذا العام ؟ فقال ٧ : «ما أكثر الضجيج وأقلّ الحجيج» ثمّ أراه في عالم الشهود والمكاشفة من كان في الطواف فرأى أكثرهم كالأنعام .

قال الامام الباقر ٧ لأحد أصحابه في الحجّ : «أترى هؤلاء الذين يلبّون الله لأصواتهم أبغض إلى الله من أصوات الحمير» ثمّ قال ٧ : «هكذا كانوا يطوفون في الجاهليّة ، إنّما أمروا أن يطوفوا، ثمّ ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم ، ويعرضون علينا نصرهم» ، ثمّ قرء قوله تعالى : (فَأَجْعَلْ أُنْدَةَ مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) [9] [10] .

وإنّما كانت أصواتهم كصوت الحمير إذ لم يعرفوا امام زمانهم ، وقد تواتر عند الفريقين السنّة والشيعه أنّ الرسول الأعظم محمّد ٦ قال : «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهليّة» فهم كالأنعام بل أضلّ سبيلاً.

ولا يخفى أن موت كلّ انسان مثل حياته «كما تعيشون تموتون ، وكما تموتون تبعثون وكما تبعثون تحشرون» فمن لم يعرف إمام زمانه كان من الدوابّ في الأرض كالأنعام والحمير ويموت على الكفر والضلال والجاهليّة ، كما يبعث كذلك بصورهم الواقعيّة من الحيوانات البهيمة والضارية ، ومثل هذا يكون حجّه كحجّ الجاهليّة ، وليس له حظّ من الحجّ التوحيدي الابراهيمي والمحمّدي الأصيل ، وهذا من سنّة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً.

إن روح الكعبة هو الامام وإن روح الامام ليس قائم ببدنه بل إنها قائمة بعلمه وشهادته ، فالكعبة في ظاهرها قائمة بأحجارها وفي باطنها قائمة بإمام الزمان ٧.

إن الله ليمنع أبرهة النجاشي أن يهدم بيته بطير من أبابيل ، ولا يمنع الحجاج بن يوسف الثقفي (لعنة الله) في هدم الكعبة بالمناجيق لأسر ابن الزبير، وإنما لم يمنع الحجاج لأن ابن الزبير كان مخالفاً لامام زمانه وهو الامام زين العابدين علي بن الحسين ٨ (وَمَنْ يَرُدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) [11] فكم فرق

بين الهدمين هدم أبرهة وهدم الحجاج؟! فتدبّر.

فعلى الطائفين أن يطوفوا بأبدانهم حول الكعبة ، وبأرواحهم حول الامامة ، موطنين أنفسهم بالنصر والشهادة «حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر» [12].

فحرمة مكّة المكرّمة بحرمة الكعبة ، وحرمة الكعبة بحرمة النبوة والرسالة والولاية ، وحرمة وقداصة كلّ ذلك بحرمة الله جلّ جلاله ، وبهذا نسب البيت إليه (أن طهّرا بيتي) فالحرمة الذاتية لله سبحانه ، وإنما يكون لغيره بالعرض والتبع ، الأمثل فالأمثل ، فيكون الأوّل أصلاً للثاني والثاني للثالث ، وهكذا.

فالحجّ مظهر تام ومحور أتمّ لأصول الدين ، وكذلك لفروعه وأخلاقه ، بل ولحكومته ودولته في الجوانب السياسيّة ، الحجّ مكارم وأخلاق وفضائل ، فان

التقوى أساس الأخلاق ورأسه كما ورد في الأخبار الشريفة ، وفي الحجّ ينال الانسان التقوى (الحجّ أشهر معلّومات... وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى) [13] وفي

ذبيحة الحجّ يقول سبحانه : (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى) [14] .

إنّ أساس التقوى الايمان بالله والكفر بالطاغوت ، فأساس الحجّ التوحيد ونفي الشرك والكفر بالطاغوت والبراءة من المشركين كما فعل ذلك رسول الله وأمير المؤمنين في آيات البراءة من المشركين .

فالحجّ هو التوحيد، والتوحيد نفي الشرك والايان بوحداية الله، أي التولي والتبري ، وهل الدين إلا الحبّ في الله والبغض في الله (وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) [15] .

وهذا الأذان النبويّ المحمّديّ إمتداد للأذان الابراهيميّ (وأذن في الناس بالحجّ) وعلى كلّ مسلم ومسلمة أن يتبرّء من المشركين والطغاة وأذناهم وعملائهم ، كما عليهما الدفاع عن بيت الله، وخلصه وأخذه من السراق ، ويمهّد لذلك بمقدّمات الظهور ويوم الخلاص .

عن الامام الصادق ٧: «أما إنّ قائمنا لو قد قام لقد أخذهم فقطع أيديهم وطاف بهم وقال : هؤلاء سراق الله» [16] .

وهذا كله من سنة إبراهيم الخليل ومثته (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ

([17] فالسفيه الراغب عن سنن الأنبياء والأوصياء إن تولّى أمور الكعبة والحرمين ، كان من سراق بيت الله، وعلى الحاج والحاجة أن يتبرّءا منه ويمهّدان للقاء الامام ٧ وظهوره لإقامة العدل والقسط في الأرض بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وهذا من السرّ الأخرى في الحجّ المقبول والسعي المشكور والذنب المغفور، والله المستعان .

[١] () الوسائل : : ٨ : ١٦٠ .

[٢] () آل عمران : ٦٨ .

[٣] () التغابن : ٩ .

[٤] () الواقعة : ٤٩ - ٥٠ .

[٥] () مريم : ٩٥ .

[٦] () الذاريات : ٥٠ .

[٧] () البحار : : ٥١ : ٥٩ .

[٨] () البحار : : ٤٥ : ١٣٨ .

[٩] () ابراهيم : ٣٧ .

[١٠] () البحار : : ٦٥ : ٨٧ والوسائل : : ٩ : ٥٧ .

[١١] () الحجّ : ٢٥ .

[١٢] () نهج البلاغة : الخطبة الشقشقية .

[١٣] () البقرة : ١٩٧ .

[١٤] () الحجّ : ٣٧ .

[١٥] () التوبة : ٣ .

[١٦] () الوسائل : : ٩ : ٣٥٥ .

[١٧] () البقرة : ١٣٠ .

الحجّ الجزوري والحجّ العصفوري

المستفاد من مجموع الأخبار الشريفة المروية في مدرسة أهل البيت : والتي فيها كلمة (الحجّ) أن الحجّ على أربعة أقسام :

١ - الحجّ الأكبر: ويقصد به ما كان يوم العيد والأضحية ، أي اليوم العاشر من ذي الحجة في يوم الجمعة .

٢ - الحجّ الكبير: وهو أصل الحجّ بأقسامه الثلاثة : التمتع والقران والإفراد.

٣ - الحجّ الصغير: وهو العمرة المفردة .

٤ - الحجّ الأصغر: وهو الاعتكاف (أقله ثلاثة أيّام في المساجد الأربعة أو المسجد الجامع في كلّ بلد على اختلاف الفتاوى كما هو مذكور في الكتب الفقهية).

ثمّ الناس مع الحجّ على نحوين : إمّا أن يحجّوا لله خالصاً ومخلصاً، أو يحجّوا للناس رياءً وسمعة وللإطراء، حتّى منهم من لم تناديه ب (يا حاج فلان) لا يجيب ندائك
!؟

وقد ورد عن أمير المؤمنين ٧: «بالاخلاص يكون الخلاص» (أخلص تنل)، وفي الحديث : «الناس كلّهم هلكى إلا العلماء، والعلماء كلّهم هلكى إلا العاملون ، والعاملون كلّهم هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم».

فان الرياء كما ورد في الحديث : كدبيب غلة سوداء في ليلة ظلماء على صخرة صلدا، فمن يحسّ بحركة ودبيب ومشي تلك النملة !!؟

ويخاطب المرآئي يوم القيامة : يا كافر يا فاجر يا فاسق يا منافق ، فلا بدّ من الاخلاص ونفي الشرك الجلي والخفي.

وما كان لله فعلى نحوين أيضاً: إما أن يكون تاماً كبيراً أو ناقصاً صغيراً، والأول فيما كان تام الاجزاء والشرائط جامعاً بين الفرائض والنوافل ، والثاني ينقص عنه في مراتب الكمال وإن كان صحيحاً في مقام الأداء وإسقاط التكليف .

ورد في الحديث النبوي الشريف في فضيلة الصلاة في وقتها الأول : أولها جزور وأخرها عصفور.

كما ورد عن الامام الرضا ٧: أولها رضوان وأخرها غفران .

والجزور أي البعير، وهو كناية عن جزيل الثواب وعظيم الأجر، كما أن العصفور حيوان طائر صغير كناية عن قلة الثواب والأجر، فأول الوقت وفيما كانت الصلاة بطمأنينة وجامعة للشرائط والآداب والسنن ، ومنها أول الوقت ، فإنها توجب رضوان الله، وإن رضوان الله أكبر، بينما في آخر الوقت كأنما الانسان قد أذنب وكانت صلته غفران له ، فكم فرق بين الصلاتين؟! وهذا المعنى يجري بنظري في كلّ العبادات ذات المراتب الطولية والعرضية ، ومنها الحجّ فمن الناس من كان حجّه جزورياً، ومنهم من كان حجّه عصفورياً، كحجّ بعض الأثرياء والأغنياء حيث يكتفون بالواجبات ، وإسقاط التكليف فقط من دون الاقبال على الاذكار والأدعية والنوافل والمستحبات وآداب الحجّ المعنوية ومعرفة أسرارهِ وحكمهِ وفلسفته .

الحجّ لغةً واصطلاحاً :

الحجّ لغةً من حجّ يحجّ حجاً، وهو بمعنى القصد المتكرّر وبمعنى البرهان والحجة ، ومعان أخرى .

وفي المصطلح : عبارة عن أداء مناسك خاصة تعبدية في أيام معلومات ومعدودات على ضوء الشريعة الاسلامية .

والحجّ ثلاثة أنواع : إفراد وقران وتمتع ، والأولان لمن كان من أهل مكة موضوعاً أو حكماً، والثالث لمن بعد عن مكة المكرمة بستة عشر فرسخ أي (١٠٠ كم تقريباً) وهو أفضل الأصناف كما مرّ.

الحجّ الجزوري والحجّ العصفوري

المستفاد من مجموع الأخبار الشريفة المروية في مدرسة أهل البيت : والتي فيها كلمة (الحجّ) أن الحجّ على أربعة أقسام :

١ - الحجّ الأكبر: ويقصد به ما كان يوم العيد والأضحية ، أي اليوم العاشر من ذي الحجة في يوم الجمعة .

٢ - الحجّ الكبير: وهو أصل الحجّ بأقسامه الثلاثة : التمتع والقران والإفراد.

٣ - الحجّ الصغير: وهو العمرة المفردة .

٤ - الحجّ الأصغر: وهو الاعتكاف (أقله ثلاثة أيّام في المساجد الأربعة أو المسجد الجامع في كلّ بلد على اختلاف الفتاوى كما هو مذكور في الكتب الفقهية).

ثمّ الناس مع الحجّ على نحوين : إمّا أن يحجّوا لله خالصاً ومخلصاً، أو يحجّوا للناس رياءً وسمعة وللإطراء، حتّى منهم من لم تناديه ب (يا حاج فلان) لا يجيب ندائك
!؟

وقد ورد عن أمير المؤمنين ٧: «بالاخلاص يكون الخلاص» (أخلص تنل)، وفي الحديث : «الناس كلّهم هلكى إلا العلماء، والعلماء كلّهم هلكى إلا العاملون ، والعاملون كلّهم هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم».

فان الرياء كما ورد في الحديث : كدبيب غلة سوداء في ليلة ظلماء على صخرة صلدا، فمن يحسّ بحركة ودبيب ومشي تلك النملة !!؟

ويخاطب المرآئي يوم القيامة : يا كافر يا فاجر يا فاسق يا منافق ، فلا بدّ من الاخلاص ونفي الشرك الجلي والخفي.

وما كان لله فعلى نحوين أيضاً: إما أن يكون تاماً كبيراً أو ناقصاً صغيراً، والأول فيما كان تام الاجزاء والشرائط جامعاً بين الفرائض والنوافل ، والثاني ينقص عنه في مراتب الكمال وإن كان صحيحاً في مقام الأداء وإسقاط التكليف .

ورد في الحديث النبوي الشريف في فضيلة الصلاة في وقتها الأول : أولها جزور وآخرها عصفور.

كما ورد عن الامام الرضا ٧: أولها رضوان وآخرها غفران .

والجزور أي البعير، وهو كناية عن جزيل الثواب وعظيم الأجر، كما أن العصفور حيوان طائر صغير كناية عن قلة الثواب والأجر، فأول الوقت وفيما كانت الصلاة بطمأنينة وجامعة للشرائط والآداب والسنن ، ومنها أول الوقت ، فإنها توجب رضوان الله، وإن رضوان الله أكبر، بينما في آخر الوقت كأنما الانسان قد أذنب وكانت صلته غفران له ، فكم فرق بين الصلاتين؟! وهذا المعنى يجري بنظري في كلّ العبادات ذات المراتب الطولية والعرضية ، ومنها الحجّ فمن الناس من كان حجّه جزورياً، ومنهم من كان حجّه عصفورياً، كحجّ بعض الأثرياء والأغنياء حيث يكتفون بالواجبات ، وإسقاط التكليف فقط من دون الاقبال على الاذكار والأدعية والنوافل والمستحبات وآداب الحجّ المعنوية ومعرفة أسرارهِ وحكمه وفلسفته .

الحجّ لغةً واصطلاحاً :

الحجّ لغةً من حجّ يحجّ حجاً، وهو بمعنى القصد المتكرّر وبمعنى البرهان والحجة ، ومعان أخرى .

وفي المصطلح : عبارة عن أداء مناسك خاصة تعبدية في أيام معلومات ومعدودات على ضوء الشريعة الاسلامية .

والحجّ ثلاثة أنواع : إفراد وقران وتمتع ، والأولان لمن كان من أهل مكة موضوعاً أو حكماً، والثالث لمن بعد عن مكة المكرمة بستّة عشر فرسخ أي (١٠٠ كم تقريباً) وهو أفضل الأصناف كما مرّ.

من أسرار الميقات

لا يجوز لمن كان حاجاً أن يدخل مكة المكرمة من دون أن يحرم من أحد المواقيت السنة ، وخمسة قد عيّنها رسول الله ﷺ كما جاء في حديث الامام الصادق ٧: «الإحرام من مواقيت خمسة وقتها رسول الله ﷺ لا ينبغي لحاج ولا لمعتمر أن يحرم قبلها ولا بعدها، ووقت لأهل المدينة (ذا الحليفة) وهو (مسجد الشجرة)، يصلّي فيه ويعرض الحجّ، ووقت لأهل الشام (الجحفة)، ووقت لأهل نجد وادي العقيق ووقت لأهل الطائف (قرن المنازل) ووقت لأهل اليمن (يلملم)» [1].

ثمّ لأهل مكة أو من سكنها جعلت مواقيت أخرى . فعن الامام الصادق ٧ : «من أراد أن يخرج من مكة ليعتمر أحرم من الجعرانة والحديبية أو ما أشبهها».

ولمن أراد أن يحرم لحجّ التمتع من مكة المكرمة ورد في الحديث الشريف : قلت لأبي عبدالله ٧ من أين أهلّ بالحجّ؟ فقال : «إن شئت من رحلك ، وإن شئت من الكعبة ، وإن شئت من الطريق وتحت الميزاب وفي حجر إسماعيل أفضل».

وفي الحديث الشريف عن الامام ٧ : «من تمام الحجّ والعمرة أن تحرم من المواقيت» [2].

وكان ميقاتاً لأهل العراق قبل أن يكون العراق إسلامياً، قال الصادق ٧ : «فاته وقت لأهل العراق ولم يكن يوماً عراق» [3].

وهذا من الاعجاز الديني أن يشار إليه قبل أن يوجد له أهل .

فلا يجوز العبور من الميقات إلا باحرام لمن أراد دخول الحرم الشريف .

والميقات لغة : إسم زمان أو إسم مكان ، وتعيّنهما في المصطلح بيد الشارع المقدّس .

ولكلّ ميقات سرّ يرجع إلى الله سبحانه كما جاء في مسجد الشجرة (ذي الحليفة)، فإنه لما أسري بالنبيّ محمّد ٦ في ليلة المعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فعند محاذاة ذي الحليفة ناداه الله يا محمّد، فقال : لبيك ، فقال سبحانه : ألم يجدك يتيماً فاوى ، ووجدك ضالاً فهدى ، فقال النبي ٦ : إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك[4] .

ثمّ أصل الميقات يرجع إلى آدم ٧ : فإنه لما أهبط مع حواء إلى الأرض إشتاقت نفسه بعد قبول توبته إلى الجنّة ، فأرسل الله إليه يا قوة حمراء أو درّة بيضاء من الجنّة أضاءت آدم وما حوله ، وانتشر ضوءها في الوديان والسهول ، فأخبره الله ان لهذه الدرّة حرمة ، فلا يدخلها إلا من أحرم لها وحرمتها بمقدار شعاعها، فاختلفت المواقيت من حيث المسافة باختلاف ضوءها وانتشاره من جهة سهولة الأرض وتلاؤها فبعضها إقتربت من الكعبة لانكسار الضوء بالتلال ، وبعضها بعدت للانتشار في السهل كما بين المدينة المنورة ومكّة المكرّمة .

عن الامام الرضا ٧ : «إنّ الله عزّوجلّ لمّا اهبط آدم من الجنّة هبط على أبي قبيس ، فشكا إلى ربّه الوحشة ، وأنّه لا يسمع ما كان يسمعه في الجنّة ، فاهبط الله عزّوجلّ عليه ياقوتة حمراء فوضعها في موضع البيت فكان يطوف بها آدم ، فكان ضوءها يبلغ موضع الاعلام ، فيعلم الاعلام على ضوئها وجعله الله حرماً .

ومن أسرار الميقات :

(١) - الأرضيّة والمكان الأوّل لإجابة دعوة الله سبحانه وبلوغ رحمته الخاصّة .

فإنّ الحاج والحاجة بوقوفهما في الميقات وإحرامهما كأنّه يستعدّان ويتأهلان لإجابة دعوة الله وأن يبلغا الرحمة الرحيميّة الخاصّة بالمؤمنين ، والقريبة من المحسنين .

وكما كان الميقات لموسى إعداده للاصطفاء برسالة الله وتكليمه (يا موسى إني اصطفيتك برسالاتي وبكلامي) [5] كذلك الميقات للحاج .

(٢ - المدخل الأول للدخول والورود في الحجّ والحرم الإلهي .

لما كان الحجّاج ضيوف الرحمن وإنّ رجلا حجّ أو اعتمر فإنه ضيف الله، وللضيافة آدابها وسننها، ومن الآداب أن يدخل الضيوف من الباب (ئیسَ البِرُّ بأنْ تأثوا البُیوتَ مِنْ ظُهورِها وَلَكِنَّ البِرَّ مِنْ آتَى وَأَثوا البُیوتَ مِنْ أَوابِها) [6] فكان

على الضيف أن يقف في الميقات ليستأذن في دخول دار الضيافة ، وما التلبّيات إلا سلام الدخول والترحيب ، وما الاحرام إلا لباس الضيافة المعنوية ، وكذلك الأمر في باقي مستحبات الميقات ومحرمات الاحرام ، فكأنما يُعلّمه الضيف كيف يلتقي بالمضيف العظيم ، كما هو المرسوم في كلّ دولة في زيارة رئيسها وحاكمها، فهناك تعليمات خاصة لكلّ وارد على الملك الحاكم في كيفية رعاية الآداب والتقاليد المختصة بالحاكم أو البلد.

(٣ - رعاية وحفظ قداسة الحرم وإحترام الحريم الإلهي .

عن الامام الصادق ٧: «وجب الاحرام لعلة الحرم».

وقال ٧: «من تمام الحجّ والعمرة أن تُحرم من المواقيت» فيعطيك الميقات هذا الشعور الداخلي ان اللقاء لرب العالمين في بيته الحرام عزيز وكريم يمتاز بالقداسة والطهارة ونظافة الروح ، فينبغي لمن قصده وحج بيته أن يغتسل قبل إحرامه ، وأن يحرم من الميقات بعد أن يصليّ صلاة الإحرام بست ركعات ، ان لم يكن إحرامه بعد صلاة واجبة ، ويلبس لباس الاحرام بلباس أبيض وطاهر ومباح ، بعد أن ينزع ملابسه بقصد تخليته وتجرّده من الذنوب والمعاصي والرذائل .

(٤ - الميقات موضع الحديث المتبادل بين العبد وربّه .

قال الله سبحانه في تكليمه مع موسى : (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) [7] فكان الميقات موضع الكلام بين المولى والعبد، والمرسل والرسول ،

والمحب وحببيه ، والعاشق والمعشوق (عجلت ربّي لكي ترضى).

(٥ - الميقات تجلّى الأسفار الاخلاقيّة والعرفانيّة .

فان المسافر لابدّ أولاً من (اليقظة) فمن كان نائماً أو غافلاً وساهياً، فانه يرفع عنه القلم ، ولا يتوجّه إليه الخطاب ، فلا بدّ من يقظة ووعي ، وهذا ما يحصل في الميقات ، بانه أين أنا؟ لماذا أتيت إلى هنا؟ وإلى أين أذهب ؟ ولماذا أذهب وماذا يراد مني ، وماذا سيكون آخر أمري ، فاذا استيقظ وعرف المقصود من سفرته وحجّه هذا، فانه يخطو الخطوة الثانية المسماة بـ(التخلية) أي تخلية القلب والروح من كلّ ما لا يرضى الله من الصفات والأفعال ، فيتوب إلى الله من كلّ ذنب ومعصية ، ومن كلّ خلق سيء، وصفة ذميمة ، ويتذكر قوله تعالى : (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى) [8] فهذا ميقات مقدّس ولا بدّ من خلع

النعلين ، حبّ الدنيا وما فيها، التي تحجب عن لقاء الله سبحانه ، ومن خلع ملابس المعصية والآثام التي أحاطت به وحجبته عن خالقه بسبب ما اقترفت يداه .

ثمّ يخطو الخطوة الثالثة : (التحلية) من التحلّي بالأفعال الممدوحة والصفات الكريمة ومكارم الأخلاق ، وليكون بصبغة الله، ويلبس ثوبي الاحرام والطاعة والتقوى والعبوديّة .

ثمّ يخطو الخطوة الرابعة : (التجليّة) فانه يسعى في تجليّة ما تحلّى به من الأفعال والصفات ، فتتجلّى فيه أسماء الله الحسنى ويكون مظهراً ومرآة لربه في صفاته وأسمائه ، وإذا كان الجبل لموسى موضع التجلّي الإلهي (فتجلّى له ربّه) كذلك قلب الحاج تجلّى الله سبحانه . فإن قلب المؤمن حرم الله وعرش الرّحمن .

وفي الحديث الشريف : «فحين نزلت الميقات نويت أنّك خلعت ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة... فحين تجرّدت عن مخيط ثيابك نويت أنّك تجرّدت من

الرياء والنفاق والدخول في الشبهات ... فحين إغتسلت نويت أنك إغتسلت من الخطايا والذنوب .»

وعن الامام الصادق ٧: «إذا أردت الحجّ فجرد قلبك لله تعالى من كلّ شاغل ... وفوض أمورك كلّها إلى خالقك ... ثمّ إغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك وألبسكسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع ، وأحرم من كلّ شيء يمنعك عن ذكر الله... ولبّ ... متمسكاً بعروته الوثقى» [9] .

(٦ - لقاح المعراج والميقات :

على الحاج أن يشعر في داخله أنّ الميقات نقطة شروع معراجه في ليلة الاسراء ، فيخرج من الفرش إلى العرش ، ومن التراب إلى ربّ الأرباب .

فالحجّ رؤية أرضية لعروج سماوي ، ونقطة العروج الميقات ، فينفي عن نفسه كل مظاهر الشرك والتعلّقات الدنيوية ، ليرى جمال ربّه ، فيحمده حمداً تاماً (إنّ الحمد والنّعمة والملك لك لا شريك لك ليّيك) .

(٧ - عن رسول الله ٦: «لما أسري بي إلى السماء وصرت بحذاء الشجرة ... فلما كان في الموضع الذي بحذاء الشجرة نودي يا محمّد قال : ليّيك ، قال سبحانه : ألم أجدك يتيماً فأويّتك ووجدتك ضالاً فهديتك ؟ قال النبي ٦ : إنّ الحمد والنّعمة والملك لك لا شريك لك ليّيك» [10] .

(٨ - ميقات الملائكة لطواف البيت المعمور في السماء الرابعة :

ليس الميقات في الحجّ ميقات أهل الأرض وعالم الملك فقط ، بل هي مواقيت لعالم الملكوت أيضاً، وللملائكة الله سبحانه ، فإنّ بحذاء مواقيت الأرض مواقيت في السماء، تحضرها الملائكة عند طوافها بيت المعمور.

قال الامام الصادق ٧: «لَمَّا اسرى بالنبي إلى السماء وصار بحذاء الشجرة وطافت الملائكة تأتي إلى البيت المعمور بحذاء الموضع التي هي مواقيت سوى الشجرة ، فلذلك أحرم من الشجرة دون المواضع كلها».

فأدركت الملائكة ميقات ذي الحليفة بتبع الرسول الأكرم ٦، فإنه أول من افتتح لهم ذلك .

(٩ - التذكير بيوم القيامة :

ان مناسك الحجّ لأشبهه شيء بعوالم الآخرة ، وما جاء في القرآن والحديث من أحوال يوم القيامة ، ومنها حشرهم في يوم المحشر (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [11] بأكفانهم ، كذلك الحجاج في ميقاتهم بلباسهم الاحرامى الأبيض

يمثلون تلك المواقع ، وليستعدوا لتلك المشاهد الصعبة والعقبات الخطرة .
(١٠ - الدخول على الله من كلّ مكان : فان ميقات أهل الحرم من خارج الحرم ، وميقات غيرهم في أطراف مكة المكرمة ، فهذا يعني إن الدخول في مدار الحق ومساره من أي مكان ، فالكلّ سواسية في ذلك ، وإذا كان ميقات حجّ التمتع من داخل مكة فإنه يدلّ على ان الحرم ميقات أيضاً، وانه سفر من الحرم إلى الحرم حتّى يدرك الحاج فيوضات الله من نقطة انطلاقه من الحرم إلى نهاية مطافه في الحرم ، بعد طي المراحل العرفانية في عرفات والشعور في المشعر، والوصول إلى قمّة تمنياته في منى .

[١] (وسائل الشيعة : ج ٨ (أبواب المواقيت) باب ١ ح ٢ .

[٢] (الوسائل : : ٨ : ٢٢٢ .

[٣] (المصدر نفسه .

[٤] (الوسائل : : ٨ : ٢٢٥ .

[٥] (الأعراف : : ١٤٤ .

[٦] (البقرة : : ١٨٩ .

[٧] (الأعراف : : ١٤٣ .

[٨] () طه : ١٢ .

[٩] () الحجّ والعمرة في الكتاب والسنة : ٢٣٤ .

[١٠] () علل الشرايع : ٤٣٣ ، باب ١٦٩ ، الحديث : ١ .

[١١] () المطففين : ٦ .

من أسرار مكة المكرمة والمسجد الحرام

ان مكة المكرمة من بلاد الحجاز فيها الكعبة كالفصّ ، تزهو جمالاً وضياءً، فكرمها الله تكريماً، وجعل لورودها آداباً.

(١ - فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم وحجر إسماعيل وزمزم والحطيم والكعبة المشرفة ، ومن الآيات أن لا يطير على الكعبة طائر، ولا يلوث الكعبة ، وأن الحيوانات تعيش بسلام ، ولا يقصده جبار إلا هلك ، كأصحاب الفيل ، ولا يحس الحاج والحاجة بالنصب والتعب في أداء مناسكهما، وإن تكرّر الحجّ وان كانا من مكان بعيد.

(٢ - حدود المسجد: الكافي بسنده عن الحسن بن نعمان قال : سألت أبا عبد الله ٧ عمّا زادوا في المسجد الحرام فقال : ان إبراهيم وإسماعيل ٨ حدّا المسجد الحرام بين الصفا والمروة [1].

(٣ - اكتب حديث ١٣٩ من ص ٩٠.

(٤ - مكة مأوى الموحّدين والمحبيّن :

فان النفوس تهوي وتعشق لقاء ربّها في مكة المكرمة وطواف كعبته في مسجده الحرام ، وانها لتأنس كأنس الطفل بثدي أمّه .

قال الامام الرضا ٧: «سميت مكة مكة لأنّ الناس كانوا يمكّون فيها، وكان يقال لمن قصدها قد مكّا» [2].

(٥ - مكة دار ممرّ لا دار مستقرّ:

فان المحرم بإحرامه وحجّه يقصد أن يعبر من البلد الأمين بأمان من ذنوبه وآثامه ، إلى دار الخلود في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، فمن يسافر بزاد التقوى وبمعونة الحق من الخلق إلى الحق ، إنّما يتمّ ذلك بنزع نيّة المعصية والتحلّي بلباس الإحرام ، ويلبّي ويطوي البوادي والفيافي ليدخل في رحمة الله، فلا يقيم في مكّة ، فان الامام الصادق ٧ قال «المقام بمكّة يقسي القلوب» .

قال الامام الباقر ٧: «لا ينبغي للرجل أن يقيم بمكّة سنة ، قلت : كيف يصنع ؟ قال : يتحوّل عنها فيخرج منها ليدخلها محرماً ، ويكون في صفّ ضيوف الرحمن .

(٦ - مكّة مبدء الخيرات والنعيم :

لكلّ شيء أصل وجذر يسمى عند العرب بالأُم ، يقصده القاصد، فالقرى والمدن كانت منشأ الخيرات والنعيم ولا تزال ، إلّا أن مكّة أمّ القرى وأصلها، وقد دحيت الأرض من تحتها، فكل ما في الأرض من البركات والخيرات فاصلة مكّة المكرّمة .

(٧ - مكّة من مواضع وحدة الموحّدين :

فان مكّة سمّيت بكّة لأنّ الناس يبك بعضهم بعضاً بالأيدي ، أي يدفع بعضهم بعضاً، لكثرة الزحام وقوّة الاجتماع وتجلّي الوحدة في توحيد الصفوف والمشاعر والمناسك ، وإن كان الاختلاف في بعض الجزئيات والكيفيات لاختلاف المذاهب إلا أنّ الطابع العام يشير بوضوح إلى وحدة الموحّدين والمسلمين ، كما سيكون الحكم واحداً عند ظهور صاحب الزمان ٧ .

(٨ - مكّة من محاور إذلال الظالمين والجائرين والبُغاة :

فانه طيلة تاريخ مكّة المكرّمة ما قصدها جبار جائر إلّا أهلكه الله وأهانته كأصحاب الفيل .

قال الامام الصادق ٧: «أسماء مكّة خمسة : أمّ القرى ومكّة وبكّة والبساسة ، كانوا اذا ظلموا بها بستهم أي أخرجتهم وأهلكتهم ، وأمّ رحم كانوا إذا الزموها رحموا» [3] .

وفي خبر آخر: «وكانت تسمى بكة لأنها تبك أعناق الباعثين اذا بغوا فيها» [4].

(٩ - مكة أرض العبادة ومهد العبودية :

من أكثر الأراضي يكون فيها البكاء والتضرع والعبادة بكل مظاهرها هي مكة المكرمة .

قال الامام الصادق ٧: «إنما سميت مكة بكة لبكاء الناس حولها وفيها».

فبكة لتسميتها وجوه لا منافاة بينهما، لملاحظة ذلك من جهات مختلفة ، تارة : لأنه يدفع الناس بعضهم بعضاً، وأخرى : لأنه تبك أعناق الباعثين ، وثالثة : لأنه يبكي الناس فيها ومن حولها.

قال الامام الباقر ٧: «الساجد بمكة كالمتشحط بدمه في سبيل الله».

قال الامام السجاد ٧: «من ختم القرآن بمكة لم يمت حتى يرى رسول الله ٦ ويرى منزله في الجنة».

وقال ٧: «النائم بمكة كالمتشحط في البلدان».

(١٠ - مكة بلد تهذيب الروح وتطهير النفوس :

فان في مكة يفسح المجال اكثر لمن يريد أن يطهر نفسه ويصقل قلبه ويهذب روحه ، فمن أراد أن ينصهر في بوتقة الجمال والجلال فسرعان ما يحصل عليه في مكة المكرمة .

قال رسول الله ٦: «من مرض يوماً بمكة كتب الله له من العمل الصالح الذي كان يعمله عباده ستين سنة ، ومن صبر على حر مكة ساعة تباعدت عنه النار مسيرة مائة عام ، وتقربت منه الجنة مسيرة مائة عام» [5].

(١١ - مَكَّةُ بِلْدِ الْأَطْيَابِ وَالطَّاهِرِينَ :

خاطب الله رسوله إبراهيم وإسماعيل (طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [6] .

قال الامام الصادق ٧: «فينبغي للعبد أن لا يدخل مَكَّةَ إِلَّا وهو طاهر، قد غسل عرقه والأذى وتطهر».

وقال ٧: «من دخلها بسكينة غفر له ذنبه»، قلت : كيف يدخل بسكينة ، قال :
«يدخلها غير متكبر ولا متجبر» [7] .

(١٢ - كان المسجد الحرام مع بناء الكعبة منذ زمن آدم ٧، وجدد بناءه في زمن إبراهيم الخليل ٧، وان للمسجد آداب وأحكام خاصة زادت في قداسة المسجد وتكريمه حتى كانت الصلاة فيها تعادل عشرة آلاف ركعة في غيرها فكان المسجد أمل الوصول إلى الله سبحانه .

فعن الامام الصادق ٧ يقول عند دخوله : «اللهم إني عبدك ، والبلد بلدك والبيت بيتك ، جئت أطلب رحمتك ، وأؤم طاعتك ، مطيعاً لأمرك ، راضياً بقدرك ، أسألك مسألة المضطرّ إليك الخائف لعقوبتك ، اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإستعملني بطاعتك ومرضاتك» [8] .

(١٣ - منع المشركين من دخول المسجد الحرام لطهارته وانه بيت الطاهرين ، ولا يمسه إِلَّا المطهرون بطهارة ظاهريّة وطهارة معنويّة (ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) [9] (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا

مَسَاجِدَ اللَّهِ [10] .

(١٤ - مسجد الحرام مظهر الحصن التوحيدي :

في الحديث الرضوي الصحيح قال ٧: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حَصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي» والمظهر لكلمة التوحيد المسجد الحرام (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) [11] (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ

فِيهِ) [12] .

فالكل في المسجد الحرام في أمان الله (فمن دخله أمن من عذابي) فالمسجد الحرام من حصون الله الأمانة .

(١٥ - مسجد الحرام منطلق الجهاد مع الشرك العالمي :

لم يكن المقصود من مسجد الحرام عبادة الله وحسب ، بل الحناجر التوحيدية تصرّح بنفي الشرك بكلّ مظاهره وشعائره ، فمن آدم إلى الخاتم : كلّ الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم ومن في خطّهم من ورثتهم العلماء العاملين المخلصين الصالحين هتفوا بصوت واحد (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك) فيفوض أمر مثل هذا المسجد إلى من كان موحداً في عقيدته وسلوكه (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ) [13]

(وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا

([14] فإدارة الحرم الشريف ليس بمن يلبس عباءة التزوير ، ويتلاعب

بالكلمات والألفاظ ، فيدعى ما ليس فيه من خدمة الحرمين ، أو خدمة الحجّاج .

ويستحب الدخول من باب بني شيبه ، إذ لما كسر أمير المؤمنين أصنام قريش دفن هبل الصنم الكبير في باب بني شيبه ، فيستحب الدخول منه ليكون الصنم والصنمية تحت الأقدام .

(١٦ - مسجد الحرام رمز نفي العنصرية والنظام الطبقاتي :

فانك عند ما تدخله تجد الناس من كل العرقيات والقوميات والطبقات الإجتماعية ، فكلهم سواسية في مناسك الحج ومشاعره (وَأَلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً أَعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) [15] .

فالكل سواسية حتى الرجال والنساء .

عن الامام الصادق ٧: يابن رسول الله أقوم أصلي والمرأة جالسة بين يدي أو مارة ؟ قال ٧: لا بأس إنما سميت بكّة ، لأنه يبيك فيها الرجال والنساء .

فلا يجب حضور النساء في المجمع والجوامع ، إلا المسجد الحرام فإنه يجب عليها الحضور لاداء مناسكها كالطواف وصلاته ، فأبواب السعادة فتحت للكل ، لا فرق بين العربي والعجمي ، ولا بين الأبيض والأسود، ولا بين الرجل والمرأة .

(١٧ - مسجد الحرام منطلق السير والسلوك إلى الله:

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) [16] .

(١٨ - مسجد الحرام قبلة الموحدين :

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) [17] .

فالكل بإمكانه أن يتوجّه إلى هذا القطب بمغناطيسيّة روحية وعقلية ، بل في صلاته يتوجّه إلى الكعبة لمن كان في المسجد، وإلى المسجد من كان في خارجه ، وإلى مكّة لمن كان في خارج مكّة .

(وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوُتُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) [18] .

فيستحب الجلوس والتّوضي نحو القبلة ، كما يجب التوجّه إليها في الصلاة والذبيحة والاحتضار والدفن ، كما يحرم إستقبالها واستدبارها عند التخلّي .

(١٩ - المسجد الحرام مظهر الشكر وردّ المعروف :

فانه يستحب لمن يدخله أن يقرء بعض الأدعية التي منها: (السّلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته ، بسم الله وبالله ومن الله وما شاء الله، والسّلام على أنبياء الله ورسله ، والسّلام على رسول الله والسّلام على ابراهيم ، والحمد لله ربّ العالمين) فهذا من شكر المنعمين في الهداية والتربية والتسليم .

(٢٠ - تثبيت وتعميق الإيمان :

فمن آداب المسجد الحرام الطواف والصلاة وتلاوة القرآن والنظر إلى الكعبة وذكر الله سبحانه مما يساعد على تثبيت الإيمان وتعميقه في النفوس .

عن رسول الله ٦: «أعظم المساجد حرمةً ، وأحبّها إلى الله وأكرمها على الله تعالى المسجد الحرام» .

في شرح المأزمين إنّه موضع عبد فيه الأصنام ، ومعه أخذ الحجر الذي نحت منه هبلّ الذي رمى به علي ٧ من ظهر الكعبة لما علا ظهر رسول الله ٦ فأمر به فدفن عند باب نبي شيبه ، فصار الدخول إلى المسجد من باب بني شيبه سنة لأجل ذلك .

- [١] () الكافي : : ٤٠٩ .٢٠٩
- [٢] () عيون أخبار الرضا ٧ : : ٢٠٩ .٩٠
- [٣] () البحار : ١٦ .
- [٤] () الوسائل : : ٩٩ ١٩ من أبواب مقدمات الطواف ، الحديث ١ .
- [٥] () البحار : : ٤٧ ٦١ .
- [٦] () البقرة : : ١٢٥ .
- [٧] () المصدر نفسه .
- [٨] () الكافي : : ٤٠١ .٤٠١
- [٩] () الحجّ : : ٢٥ .
- [١٠] () التوبة : : ١٧ .
- [١١] () الحجّ : : ٢٥ .
- [١٢] () البقرة : : ١٩٢ .
- [١٣] () التوبة : : ١٨ .
- [١٤] () الأنفال : : ٣٤ .
- [١٥] () الحجّ : : ٢٥ .
- [١٦] () الإسراء : : ١ .
- [١٧] () البقرة : : ١٤٤ .
- [١٨] () البقرة : : ١٥٠ .

من أسرار الكعبة المشرفة والبيت الحرام

قال الله تعالى : (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُقَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) [1] .

(١ - الكعبة قبله من كان مصلياً داخل المسجد الحرام ، والمسجد قبله أهل مكة ، وجهات الكعبة قبله المسلمين في البلاد (فَوْوَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) [2] .

(٢ - الكعبة قبله المسلمين في عرضها، كما هي قبله في عمودها، فإنها قبله من موضعها، ومن تخوم الأرض إلى عنان السماء.

(٣ - الكعبة بيت الله الحرام (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) [3] .

(٤ - الكعبة مكعبة الشكل ذات الأضلاع الأربعة :

روى عن الامام الصادق ٧ انه سُئِلَ لِمَ سَمِيَتِ الْكَعْبَةُ بِالْكَعْبَةِ ؟ فَقَالَ ٧ : إِنَّهَا مَرْبَعَةٌ ، فَقِيلَ لَهُ وَلِمَ صَارَتْ مَرْبَعَةٌ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا بِحِذَاءِ الْعَرْشِ وَهُوَ مَرْبَعٌ - فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يَطُوفُ حَوْلَهَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ كَجِبْرَائِيلَ - فَقِيلَ لَهُ وَلِمَ صَارَ الْعَرْشُ مَرْبَعًا ؟ قَالَ : لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي بَنِيَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ [4] .

أقول في بيان هذا الحديث الشريف : إن خلاصة السير والسلوك إلى الله سبحانه وتعالى ، وكذلك خلاصة الإسلام وأركانه الأربعة في بناء صرحه الشامخ ، إنما هو عبارة عن هذه الكلمات الأربعة المقدّسة : التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير .

فان من أهم الطرق إلى معرفة الله سبحانه الذي هو أساس الإسلام إنّما هو بالآيات الأنفسية ، فان الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق إلاّ أنّه (من عرف نفسه فقد عرف ربه) .

ومن الواضح إنّ الانسان عند ما يرى نفسه ، يرى النقص فيه متجلبباً ومتبلوراً ، فأنّه كان في بطن أمّه لا يعلم شيئاً ، وأنّه لا يقدر على أن يطرد الذبابة من وجهه عند ما كان في المهد رضيعاً ، فأنّه المخلوق الجاهل والعاجز ، فينزّه خالقه عن الجهل والعجز قائلاً (سبحان الله) وهو الركن الأوّل في السير إلى الله كركن الحجر الأسود في بداية الطواف .

ثمّ يرى الجمال من حوله فينسبه على الإطلاق إلى الجميل المطلق ومطلق الجميل وهو الله سبحانه ، فأنّه أحقّ بالحمد والثناء المستغرق فيقول (الحمد لله) وهو الركن الثاني في السلوك ومعرفة الله سبحانه بمنزلة الركن العراقي من الكعبة المشرفة .

ثمّ يرى أنّ الله الكمال والجمال يستحقّ الهيبة والجلال ، وإنه أحقّ بالعبادة والحبّ والتذلّل له ، فيقول مهلاً ومبتهجاً: (لا إله إلاّ الله) وإله من (وَلَا) أو (أَلَه) والأوّل بمعنى الحب ، والثاني بمعنى المعبود، فالله هو المعبود والمحبوب حقاً ، وهذا الركن الثالث بمنزلة الركن الشامي من بيت الله الحرام .

ثمّ ترى هل يمكن لأحد أن يصف الله ويثني عليه ؟ كلاً ثمّ كلاً فان الله سبحانه أكبر من أن يوصف ، وما عرفناك حقّ معرفتك وما عبدناك حقّ عبادتك (الله أكبر) وهذا هو الركن الرابع الذي يبتني عليه الإسلام ، وإنه بمنزلة الركن اليماني من الكعبة المقدّسة .

(٥ - الكعبة ذات أركان أربعة : ١ - الركن الشرقي أو ركن الحجر الأسود وهو المبدء والختام في أشواط الطواف السبعة . ٢ - والركن العراقي ، وهو نحو العراق

فسمي به . ٣ - والركن الشامي نحو الشام . ٤ - والركن اليماني نحو اليمن ، ويسمى بالركن العلوي ، وركن أهل البيت : أيضاً، ويستحب لمسّه عند الطواف ، وقد انشقّ عند مخاض فاطمة بنت أسد ٣ ، فولدت أمير المؤمنين علي ٧ داخل الكعبة .

(٦ - في الكعبة باب ذهبي و(الملتزم) عند الباب يلزمه الحجّاج بخشوع وبكاء ليتوب الله عليهم ، وبين الكعبة ركن الحجر الأسود ومقام إبراهيم (الخطيم) فإنّ الناس بإزدحامهم يحطّمون ذنوبهم ، وفي الكعبة (ميزاب ذهبي) يصب في حجر إسماعيل .

حجر إسماعيل : موضع خيمة إسماعيل وأمّه هاجر ٣ ، والحجر مأخوذ من الحجرة بمعنى البيت والغرفة ، أو من نصف الشكل الدائري ، أو من الحجارة فيما يحجّر بها كالحائط القائم بالحجارة ، وصار حجر إسماعيل مدفنه ومدفن أمّه وسبعين من الأنبياء، فدخل في الطواف تكريماً لهم . وهذا ممّا يدل على تكريم قبور الأولياء والصالحين والصالحات .

(٧ - الكعبة مطاف المؤمنين لتجرّد أرواحهم ، كالملائكة الطائفين حول البيت المعمور في السماء الرابع ، أو حول العرش في السماء السابع .

والانسان ذو بعدين : روحي كالملائكة ، وجسدي كالحيوان ، وقد أفلح من تزكى (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)[5] فبقالبه الجسدي يطوف حول

الكعبة والأحجار، ولكن بقلبه الروحي يطوف حول كعبة الأظهار.

(٨ - الكعبة رمز الوحدة والاحدية كالقرآن الكريم والانسان الكامل التدويني ، وكالانسان الكامل العيني ، أي النبي والامام ٨ فالكعبة الواحدة في الأرض والدين الواحد في الخلق والرب الواحد للعالمين ، كلّها تدعو إلى الوحدانية والأبدية والطواف والفناء بالله والبقاء به ، وهو دعوة من الكثرة إلى الوحدة . كما في السير العرفاني .

(٩ - الكعبة علامة وعامل وحدة المسلمين في كل أدوار حياتهم من

سنينها وشهورها وساعاتها ودقائقها، من يوم الولادة وإلى يوم الممات ، والوضع في القبر، ومن الصلاة التي هي عمود الدين ، وإلى الذبيحة بين المسلمين ، في كل ذلك نقول : (والكعبة قبلتي) ورمز وحدتي مع ، اخوتي من المسلمين في كل بقاع العالم .

(١٠ - الكعبة محور الطهارة ورمز العبادة (أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [6] .

(١١ - الكعبة قبلة المسلمين ، والمسجد الحرام أم المساجد، وأن قبلة المساجد كلها نحو الكعبة ، ومكة أم القرى فكلها تأمها في الصلاة نحوها، وفي المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه (رجال يحبون أن يتطهروا) ومن يتطهر كان محبوباً لله (إن الله يحب المتطهرين) ، والبيت الطاهر يطوف حوله من كان طاهراً بجسده وروحه ، ومن طهر كان محبوباً عند ربه ، ومن كان محبوباً كان مرآة لأسماء الله الحسنى ومجلى لصفاته العليا، فعينه عين الله، وسمعه سمع الله، وان الطاهر حقاً يمس معاني وأسرار الكعبة ، كما يمس معاني القرآن وبواطنه (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) [7] فمن كان جاهلاً وغير طاهر (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا

مُكَاءً وَتَضِيئَةً) [8] أي يصفر ويصقق ، يكون كالأنعام بل أضل .

(١٢ - الكعبة محور النهضة والثورة والقيام الفردي والجماعي (إنما

أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى وَفَرَادَى (9] وقد (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ

قِيَامًا لِلنَّاسِ) [10] فلا بدّ من المقاومة أمام شهوات النفس أولاً، فإن أعدى عدوك

نفسك التي بين جنبيك ، ثمّ مقاومة أعداء الدين والشياطين وأعداء الفضائل
والمكارم (ليقوم الناس بالقسط) (لا يزال هذا الدين قائماً ما قامت الكعبة) فحياة
الكعبة حياة الدين ، وحياة الناس بحياة الدين .

قال أمير المؤمنين علي ٧: «الله الله في بيت ربكم ، لا تخلوه ما بقيتم فاتّه إن ترك لم
تناظروا». أي لم يُنظر بكم الأعداء، فلا يمهلكم في هجومهم المباغت لمحو الدين
ومحو معالمه .

قال رسول الله ٦: «من أراد دنيا وآخره فليؤم هذا البيت» أي فليقصد وليحج هذا
البيت المبارك ، ثمّ قيام الامام المهدي ٧ في آخر الزمان تنطلق من الكعبة ، فالكعبة
قيام إعتقادي كما أنّه قيام اقتصادي (ليشهدوا منافع لهم) وإنه متفرع على القيام
الاعتقادي (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) [11] وإذا تعارض القيامان فإنه
يقدم الأصل على الفرع ، فيقدم القيام
الاعتقادي .

(١٣ - الكعبة منطلق الحرّيّة ومحورها: (وليطوّفوا بالبيت العتيق) فاتّه تحرّر
وعتق من أن يكون تحت سلطة أحد، كما عتق عن فيضان نوح ٧، كما أنّه أوّل بيت
وضع للناس ، فهو أقدم بيت .

قال الامام الباقر ٧: «هو بيت حرّ عتيق من الناس لم يملكه أحد» هو بيت الله جلّ الله
(طهر بيتي) (عند بيتك المحرّم) وبهذا يطوف الحاج حول الكعبة ، لتخلّص عن
عبوديّة ما سوى الله سبحانه .

فكيف لمن كان عبد بطنه وفرجه أو اتّبع هواه ، أو ملكه المال والجاه ، أو استرقتة
الدنيا وزبرجها، أو نهج خطوات الشيطان ، أو أضلّه أعوانه من الانس والجان أن
يطوف حقاً حول بيت الله العتيق الحرّ.

قال أمير المؤمنين ٧: «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حُرّاً».

(١٤ - الكعبة محور المساواة والعدالة : فالجميع البعيد والقريب والرجل والمرأة والغني والفقير والعالم والجاهل والعربي والأعجمي والاحزاب والعشائر وغيرها الكثير، إلا أنّ الكل أمام الكعبة سواء (سواء العاكف فيه والباد) (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

(١٥ - الكعبة محور المرجعية لعامة الناس (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا) [12] .

ومن معاني المثابة المرجعية ، فان ثاب بمعنى رجع والتاء في المثابة للمبالغة كالعلامة ، فهذا البيت المقدس المرجع المكرر للناس جميعاً، فالكعبة مرجع الأمم والشعوب في كل لحظاتهم وشؤونهم .

(١٦ - الكعبة أقدم المعابد على مرّ العصور (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِّلنَّاسِ لِلَّذِي بَنَىٰ مَبْرُكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) [13] .

وبهذا تفضلت الكعبة على بيت المقدس ، وكانت الكعبة بيت الله العتيق والنفيس بنفاسة الآثار القديمة ، وبنفاسة الكعبة بالعرض ، فتشرّفت بانتسابها إلى الله سبحانه (طهرّ بيتي) فكان مظهراً ومكاناً لعبادة الله، ومحلاً لنزول الوحي على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ٦.

(١٧ - عن أبي حمزة الثمالي قال : قلت لأبي جعفر ٧ في المسجد الحرام لأيّ شيء سمّاه الله العتيق ؟ فقال : أنّه ليس من بيت وصفه الله على وجه الأرض إلاّ له ربّ وسكان يسكنونه غير هذا البيت ، فانه لا ربّ له إلاّ الله عزّوجلّ وهو الحرّ، ثمّ قال : إن الله عزّوجلّ خلقه قبل الأرض - وهذا وجه آخر لتسميته بالعتيق فان العتيق يقال للتقديم أيضاً - ثمّ خلق الأرض من هذه فدحاها من تحته [14] .

وفي خبر آخر: إنّما سمّي البيت العتيق لأنه أعتق من الغرق ، وأُعتق الحرم معه ، وكف عنه الماء في طوفان نوح ٧.

(١٨ - الكعبة صفوة الله ومختاره من الأرض ، كما إختار واصطفى من عباده الأنبياء.

عن الامام الصادق ٧ إن الله اختار من كلّ شيء شيئاً وإختار من الأرض موضع الكعبة . وقال ٧: ما خلق الله عزّوجلّ بقعة في الأرض أحب إليه منها، ولا أكرم على الله منها.

(١٩ - الكعبة منشأ البركات الالهية ، والبركة بمعنى الغير المستقرّ والمستمرّ (إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهديّ للعالمين) [15] .

(٢٠ - الكعبة محور الهداية (هدى للعالمين) فيه آيات بيّنات تهدي الخلق للتي هي أقوم ، وإلى ما هو الأفضل والأتم .

(٢١ - الكعبة محور التوبة في قصّة آدم ٧، كما سيكون من بعده كذلك : (ثم جعل الله البيت الحرام حذو الضّراح - البيت المعمور - توبة لمن أذنب من بني آدم ، وطهوراً لهم).

(٢٢ - وجب حجّ البيت وزيارته بقوله تعالى : (وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) [16] .

(٢٣ - زوّار الكعبة من شعائر الله فلا يجوز إحلال ما حرّمه الله (يا أيّها الذين آمنوا لا تحلّوا شعائر الله ولا الشّهْر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام) [17] .

(٢٤ - الكعبة بيت الله، وضعه للناس جميعاً، إلا أنه لا يتولاها إلا من كان متقياً (أولياؤه إلا المتقون) [18] كالأنبياء والأوصياء والعلماء والصلحاء والمؤمنين

بعضهم أولياء بعض ومن يتولى من غير هؤلاء، فاولئك سراق الكعبة، وتقطع أيديهم عند ظهور صاحب الزمان ٧.

(٢٥ - الكعبة قبله (والكعبة قبلتي) من تخوم الأرض إلى عنان السماء، ويختلف حكمها عن مساجد الله الأخرى، فلا يمر عليها من كان جنباً أو حائضاً، حتى لو خربت الكعبة، وهذا بخلاف المساجد، فعند خرابها لا يراعى فضائها وما فوقه.

(٢٦ - إن حرمة الكعبة كانت قبل، إبراهيم ٧ لقوله تعالى: (عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) وقد تولى الله شؤون الكعبة (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) [19] وللبيت رب

يحميه .

(٢٧ - عن أبي عبدالله ٧ قال: إن الله عز وجل دحى الأرض من تحت الكعبة إلى منى، ثم دحاها من منى إلى عرفات، ثم دحاها من عرفات إلى منى، فالأرض من عرفات، وعرفات من منى، ومنى من الكعبة [20].

(٢٨ - عن أبي عبدالله ٧ قال: كان موضع الكعبة ربوة من الأرض - الربوة ما ارتفع من الأرض - بيضاء تضيء كضوء الشمس والقمر حتى قتل إبن آدم أحدهما صاحبه، فأسودت، فلما نزل آدم رفع الله له الأرض كلها حتى رآها، ثم قال هذه لك كلها، قال: يا رب ما هذه الأرض البيضاء المنيرة (قال: هي في أرض وقد جعلت عليك ان تطوف بها كل يوم سبعمأة طواف) [21].

(٢٩ - ربّ الكعبة هو الله سبحانه ، وبنّاها آدم وحوّاء ٨ بأمر من الله وبهندسة جبرئيل ٧ ، حينما خط بجناحه حدود البيت من الجهات الأربع ، كما ورد في الخبر الشريف ، وفي كيفة هندسة البيت روايات أخرى .

(٣٠ - رفع قواعدها إبراهيم الخليل وإسماعيل الذبيح بعد طوفان نوح وعتق البيت منه ، وإنهدم بمرور الزمان وبنّاها (العمالقة) ثمّ إنهدم مرّة أخرى ، وشيّدتها (جرهم) ثمّ إنهدم وبنته قريش ، وفي عصر الرسول الأعظم ٦ بعد إختلاف قريش فيمن يضع الحجر الأسود في موضعه ، فقبلوا بالنبي حكماً ، فنزع رداءه ووضع الحجر فيه ، وأمر قريش وبطونهم أن يأخذوا بأطراف الرداء ، وحملوه إلى موضعه فوضعه الرسول الأكرم ٦ فأعجبهم بما حكم به وأرضاهم ، وهدم الحجاج بالمنجيق الكعبة ، وأعاد البناء الامام السجاد ٧ في قصّة مفصّلة مذكورة في كتاب (بحار الأنوار: : ٩٦ : ٥٢) للعلامة المجلسي ١ فراجع .

(٣١ - زوجة إسماعيل من حمير كست الكعبة ، وسقّفها إسماعيل الذبيح ، وكان له بابان للدخول والخروج ، وأهدى له من الأنعام فكان الهدى من سنن الحجّ [22] .

(٣٢ - كان أمير المؤمنين ٧ يبعث من العراق كلّ سنة كسوة البيت الحرام .

(٣٣ - عن أبي عبدالله ٧: إن الله عزّوجلّ حرّمات ثلاث ليس مثلهنّ شيء: كتابه وهو حكمه ، ونوره ، وبيته الذي جعله قبلة للناس لا يقبل من أحد توجّهاً إلى غيره ، وعترة نبيكم .:

(٣٤ - ذكر الله بيته الحرام في كتابه الكريم في ستّة عشر موضعاً ، في موضعين نسب البيت إلى نفسه (طهر بيّتي) (طهرا بيّتي) أي فرداً أو جماعة ، وفي مورد قال إبراهيم ٧: (عند بيتك المحرّم) وفي ثلاثة مواضع نُسب إلى الناس (أول بيت وضع للناس) (قياماً للناس) (مثابة للناس) .

(٣٥ - جاء نفر من اليهود إلى رسول الله فسألوه عن أشياء منها: لم سميت الكعبة كعبة؟ فقال : لأنها وسط الدنيا.

(٣٦ - عن الامام الرضا ٧: علّة وضع البيت وسط الأرض أنّه الموضع الذي من تحته دحيت الأرض يوم ٢٧ ذي القعدة - ليكون الفرض أي الحجّ لأهل المشرق والمغرب سواء - ودحو الأرض بمعنى بسطها من تحت الكعبة[23].

(٣٧ - عن أمير المؤمنين علي ٧ قال : اذا خرجتم حجاجاً إلى بيت الله عزّوجلّ ، فاكثروا النظر إلى بيت الله، فان الله عزّوجلّ مائة وعشرين رحمة عند بيته الحرام ، ستون منها للطائفين ، وأربعون للمصلّين ، وعشرون للناظرين[24].

(٣٨ - عن رسول الله ٦: النظر إلى الكعبة حيالها (حباً لها) يهدم الخطايا هدماً.

(٣٩ - عن الامام الصادق ٧: من أيسر ما ينظر إلى الكعبة أن يعطيه الله بكلّ نظرة حسنة ، ويمحي عنه سيئة ، ويرفع له درجة .

(٤٠ - في فروع الكافي بسنده عن أبي عبدالله ٧ قال : إن الله عزّوجلّ دحى الأرض من تحت الكعبة إلى منى ، ثمّ دحاها من منى إلى عرفات ، ثمّ دحاها من عرفات إلى منى ، فالأرض من عرفات و عرفات من منى ومنى من الكعبة[25].

(٤١ - عن أبي جعفر ٧ عن آبائه : إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى جبرئيل ٧: انا الله الرحمن الرحيم ، واني قد رحمت آدم وحواء لمّا شكيا إليّ ما شكيا، فاهبط عليهما بخيمة من خيم الجنّة ، وعزّهما عنّي بفراق الجنّة ، وأجمع بينهما في الخيمة ، فاني قد رحمتها لبكائهما ووحشتها في وحدتهما، وانصب الخيمة على الترفة التي بين

جبال مَكَّة ، قال : والترعة مكان البيت وقواعده التي رفعتها الملائكة قبل آدم ٧ ، فهبط جبرئيل ٧ على آدم بالخيمة على مقدار أركان البيت وقواعده فنصبهما .

قال : وأنزل جبرئيل آدم من الصفا، وأنزل حوَّاء من المروة ، وجمع بينهما في الخيمة ، قال : وكان عمود الخيمة قضيب ياقوت أحمر فأضاء نوره وضوؤه جبال مَكَّة وما حولها، قال : وإمتدَّ ضوء العمود قال : فهو موضع الحرم اليوم من كلِّ ناحية من حيث بلغ ضوء العمود، قال : فجعله الله حرماً لحرمة الخيمة والعمود لآتئها من الجنَّة قال : ولذلك جعل الله عزَّوجلَّ الحسنات في الحرم مضاعفة والسيِّئات مضاعفة ، قال : ومُدَّت أطناب الخيمة حولها فمنتهى أوتادها ما حول المسجد الحرام ، قال : وكانت أوتادها من عقيان الجنَّة وأطنابها من صفائر الأرجوان .

قال : وأوحى الله عزَّوجلَّ إلى جبرئيل ٧ : إهبط على الخيمة بسبعين ألف

ملك يحرسونها من مرده الشياطين ويؤنسون آدم ، ويطوفون حول الخيمة تعظيماً للبيت والخيمة ، قال : فهبط بالملائكة فكانوا بحضرة الخيمة يحرسونها من مرده الشياطين العتادة ، ويطوفون حول أركان البيت والخيمة كلَّ يوم وليلة ، كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور ، قال : «وما أركان البيت الحرام في الأرض» حيال البيت المعمور الذي في السماء .

ثمَّ قال : انَّ الله عزَّوجلَّ أوحى إلى جبرئيل ٧ : بعد ذلك أن إهبط إلى آدم وحوَّاء فنحَّهما عن مواضع قواعد بيتي ، وإرفع قواعد بيتي لملائكتي ثمَّ لولد آدم ٧ ، فهبط جبرئيل على آدم وحوَّاء، فأخرجهما من الخيمة ، ونحَّاهما عن ترعة البيت ، ونحَّى الخيمة عن موضع الترعة ، قال : ووضع آدم على الصفا، وحوَّاء على المروة ، فقال آدم ٧ : يا جبرئيل أبسخط من الله عزَّوجلَّ حولتنا وفرقت بيننا أم برضاً وتقدير علينا؟ فقال لهما: لم يكن بسخط من الله عليكما، ولكن الله لا يسأل عما يفعل ، يا آدم إن السبعين ألف ملك الذين أنزلهم الله إلى الأرض ليؤنسونك ويطوفوا حول أركان

البيت المعمور والخيمة ، سألوا الله أن يبني لهم مكان الخيمة بيتاً على موضع التربة المباركة حيال البيت المعمور، فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور فأوحى الله عزوجل إليّ أن أنحيك وأرفع الخيمة ، فقال آدم ٧: قد رضينا بتقدير الله ونافذ أمره فينا، فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصفا، وحجر من المروة ، وحجر من طور سيناء، وحجر من جبل السلام ، وهو ظهر الكوفة ، وأوحى الله عزوجل إلى جبرئيل أن ابنه وأتمّه ، فاقتلع جبرئيل الأحجار الأربعة بأمر الله عزوجل من مواضعهنّ بجناحه ، حيث أمر الله عزوجل في أركان البيت على قواعده التي

قدّرها الجبار، ونصب أعلامها، ثم أوحى الله عزوجل إلى جبرئيل ٧ أن ابنه وأتمّه بحجارة من أبي قبيس وإجعل له ما بين باباً شرفياً وباباً غربياً قال : فاتمه جبرئيل ٧ فلما أن فرغ طافت حوله الملائكة ، فلما نظر آدم ٧ وحواء إلى الملائكة يطوفون حول البيت ، إنطلقا فطافا سبعة أشواط ، ثمّ خرجا يطلبان ما يأكلان[26] .

(٤٢ - أضلاع الكعبة في عالم الطبيعة والمادّة ، يتمثّل ويُمثّل ما في عالم المثال ، وهو البيت المعمور في السماء الرابع ، وما في عالم المثال ، أي البيت المعمور فإنه يرمز إلى ما في عالم المجرّدات وهو العرش الالهي في السماء السابع ، والمجرّدات تجلّيات أسماء الله الحسنى .

فالنظام الربوبي في القوس النزولي والقوس الصعودي يتجلّى بالمراتب الوجوديّة العقلية المجرّدة والمثاليّة والطبيعيّة ، ورمز هذه المراتب الثلاث : العرش والبيت المعمور والكعبة ، كلّ واحد بأزاء وحذاء الآخر، فلو أسقط حجراً من بيت المعمور لسقط فوق سطح الكعبة - كما ورد في الخبر الشريف .

(٤٣ - الأمر ببناء الكعبة هو الله سبحانه، والمهندس المخطّط جبرئيل ٧ والبناء آدم وحواء، ثم إبراهيم وإسماعيل ٨ (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا) [27] فُنُبِتِ الكعبة على التوحيد منذ اليوم الأوّل (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ

الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [28] وكان هذا

البيت الالهي قبلة البيوت الإلهية في الأرض (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) [29]

(٤٤ - القيادة الدينيّة والولاية العظمى للامام في العالم الطبيعي والتكويني بمنزلة الكعبة : (مثل الامام مثل الكعبة اذ تُؤْتَى ولا تاتي) فعلى الناس أن يلتفتوا حول إمام زمانهم ، ويحجونه ويقصدوه ويزورنه تكراراً، كما هي الكعبة ، فانها تُزار ولا تزور، فيأخذون معالم دينهم من إمام زمانهم ، ومن ينوبه بنياية خاصّة أو عامّة ، كالفقهاء العدول ، والمرجعيّة الصادقة .

(٤٥ - عن الصادق ٧: من أتى الكعبة فعرف من حقنا وحرمتنا مثل الذي عرف من حقها وحرمتها لم يخرج من مكّة ، إلّا وقد غفر له ذنوبه ، وكفاه الله ما يهّمه من أمر دنياه وآخرته .

(٤٦ - لقد طهّر إبراهيم الخليل وإسماعيل البيت كما طهّر الرسول الأعظم وأمير المؤمنين ٧ البيت من الأصنام ، وصعد أمير المؤمنين على كتف رسول الله ٦ وأسقط الأصنام التي كانت على سطح الكعبة وقال : (فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة لو أردت أن أمسك السماء لمسكتها).

(٤٧ - في العلل عن حنان قال : قلت لأبي عبدالله ٧ لِمَ سَمِّيَ بيت الله الحرام ؟ قال : لأنّه حرم على المشركين أن يدخلوه [30] .

هذا غيض من فيض في أسرار الكعبة المكرمة .

-
- [١] () البقرة : ١٤٤ .
- [٢] () البقرة : ١٤٤ .
- [٣] () آل عمران : ٩٦ .
- [٤] () علل الشرايع : : ٣٩٨ ٢ .
- [٥] () الشمس : ٩ - ١٠ .
- [٦] () البقرة : ١٢٥ .
- [٧] () الواقعة : ٧٩ .
- [٨] () الأنفال : ٣٥ .
- [٩] () سبأ : ٤٦ .
- [١٠] () المائدة : ٩٧ .
- [١١] () النساء : ٥ .
- [١٢] () البقرة : ١٢٦ .
- [١٣] () آل عمران : ٩٦ .
- [١٤] () الحجّ في الكتاب والسنة : ٢٥ .
- [١٥] () آل عمران : ٩٦ .
- [١٦] () آل عمران : ٩٧ .
- [١٧] () المائدة : ٢ .
- [١٨] () الأنفال : ٣٤ .
- [١٩] () قريش : ٣ .
- [٢٠] () الحجّ في الكتاب والسنة : ٢٥ .
- [٢١] () الكافي : : ١٨٩ ٤ .
- [٢٢] () البحار : : ٥٦ ٩٦ .
- [٢٣] () مجمع البحرين : : ١٣٤ ١ .

- [٢٤] () البحار: :٥٩ ٩٦.
- [٢٥] () الكافي : : ١٨٩ ٤.
- [٢٦] () الكافي : : ١٩٥ ٤.
- [٢٧] () الحجّ : : ٢٦.
- [٢٨] () البقرة : : ١٢٧.
- [٢٩] () النور : : ٣٦.
- [٣٠] () علل الشرايع : : ٣٩٩ ٢.

من أسرار الحجر الأسود (الأسعد)

(١ - ان لحجر الأسود تاريخ طويل وعريق يرجع إلى عالم الذرّ وعالم الأنوار والمجرّدات ، فأنّه كان ملكاً مقرباً عند الله سبحانه ، وكان مونساً لآدم في الجنّة ، ولما أخذ الله ميثاق بني آدم في عالم الذرّ - كما مرّ - في قوله تعالى : (أَسْتَبْرَأُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى) ألقم الله سبحانه (بلى) التوحيد والنبي والإمامي في فمه ، ليشهد على الناس يوم القيامة بإقرارهم ، وبما قالوا من (بلى) في جواب ربّهم عزّوجلّ ، ولما هبط آدم إلى الأرض ، وتاب الله عليه وإشتاق إلى الجنّة ، فإنّ الله أنزل إليه ذلك الملك بصورة حجر ودرّة بيضاء وحمراء تسرّ الناظرين ، وسَمّي بالحجر الأسعد ليتسلّى به آدم ٧ ، وليشهد على الناس لمن حجّ بيت الله بحجّ تام ، وإيمان كامل يتبلور بالتوحيد والنبوّة والإمامة ، ومن هذا المنطلق يستحب للحجّ والحاجة في طوافهم أن يخاطبوه بقولهم (إشهد لي بالموافاة) أي وفيت بما آمنت به في عالم الذرّ من وحدانية الله ، والإيمان برسول الله خاتم النبيين ، ثمّ الإيمان بالخلفاء الصادقين والأئمّة الطاهرين المعصومين من بعده أمير المؤمنين علي ٧ ، والأئمّة الأحد عشر من ولده .:

قال أبو جعفر الباقر ٧: والحجر كالميثاق واستلامه كالبيعة ، وكان إذا استلمه قال : اللهمّ أمانتي أدبتيها وميثاقي تعاهدته ليشهد لي عندك بالبلاغ .

ونظر ٧ إلى ناس يطوفون وينصرفون فقال : والله لقد أمروا مع هذا بغيره ، قيل : وما أمروا به يابن رسول الله؟ قال : أمروا إذا فرغوا من طوافهم أن يعرضوا علينا أنفسهم .

ثمّ من الناس من كفر بالله ونسي ما قاله في عالم الذرّ من (بلى) ، ومنهم من كفر بخاتم النبيين محمد ٦ ، ومنهم من أنكر الوصي من بعده .

ويدلّ على نزوله من الجنّة ما نزل من أمثاله ، كالكبش لإبراهيم لذبحه ولده (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) [1] (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ [2] (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ

شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ) [3] والانزال ليس بمعنى الخلق كما هو واضح ، وأنه بمعنى

التجلي لا التجافى (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) [4] فلا يستبعد نزول الحجر من

السماء.

(٢ - فان الحجر الأسود شديد البياض ، واسودّ بلمس المشركين والمنافقين ، فعرف بالحجر الأسود.

عن الامام المعصوم ٧: «ان الحجر كان درة بيضاء في الجنة وكان أشدّ بياضاً من اللبن فاسودّ من خطايا بني آدم ، ولو لا ما مسّته من أرجاس الجاهلية ، ما مسّته ذو عاهة إلا برا» [5].

(٣ - ان أوّل بيت وضع للناس الكعبة ، وأوّل ما في الكعبة الحجر الأسود، وهو نقطة البداية والنهاية في كلّ شوط ، وفي كلّ طواف فمناه وإليه ، أي من الله وإلى الله عزّوجلّ، وهو كالنقطة في باء البسملة، فياترى من النقطة تحت الباء [6]؟!)

(٤ - يعتمد الامام المهدي المنتظر ٧ عند خروجه على الحجر الأسود:

قال الامام الصادق ٧: «وإلى ذلك المقام يستند القائم ظهره ، وهو الحجّة والدليل على القائم ، وهو الشاهد لمن واخاه في ذلك المكان ، والشاهد على من أدّى إليه الميثاق والعهد الذي أخذ الله عزّوجلّ على العباد» [7].

(٥ - الحجر الأسود يمين الله في أرضه :

عن أبي عبدالله الصادق ٧ قال : «مرّ عمر بن الخطاب على الحجر الأسود فقال: والله يا حجر أنا لنعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع ، إلّا إنّنا رأينا رسول الله ٦ يحبّك فنحن نحبّك ، فقال له أمير المؤمنين ٧: كيف يابن الخطّاب؟! فوالله ليبيعتنه يوم القيامة وله لسان وشفطان فيشهد لمن واخاه ، وهو يمين الله في أرضه ، يبايع بها خلقه ، فقال عمر: لا أبقانا الله في بلد لا يكون فيه علي بن أبي طالب [8] .

قال الامام ٧ «هو يمين الله عزّوجلّ في أرضه يبايع بها خلقه» ويشهد كما يشهد الأرض والجوارح يوم القيامة على الانسان وللانسان ، فهو من حجج الله في الأرض .

قال الامام الصادق ٧ تكذيباً لمن قال إنّ الحجر لا ينفع : «كذب ثمّ كذب ثمّ كذب إنّ للحجر لساناً دلّماً يوم القيامة ليشهد لمن وافاه بالموافاة» [9] ومن أجل

ذلك أمرتم أن تقولوا اذا استلمتم الحجر: أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة» .

وهذا من مختصّات الحجر الأسود، وأما أحجار الكعبة الاخرى فقال عنها أمير المؤمنين ٧: «أحجار لا تضرّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ولكنّ جعلها الله إختباراً لعباده ، ليعلم من هو المسلم أمره ، أمر من دون أيّ إعتراض أو مناقشة وهل الدين إلّا التسليم لحكم الله والرضا بقضائه وقدره (إنّ الدّين عند الله الإِسْلَامُ [10] والاسلام هو التسليم .

(٦ - الحجر الأسود والركن اليماني : بمنزلة جهة اليمين في عرش الله فمن يستلمه كمن يستلم يمين عرش الله، أي يستلم يمين الله عزّوجلّ ، وكلتا يديه يمين ، أي مبارك من اليمن والبركة .

(٧ - في فروع الكافي بسنده عن بكير بن أعين قال : سألت أبا عبد الله ٧ لأبي علة وضع الله الحجر في الركن الذي هو فيه ، ولم يوضع في غيره ؟ ولأبي علة يقبل ؟ ولأبي علة أخرج من الجنة ؟ ولأبي علة وضع ميثاق العباد والعهد فيه ، ولم يوضع في غيره ؟ وكيف السبب في ذلك أتخبرني جعلني الله فداك فان تنكري فيه لعجب قال : فقال : سألت وأعضلت في المسألة وإستقيصت ، فافهم الجواب ، وفرغ قلبك ، وأضع سمعك أخبرك ان شاء الله، ان الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهي جوهرة أخرجت من الجنة إلى آدم ٧ .

يراجع كتاب الحجّ في الكتاب والسنة في ص (١١٨) إلى ص (١١٩) إلى آخر الحديث وشكراً.

(٨ - قال الامام أبو جعفر ٧: والحجر كالميثاق ، واستلامه كالبيعة ، فكان إذا استلمه قال : (اللهم أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته ليشهد لي عندك بالبلاغ) [11] والبلاغ هو الموافاة أي وفيت بما أحببت به في عالم الذر.

(٩ - عن أبي عبد الله ٧ قال : قال رسول الله ٦ : «استلموا الركن فانه يمين الله في خلقه يصافح بها خلقه مصافحة العبد أو الرجل ، يشهد لمن استلمه بالموافاة» .

(١٠ - قال ٧ عند ما سئل عن تقبيل الحجر : «إنّ الحجر كان درّة بيضاء في الجنة وكان آدم يراها، فلما أنزلها الله عزّوجلّ إلى الأرض نزل إليها آدم ٧ فبادر فقبّلها عليه السلام فأجرى الله تبارك وتعالى بذلك السنّة [12] .

(١١ - وفي العلل عن ابن العباس إنّ النبي ٦ قال لعائشة وهي تطوف معه بالكعبة حين استلما الركن وبلغا إلى الحجر: يا عائشة لو لا ما طبع الله على هذا الحجر من أرجاس الجاهليّة وأنجاسها، إذا لاستشفى به من كلّ عاهة ، وإنّ لالفي كهينة يوم أنزله الله تعالى عزّوجلّ ، وليبعثهم الله على ما خلق عليه أول مرّة ، وإنه لياقوتة

بيضاء من ياقوت الجنة ، ولكن الله غير حسنه بمعصية العاصين وسترت بنيته عن الأئمة والظلمة ، لأنه لا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شيء بدوه من الجنة ، لأن من نظر إلى شيء منها على جهته وجبت له الجنة ، وان الركن يمين الله تعالى في الأرض ، وليبعثهم الله يوم القيامة وله لسان وشفقتان وعينان ، ولينطقه الله يوم القيامة بلسان طلق ذلق يشهد لمن إستلمه بحق ، إستلامه اليوم بيعة لمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ [13] .

(١٢ - في أمالي الطوسي : أخبرنا جماعة ، عن أبي المفضل ، قال : حدثنا أبو نصر ليث بن محمد بن نصر بن الليث البلخي ، قال : حدثنا أحمد بن عبدالصمد بن مزاحم الهروي سنة احدى وسنتين ومأتين ، قال : حدثني خالي عبدالسلام صالح أبو الصلت الهروي ، قال : حدثني عبدالعزيز بن عبدالصمد القمي البصري ، قال : حدثنا أبوهارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : حج عمر بن الخطاب في إمرته ، فلما افتتح الطواف حاذي الجعر الأسود ومرّ فاستلمه وقبله وقال : أقبلك واني لأعلم انك حَجَر لا تضر ولا تنفع ، ولكن كان رسول الله ﷺ بك حفيماً [14] ، ولولا أنّي رأيته يقبلك ما قبلتك .

قال : وكان في الحجيج علي بن أبي طالب ٧ فقال : بلي والله انه ليضر وينفع . قال : فيم قلت ذلك يا أبا الحسن ؟ قال : بكتاب الله تعالى . قال : أشهد أنّك لذو علم بكتاب الله تعالى ، فأين ذلك من الكتاب ؟ قال قوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا...) [15] وأخبرك ان الله تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج ذريته من

صلبه في هيئة الذر فألزمهم العقل وقرّرهم انه الرب وانهم العبيد ، فأقروا له بالربوبية وشهدوا على أنفسهم بالعبودية ، والله عزوجل يعلم انهم في ذلك في منازل مختلفة ، فكتب أسماء عبيده في رقب [16] وكان لهذا الحجر يومئذ عيناغن

وشفتان ولسان فقال : افتح فاك ، ففتح فاه فألقمه ذلك الرق ، ثم قاله له : أشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة ، فلما هبط آدم ٧ هبط والحجر معه فجعل في موضعه الذي ترى من هذا الركن ، وكانت الملائكة تحج هذا البيت من قبل أن يخلق الله تعالى آدم ، ثم حجه آدم ، ثم نوح من بعده ، ثم هدم البيت ودرست قواعده فاستودع الحجر من أبي قبيس ، فلما أعاد إبراهيم وإسماعيل بناء البيت وبناء قواعده واستخرجا الحجر من أبي قبيس بوحي من الله عزوجل فجعله بحيث هو اليوم من هذا الركن ، وهو من حجارة الجنة ، وكان لما انزل في مثل لون الدرر بياضه وشفاء الياقوت ضيائه ، فسودته أيدي الكفار ومن كان يلمسه من أهل الشرك بغنائهم ، قال : فقال عمر: لا عشت في أمة لست فيها ياأباالحسن [17].

(١٣ - وفي الفروع : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير؛ ومحمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ؛ وابن أبي عمير، عن عبدالرحمن بن الحجّاج عن أبي عبدالله ٧ قال : كنت أطوف وسفيان الثوري قريب مني فقال : يا أبا عبدالله كيف كان رسول الله ٦ يصنع بالحجر إذا انتهى إليه ؟ فقلت : كان رسول الله ٦ يستلمه في كلّ طواف فريضة ونافلة ، قال : فتخلف عني قليلاً فلما إنتهيت إلى الحجر جزت ومشيت فلم أستلمه فلحقتني فقال : ياأبا عبدالله ألم تخبرني أنّ رسول الله ٦ كان يستلم الحجر في كلّ طواف فريضة ونافلة ؟ قلت : بلى ، قال : فقد مررت به فلم تستلم ؟ فقلت : إنّ الناس كانوا يرون لرسول الله ٦ مالا يرون لي وكان إذا انتهى إلى الحجر أفرجوا له حتى يستلمه وإنّي أكره الزحام [18].

(١٤ - وفي التهذيب : موسى بن القاسم ، عن صفوان بن يحيى ، عن معاوية بن عمار، قال : سألت ابا عبدالله ٧ عن رجل حج ولم يستلم الحجر ولم يدخل الكعبة قال : هو من السنة فان لم يقدر فانه أولى بالعدر [19].

(١٥ - في الفروع : عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان ابن يحيى ، عن سيف التمار قال : قلت لأبي عبدالله ٧ : أتتيت الحجر الأسود فوجدت عليه زحاماً فلم ألق إلا رجلاً من أصحابنا فسألته فقال : لا بدّ من استلامه فقال : إن وجدته خالياً وإلا فسلم من بعيد [20] .

(١٦ - وفي الفروع : حميد بن زياد، عن ابن سماعة ، عن غير واحد، عن أبان بن عثمان ، عن محمد الحلبيّ قال : سألت أبا عبدالله ٧ عن الحجر إذا لم أستطع مسّه وكثر الزحام ؟ فقال : أمّا الشيخ الكبير والضعيف والمريض فمرخص وما أحبُّ أن تدع مسّه إلا أن لا تجد بداً [21] .

(١٧ - وفي الفروع : عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن محمد بن عبيدالله قال : سئل الرضا ٧ عن الحجر الأسود وهل يقاتل عليه الناس إذا كثروا؟ قال : إذا كان كذلك فأوم إليه إيماء بيديك [22] .

(١٨ - وفي الفروع : عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله ٧ قال : ليس على النساء جهر بالتلبية ولا استلام الحجر ولا دخول البيت ولا سعي بين الصفا والمروة - يعني الهرولة - [23]

(١٩ - وفي الفروع : عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير؛ ومحمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن ابن أبي عمير؛ وصفوان بن يحيى ، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله ٧ قال : إذا دنوت من الحجر الأسود فارقع يديك واحمد الله واثن عليه وصلّ على النبيّ ٦ وأسأل الله أن يتقبّل منك ، ثم إستلم الحجر

وقبله فان لم تستطع أن تقبله فاستلمه بيدك فان لم

تستطع أن تستلمه بيدك فأشر إليه وقل : «اللهم أمانتي أدبتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة ، اللهم تصديقاً بكتابك وعلى سنة نبيك أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله آمنت بالله وكفرت بالجبث [24]

والطاغوت [25] وباللآت والعزى وعبادة الشيطان وعبادة كلّ ندّ [26] يدعى من دون

الله» فان لم تستطع أن تقول هذا كله فبعضه وقل : «اللهم إليك بسطت يدي وفيما عندك عظمت رغبتني فاقبل سيحتي [27] واغفر لي وارحمني ، اللهم إني أعوذ بك

من الكفر والفقر ومواقف الخزي في الدنيا والآخرة» [28] .

(٢٠ - وفي الفروع : في رواية أبي بصير ، عن أبي عبدالله ٧ قال : إذا دخلت المسجد الحرام فامش حتى تدنو من الحجر الأسود فتستقبله وتقول : «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أكر من خلقه وأكبر ممن أخشى وأحذر ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت ويحيي بيده الخير وهو على كل شيء قدير» وتصلّي على النبي وآل النبي صلّى الله عليه وعليهم وتسلم على المرسلين كما فعلت حين دخلت المسجد ، ثم تقول : «اللهم إني أو من بوعدك وأوفي بعهدك» ثم ذكر كما ذكر معاوية [29] .

(٢١ - وفي الفروع : محمّد بن يحيى ؛ وغيره ، عن محمّد بن أحمد ، عن موسى بن عمر ، عن ابن سنان ، عن أبي سعيد القمّاط ، عن بكير بن أعين قال : سألت

أبا عبد الله ٧ لأيّ علّة وضع الله الحجر في الرُّكن الذي هو فيه ولم يوضع في غيره ؟
ولأيّ علّة يُقبَل ؟ ولأيّ علّة أُخرج من الجنّة ؟ ولأيّ علّة وضع ميثاق العباد والعهد
فيه ولم يوضع في غيره ؟ وكيف السبب في ذلك ؟ تخبرني جعلني الله فداك فإنّ
تفكّري فيه لعجب ، قال : فقال : سألت وأعضلت في المسألة [30]

واشتقصيت فافهم الجواب وفرّغ قلبك واصنع سمعك أخبرك إن شاء الله إنّ الله
تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهي جوهرة أخرجت من الجنّة إلى آدم ٧
فوضعت في ذلك الركن لعلّة الميثاق وذلك أنّه لما أخذ من بني آدم من ظهورهم
ذريّتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكان وفي ذلك المكان ترائي لهم [31]
ومن ذلك المكان يهبط الطير على القائم ٧ فأول من يبايعه ذلك الطائر وهو والله
جبرائيل ٧ وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره وهو الحجّة والدليل على القائم وهو
الشاهد لمن وافاه | في ذلك المكان والشاهد على من أدّى إليه الميثاق والعهد الذي
أخذ الله عزّوجلّ على العباد.

وأما القبلة والاستلام فلعلّة العهد تجديداً لذلك العهد والميثاق وتجديداً للبيعة ليؤدّوا
إليه العهد الذي أخذ الله عليهم في الميثاق فيأتوه في كلّ سنة ويؤدّوا إليه ذلك العهد
والأمانة اللّذين أخذوا عليهم ، ألا ترى أنك تقول : «أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته
لتشهد لي بالموافاة» ووالله ما يؤدّي ذلك أحد غير شيعتنا ولا حفظ ذلك العهد
والميثاق أحدٌ غير شيعتنا، وإنهم ليأتوه فيعرفهم ويصدقهم ويأتيه غيرهم فينكرهم
ويكذبهم ، وذلك أنّه لم يحفظ ذلك غيركم فلكم والله يشهد وعليهم والله يشهد
بالخفر [32] والجحود والكفر وهو الحجّة البالغة من الله عليهم

يوم القيامة يجيء وله لسان ناطق وعينان في صورته الأولى يعرفه الخلق ولا ينكره
، يشهد لمن وافاه وجدّد العهد والميثاق عنده ، بحفظ العهد والميثاق وأداء الأمانة
ويشهد على كلّ من أنكر وجدّد ونسي الميثاق بالكفر والإنكار.

فأمّا علّة ما أخرج الله من الجنّة فهل تدري ما كان الجبرّ؟ قلت : لا، قال : كان
ملكاً من عظماء الملائكة عند الله فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أوّل من أمن به

وأفر ذلك الملك فاتخذه الله أميناً على جميع خلقه فألقمه الميثاق وأودعه عنده واستعبد الخلق أن يجددوا عنده في كل سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عزوجلّ عليهم ، ثم جعله الله مع آدم في الجنة ، يذكره الميثاق ويجدد عنده الإقرار في كل سنة فلما عصى آدم وأخرج من الجنة أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه وعلى ولده لمحمد ٦ ولوصيّه ٧ وجعله تائهاً [33]

حيراناً، فلما تاب الله على آدم حوّل ذلك الملك في صورة درّة بيضاء فرماه من الجنة إلى آدم ٧ وهو بأرض الهند فلما نظر إليه أنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنّه جوهرة وأنطقه الله عزوجلّ فقال له : يا آدم أتعرفني ؟ قال : لا، قال : أجل إستحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك ، ثم تحوّل إلى صورته التي كان مع آدم في الجنة فقال لآدم : أين العهد والميثاق فوثب إليه آدم وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبله وجدّد الإقرار بالعهد والميثاق ، ثم حوله الله عزوجلّ إلى جوهرة الحَجَرِ درّة بيضاء صافية تضيء فحمله آدم ٧ على عاتقه إجلالاً له وتعظيماً فكان إذا أعيأ حمله عنه جبرائيل ٧ حتّى واقابه مكّة فمازال يانس به بمكّة ويجدد الإقرار له كلُّ يوم وليلة ، ثم إنَّ الله عزوجلّ لمّا بنى الكعبة وضع الحَجَرِ في ذلك المكان لأنّه تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكان وفي ذلك المكان ألقم الملك الميثاق [34] ولذلك وضع في ذلك الرّكن فلما

نظر آدم من الصّفا وقد وضع الحَجَرِ في الرّكن كبر الله وهلّله ومجده فلذلك جرت السنّة بالتكبير واستقبال الرّكن الذي فيه الحَجَرِ من الصّفا فإنّ الله أودعه الميثاق والعهد دون غيره من الملائكة لأنّ الله عزوجلّ لمّا أخذ الميثاق له بالرّبوبيّة ولمحمد ٦ بالنبوّة ولعليّ ٧ بالوصيّة اصطكّت [35] فرائض [36] الملائكة فأول

من أسرع إلى الإقرار ذلك الملك لم يكن فيهم أشدُّ حباً لمحمد وآل محمد ٦ منه ولذلك اختاره الله من بينهم وألقمه الميثاق وهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناظرة يشهد لكلّ من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق [37] .

(٢٢ - وفي العلل : حدثنا علي بن محمد، قال : حدثنا محمد بن

أبي عبد الله الكوفي ، عن محمد بن اسماعيل البرمكي ، عن علي بن عباس ، عن القاسم بن اربيع الصحاف ، عن محمد بن سنان ان ابا الحسن علي بن موسى الرضا ٧ كتب اليه فيما كتب من جواب مسائله علة استلام الحَجَر ، ان الله تبارك وتعالى لما أخذ موثيق بني آدم التقمه الحَجَر فمن ثم كلف الناس بمعاهدة ذلك الميثاق ومن ثم يقال عند الحَجَر : «أماتني أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة» ومنه قول سلمان ٢ ليجين الحَجَر يوم القيامة مثل جبل أبي قبيس له لسان وشفتان يشهد لمن وافاه بالموافاة[38] .

(٢٣ - وفي العلل : اخبرني علي بن حاتم فيما كتب إلى قال : حدثنا جميل بن يزاد، قال : حدثنا احمد بن الحسين النخاس ، عن زكريا ابي محمد المؤمن ، عن عابر بن معقل ، عن أبان بن تغلب ، قال : قال أبو عبد الله ٧: أتدري لأي شيء صار الناس يلثمون الحَجَر؟ قلت : لا، قال : ان آدم ٧ شكى إلى ربه عزوجل الوحشة في الأرض فنزل جبرائيل ٧ بياقوتة من الجنة كان آدم إذا مرت عليها في الجنة ضربها برجله فلما رآها عرفها فبادر يلثمها فمن ثم صار الناس يلثمون[39] الحَجَر[40] .

(٢٤ - وفي الفروع : عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عمرو بن عثمان ، عن علي بن خالد، عمّن حدّثه ، عن أبي جعفر ٧ قال : كان أبي

يقول : الدّاخل الكعبة يدخل والله راض عنه ويخرج عطلاً [41] من الذنوب [42] .

(٢٥ - وفي الفروع : محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن فضال ، عن ابن القدّاح ، عن جعفر ، عن أبيه ٨ قال : سألته عن دخول الكعبة ، قال : الدُّخول فيها دخول في رحمة الله ، والخروج منها خروج من الذنوب ، معصوم فيما بقي من عمره مغفورٌ له ما سلف من ذنوبه [43] .

(٢٦ - وفي الفروع : احمد بن محمد ، عن صفوان بن يحيى ، عن معاوية بن عمّار في دعاه الولد قال : إفض عليك دلوّاً من ماء زمزم ، ثم ادخل البيت فإذا قمت على باب البيت فخذ بحلقة الباب ، ثم قل : «اللّهُمَّ إِنَّ الْبَيْتَ بَيْتَكَ وَالْعَبْدَ عَبْدَكَ وَقَدْ قَلت : (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) [44] فأمني من عذابك وأجرني من

سخطك » ثم ادخل البيت فصلّ على الرُّخامة الحمراء ركعتين ، ثم قم إلى الأستوانة التي بحذاء الحَجَرِ وألصق بها صدرك ، ثم قال : «يا واحد يا أحد يا ماجد يا قريب يا بعيد يا عزيز يا حكيم لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين هب لي من لدنك ذريرة طيبة إنك سميع الدعاء» ثم در بالأسطوانة فألصق بها ظهرك وبطنك وتدعو بهذا الدعاء فإن يرد الله شيئاً كان [45] .

(٢٧ - وفي التهذيب : أحمد بن محمد، عن اسماعيل بن همام ، قال : قال ابو الحسن ٧: دخل النبي ٦ الكعبة فصلى في زواياها الأربع في كل زاوية ركعتين [46] .

(٢٨ - وفي التهذيب : يعقوب ، عن ابن ابي عمير، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبدالله ٧، قال : ما دخل رسول الله ٦ الكعبة إلا مرة وبسط فيها ثوبه تحت قدميه وخلع نعليه [47] .

(٢٩ - وفي التهذيب : الحسين بن سعيد، عن صفوان ، عن المجاهد، عن ذريح ، قال : سمعت أبا عبدالله ٧ في الكعبة وهو ساجد وهو يقول : «لا يرد غضبك إلا حلمك ولا يجير من عذابك إلا رحمتك ولا نجا منك إلا بالتضرع إليك فهب لي يا إلهي فرجاً بالقدرة التي بها تحتي أموات العباد وبها تنشر البلاد، ولا تهلكني يا إلهي غماً حتى تستجيب لي دعائي وتعرفني الاجابة ، اللهم ارزقني العافية إلى منتهى أجلي ، ولا تشمت بي عدوي ولا تمكنه من عنقي ، من ذا الذي يرفعني أن وضعتني ، ومن ذا الذي يضعني إن رفعتني ، وإن أهلكني فمن ذا الذي يعرض لك في عبدك أو يسألك عن أمرك ، فقد علمت يا إلهي إنه ليس في حكمك ظلم ولا في نفمتك عجلة ، وإنما يعجل من يخالف الفوت ويحتاج إلى الظلم الضعيف وقد تعاليت يا إلهي عن ذلك ، إلهي فلا تجعلني للبلاء غرضاً ولا لنفتمك نصيباً ومهلاً ونفسي وأقلني عثرتي ولا تردّ يدي في تجري ولا تتبعني ببلاء على أثر بلاء فقد ترى ضعفي وتضرعي إليك ووحشتي من الناس وأنسي بك ، أعوذ بك اليوم فأعذني ، واستجير بك فأجرنني ، واستعين بك على الضراء فأعني ، وأستنصرك فأنصرني ، وأتوكل عليك فاكفني ، وأؤمن بك فأمني ، واستهديك فاهدني ، وأسترحمك فأرحمني ، وأستغفرك مما تعلم فاغفر لي ، وأسترزقك من فضلك الواسع فارزقني ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » [48] .

-
- [١] (الحجر: ٢١ .
- [٢] (الزمر: ٦ .
- [٣] (الحديد: ٢٥ .
- [٤] (النحل : ٩٦ .
- [٥] (الوسائل : : ٩٠ ٤٠٣ .
- [٦] (راجع كتابنا (على المرتضى نقطة باء البسملة) مطبوع في موسوعة رسالات اسلامية المجلد (٦) .
- [٧] (الكافي : : ٤ ١٨٥ .
- [٨] (بحار الأنوار: : ٩٦ ٢٢٢ ح ١ .
- [٩] (الوسائل : : ١٠ ٢٠٦ .
- [١٠] (آل عمران : ١٩ .
- [١١] (دعائم الاسلام : : ١٢ ٢٩٣ .
- [١٢] (المحاسن : : ٢ ٣٣٧ .
- [١٣] (العلل : : ٢ ٤٢٧ .
- [١٤] (الحَقِّي : المبالغ في الاكرام والبرّ واطهار السرور .
- [١٥] (الأعراف : ١٧٢ .
- [١٦] (الرّق : الجلد الرقيق يكتب فيه ، الصحيفة البيضاء .
- [١٧] (امالي الطوسي : ج:٢ ص ٩١ .
- [١٨] (الفروع : ج:٤ ص ٤٠٥ .
- [١٩] (التهذيب : ج:٥ ص ١٠٤ .
- [٢٠] (الفروع : ج:٤ ص ٤٠٥ .
- [٢١] (نفس المصدر .
- [٢٢] (نفس المصدر .
- [٢٣] (نفس المصدر .
- [٢٤] (الجَبْت : الصنم ، السحر ، الساحر الذي لا خير فيه .

- [٢٥] () الطاغوت : كل متعدّ، كل رأس ضلال ، الشيطان الصارف عن طريق الخير، كل معبود دون الله.
- [٢٦] () نَدَّ: المثل والنظير. ومنه الدعاء «وكفرت بكلّ نَدٍّ يدعى من دون الله» مجمع البحرين : ج٣ ص٤٩١.
- [٢٧] () السيحة من التسييح كالسخرة من التسخير :- تقال للذكر ولصلاة النقل . وفي بعض النسخ : «سيحتي « أي ميسري . الوافي : ج:٢ كتاب الحج : ص١٢٤.
- [٢٨] () الفروع : ج : ٤ : ص ٤٠٣ .
- [٢٩] () نفس المصدر.
- [٣٠] () أعضلت في المسألة : أصعبت .
- [٣١] () في ذلك المكان ترائي لهم : انما خص ترائي الميثاق على بني آدم وخذه بذلك المكان لأنه المكانالذي خلقت سائر الأمكنة منه ودحييت الأرض من تحته . الوافي / ج ٢ / كتاب الحج / ص ١٤٤ .
- [٣٢] () والخفر: نقض العهد والقدر به .
- [٣٣] () تَاهُ ، تَيًّا وَتَيْهَانًا: ذهب متحيراً، ضلَّ النِّيَّةَ : الضلال ، القفر يضل فيه .
- [٣٤] () راجع الهامش : ١ ص ١١٨ .
- [٣٥] () اصطكت : ارتعدت . الوافي : ج:٢ كتاب الحج : ص ١٤٤ .
- [٣٦] () الفريضة : اللحمة بين الجنب والكف . نفس المصدر.
- [٣٧] () الفروع : ج:٤ ص ١٨٥ - ١٨٦ .
- [٣٨] () العلل : ج:٢ ص ٤٢٤؛ عيون اخبار الرضا: ج:٢ ص ٩١ .
- [٣٩] () اللثمة : القبلة . لَثَمَهُ : قَبَلَهُ .
- [٤٠] () العلل : ج:٢ ص ٤٢٧ .
- [٤١] () عَطَّلَتِ المرأة : لم يكن عليها حلِّي . عَطَّلَ الرجل ، عَطَّلًا من المال أو الأدب وكذا القوس من الوتروالفرس من الرّسن : خلا .
- [٤٢] () الفروع : ج:٤ ص ٥٢٧؛ المحاسن : ج:١ ص ٧٠ .
- [٤٣] () الفروع : ج:٤ ص ٥٢٧؛ الفقيه : ج:٢ ص ١٣٣ .
- [٤٤] () آل عمران : ٩٧ .
- [٤٥] () الفروع : ج:٤ ص ٥٣٠ .
- [٤٦] () التهذيب : ج:٥ ص ٢٧٨ .
- [٤٧] () المصدر السابق : ص ٤٩١ .
- [٤٨] () التهذيب : ج:٥ ص ٢٧٧ .

من أسرار مقام إبراهيم ٧

(فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم) [1].

- (١ - مقام إبراهيم هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم الخليل لبناء الكعبة ، وكذلك ليؤذن في الناس بالحجّ ، ولشدة هتافه وعلوّ صوته ظهر و بان أثر قدميه على الصخرة ، كما ألان الله الحديد لداود ٧ ، وما ذلك على الله بعزيز .
- (٢ - وقف عليه لما طلبت منه زوجة إسماعيل أن تغسل رجليه ، فأنه ٧ وعد سارة لا ينزل من ناقته على الأرض ، فبان أثر رجليه عليه .
- (٣ - كان المقام على شمال الكعبة . عن الامام الصادق ٧ : مقام محمّد عن يمين عرش ربنا عزوجلّ ، ومقام إبراهيم عن شمال عرشه .
- (٤ - يبعد مقام إبراهيم حالياً عن الكعبة بثلاثة عشر متراً تقريباً وما بينه وبين الكعبة المطاف . على ما هو المشهور في الفقه الامامي ، إلا عند الازدحام والاضطرار على اختلاف بين الفقهاء العظام .
- عن الامام الباقر ٧ : كان موضع المقام الذي وضعه إبراهيم عند جوار البيت فلم يزل هناك حتّى حوّلته عمر بن الخطّاب عن محلّه .
- (٥ - يجب أن تكون صلاة ركعتي الطواف الواجب خلف مقام إبراهيم ، وأمّا الطواف المستحب فصلاته يجوز أن يؤتى بها في أيّ موضع من المسجد الحرام .
- (٦ - الصخرة الابراهيمية في محفظة ذهبية ، وكتب على الذهب الذي أحيط بالصخرة (ولا يؤده حفظهما وهو العليّ العظيم) (فيه آيات بيّنات) ومن آياته أنّه بقي إلى يومنا هذا وسيبقى ... وإنه حفظ من الإنعدام والسرقة والضياع وغيره .

(٧ - عن الامام الباقر ٧: إن بين الركن والمقام لمشحون من قبور الأنبياء [2] - ويسمى بالحطيم - .

(٨ - في العلل : أبي ؛ قال : حدثنا سعد بن عبدالله، قال : حدّثنا أحمد : وعلي ابنا الحسن بن علي بن فضال ، عن عمرو بن سعيد المدائني ، عن موسى بن قيس بن أخي عمار بن موسى الساباطي ، عن مصدق بن صدقة ، عن عمار بن موسى ، عن أبي عبدالله ٧ أو عن عمار، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبدالله ٧ قال : لما أوحى الله تعالى إلى ابراهيم ٧ ان اذن في الناس بالحج اخذ الحجر الذي فيه اثر قدميه وهو المقام فوضعه بحذاء البيت لاصقا بالبيت بحيال الموضع الذي هو فيه اليوم ، ثم قام عليه فنادى بأعلى صوته بما أمره الله تعالى به فلما تكلم بالكلام لم يحتمله الحجر فغرقت رجلاء فيه فقلع ابراهيم ٧ رجليه من الحجر قلعا فلما كثر الناس وصاروا إلى الشرو البلاء ازدحموا عليه فرأوا ان يضعوه في هذا الموضع الذي هو فيه اليوم ليخلو المطاف ، لمن يطوف بالبيت ، فلما بعث الله تعالى محمداً ٦ ردّه إلى الموضع الذي وضعه فيه ابراهيم ٧ فما زال فيه حتى قبض رسول الله ٦ وفي زمن ابي بكر وأول ولاية عمر، ثم قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام فأيكم يعرف موضعه في الجاهلية؟ فقال له رجل ، انا اخذت قدره بقدر قال : والقدر عندك؟ قال : نعم ، قال : فأت به فجاء به فأمر بالمقام فحمل وردّه إلى الموضع الذي هو فيه الساعة [3] .

[١] () الحج : ٢٨ .

[٢] () الكافي : : ٤ : ٢١٤ .

[٣] () العلل : ج: ٢ ص ٤٢٣ .

من أسرار الحطيم والملتمزم

(١ - الحطيم بين حجر الأسود ومقام إبراهيم ٧، سمّي بذلك ، لأنّ الناس يحطم بعضهم بعضاً عند الطواف والازدحام ، ولأن الذنوب تتحطّم .

(٢ - عن الامام الباقر ٧: إنّ أفضل البقاع ما بين الركن الاسود والمقام وباب الكعبة ، وذلك حطيم إسماعيل ، ووالله لو انّ عبداً صفّ قدميه في ذلك المكان وقام الليل مصلياً حتّى يجيئه النهار وصام النهار حتّى يجيئه الليل ، ولم يعرف حقّاً وحرمتنا أهل البيت لم يقبل الله منه شيئاً أبداً[1] .

(٣ - أنّه محل نزول جبرئيل عند ظهور صاحب الزمان الامام المهدي ٧، وأوّل من يبايعه[2] .

(٤ - قيل الحطيم هو الجدار القوسي حول حجر إسماعيل . عن الامام الصادق ٧: إنّكم تسمّونه الحطيم ، وإنّما كان لغنم إسماعيل وإنّما دفن فيه أمّه ، وكره أن يوطأ قبرها فحجر عليه ، وفيه قبور الأنبياء[3] .

(٥ - كان إبراهيم ٧ يحطم الزرع لأغنامه في ذلك المكان[4] .

(٦ - كان عرب الجاهليّة يضعون ملابسهم عند الطواف في ذلك المكان حتّى يكون حطيماً قديماً[5] .

(٧ - عن أبي عبدالله الصادق ٧ قال : لَمَّا كَانَ آدَمُ بِالْبَيْتِ وَإِنْتَهَى إِلَى الْمَلْتَزِمِ قَالَ جِبْرَائِيلُ ٧ : يَا آدَمُ أَقْرَّ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ ، قَالَ : فَوَقَفَ آدَمُ ٧ فَقَالَ : يَا رَبِّ إِنَّ لِكُلِّ عَامِلٍ أَجْرًا ، قَدْ عَمَلْتُ فَمَا أُجْرِي ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ يَا آدَمُ قَدْ غَفَرْتُ ذَنْبَكَ ، قَالَ : يَا رَبِّ وَلَوْلَدِي أَوْ لِدْرَيْتِي ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ : يَا آدَمُ مِنْ جَاءَ مِنْ ذَرْبِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ وَأَقْرَّ بِذُنُوبِهِ وَتَابَ كَمَا تَبَتَّ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ غَفَرْتَ لَهُ [6] .

(٨ - عن أبي عبدالله ٧ قال : سَأَلْتَهُ عَنِ الْمَلْتَزِمِ لِأَيِّ شَيْءٍ يُلْتَزِمُ ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ يَذْكَرُ فِيهِ ؟ فَقَالَ : عِنْدَهُ نَهْرٌ مِنَ الْجَنَّةِ تَلْقَى فِيهِ أَعْمَالَ الْعِبَادِ كُلِّ خَمِيسٍ [7] .

[١] () الوسائل : ٣ : ٥٣٩ .

[٢] () البحار : ٥٢ : ٣٣٧ .

[٣] () الوسائل : ٩ : ٤٣١ .

[٤] () البحار : ٦٥ : ٨٦ .

[٥] () لسان العرب : ١٢ : ١٣٧ .

[٦] () الكافي : ٤ : ١٩١ .

[٧] () بحار الأنوار : ٩٦ : ٢١٩ .

من أسرار حجر إسماعيل ٧

(١ - الحجر - بكسر الحاء المهملة - من الحجر أي وضع الحجر بعضها على بعض حتى يكون حائطاً، ويحجر به مكاناً كالحجرة بمعنى الغرفة ، وحجر إسماعيل مدفن هاجر أمّه ، وكره أن يوطأ قبرها فحجر عليه[1]. أو أنّه مكان خيمته وبيته الذي كان يعيش فيه مع أمّه وزوجته .

(٢ - مدفن هاجر وإسماعيل وبناته ، وسبعين من الأنبياء دخل في الطواف تكريماً لهم .

(٣ - مدفن شبر وشبير من أولاد هارون النبي وزير موسى كليم الله ٨ .

(٤ - أفضل بقاع مسجد الحرام للصلاة ، صلّى فيها الأنمّة الأطهار .:

(٥ - يصبّ فيه الميزاب الذهبي المعروف عنه بميزاب الرحمة عند هطول الأمطار.

(٦ - يستحب فيه الاحرام لحجّ التمتع .

(٧ - يستحب أن يصلّي فيه الصلوات المفروضة ، فان كلّ صلاة بمنزلة حجّة مقبولة ، كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الرضا ٧ .

من أسرار المستجار والركن اليماني

- (١) - المستجار بقرب الركن اليماني يقابل باب الكعبة من الطرف الآخر.
- (٢) - سمى بذلك لاستجارت الناس بالله من ذنوبهم .
- (٣) - فيه موضع ولادة أمير المؤمنين علي ٧ في الكعبة ولا زالت الآثار تدلّ على ذلك .
- (٤) - وفي الفروع : عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله ٧ قال : يستحب أن تقول بين الركن والحجر : «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» وقال : إنّ ملكاً موثقاً يقول : آمين[1] .
- (٥) - وفي الفروع : أحمد بن محمّد، عن محمّد بن يحيى ، عن غياث بن إبراهيم ، عن جعفر، عن أبيه ٨ قال : كان رسول الله ٦ لا يستلم إلا الركن الأسود واليماني ، ثم يقبلهما ويضع خده عليهما ورأيت أبي يفعله[2] .
- (٦) - وفي الفروع : أحمد بن محمّد، عن البرقي ، رفعه ، عن زيد الشحام أبي أسامة ، عن أبي عبدالله ٧ قال : كنت أطوف مع أبي عبدالله ٧ وكان إذا انتهى إلى الحجر مسحه بيده وقبله وإذا انتهى إلى الركن اليماني التزمه فقلت : جعلت فداك تمسح الحجر بيدك وتلتزم اليماني ؟ فقال : قال رسول الله ٦ : ما أتيت الركن اليماني إلا وجدت جبرائيل قد سبقني إليه يلتزمه[3] .

(٧ - وفي الفروع : أحمد بن محمد، عن الحسين بن عليّ، عن ربيّ، عن العلاء بن المقعد قال : سمعت أبا عبد الله ٧ يقول : إنّ الله عزوجلّ وكلّ بالركن اليماني ملكاً هجيراً [4] يؤمن على دعائكم .

(٨ - وفي الفروع : عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير، عن العلاء بن المقعد قال : سمعت أبا عبد الله ٧ يقول : إنّ ملكاً موثقاً بالركن اليماني منذ خلق الله السماوات والأرضين ليس له هجير إلاّ التأمين على دعائكم فلينظر عبد بما يدعو، فقلت له : ما الهجير؟ فقال : كلام من كلام العرب أي ليس له عمل . وفي رواية أخرى ليس له عمل غير ذلك [5] .

(٩ - وفي الفروع : عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله ٧ قال : الركن اليماني [6] باب من أبواب الجنة [7] لم يغلقه الله منذ فتحه [8] .

(١٠ - وفي رواية أخرى بابنا إلى الجنة الذي منه ندخل [9] .

(١١ - وفي الفروع : عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن عليّ بن النعمان ، عن إبراهيم بن سنان ، عن أبي مريم قال : كنت مع أبي جعفر ٧ أطوف فكان لا يمرُّ في طواف من طوافه بالركن اليماني إلاّ استلمه ، ثم يقول : «اللهم تب عليّ حتى أتوب واعصمني حتى لا أعود» [10] .

(١٢ - عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن أبي الفرج السندي ، عن أبي عبدالله ٧ قال : كنت أطوف معه بالبيت فقال : أيُّ هذا أعظم حرمة ؟ فقلت : جعلت فداك أنت أعلم بهذا منِّي فأعاد عليّ فقلت له : داخل البيت ، فقال : الرُّكن اليماني على باب من أبواب الجنَّة مفتوح لشيعَة آل محمّد مسدود عن غيرهم ، وما من مؤمن يدعو بدعاء عنده إلاَّ صعد دعاؤه حتَّى يلصق بالعرش ، ما بينه وبين الله حجاب [11] .

(١٣ - وفي الفروع : عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ ومحمّد بن اسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري ، عن أبي عبدالله ٧ قال : انّ في هذا الموضع يعني حين يجوز الرُّكن اليماني - ملكاً أعطي سماع أهل الأرض فمن صلّى على رسول الله ٦ حين يبلغه أبلغه إيّاه [12] .

(١٤ - وفي الفروع : محمّد بن يحيى ، عمّن ذكره ، عن محمّد بن جعفر النوفلي ، عن ابراهيم بن عيسى ، عن أبيه ، عن أبي الحسن ٧ أنّ رسول الله ٦ طاف بالكعبة حتّى إذا بلغ الرُّكن اليماني رفع رأسه إلى الكعبة ، ثم قال : «الحمد لله الذي شرّفك وعظّمك والحمد لله الذي بعثني نبياً وجعل عليّاً اماماً، اللهم اهد له خيار خلقك وجنّبه شرار خلقك» [13] .

(١٥ - وفي العلل : حدثنا أبي ٢، قال : حدثنا سعد بن عبدالله، قال : حدثنا محمّد بن عبد الجبار، قال : حدثنا جعفر بن محمد الكوفي ، عن رجل من أصحابنا رفعه ، عن أبي عبدالله ٧ قال : لما انتهى رسول الله ٦ إلى الركن الغربي فقال له الركن ؛ يا

رسول الله أُلست قعيداً من قواعد بيت ربك فما لي لا أستلم؟ فدنا منه النبي ٦ فقال له : اسكن عليك السلام غير مهجور[14] .

(١٦ - وفي العيون : حدثنا أبي ٢ ، قال : حدثنا محمد بن يحيى العطار ، عن محمد بن احمد بن يحيى بن عمران الأشعري ، قال : حدثني ابوسعيد الأدمي ، عن أحمد بن موسى بن سعد ، عن ابي الحسن الرضا ٧ فرقع يديه ، ثم قال : «يا الله يا ولي العافية ويا خالق العافية ، ويا رازق العافية والمنعم بالعافية والمنان بالعافية والمتفضل بالعافية عليّ وعلى جميع خلقك ، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما صل على محمد وآل محمد وارزقنا العافية ودوام العافية وتمام العافية وشكر العافية في الدنيا والآخرة يا ارحم الراحمين »[15] .

(١٧ - وفي البحار: نقلاً عن كشف الغمة قبل : ان الحسن بن علي بن أبي طالب التزم الركن فقال : «الهي انعمت عليّ فلم تجدني شاكرًا، وابتليتني فلم تجدني صابراً، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر، ولا أنت أدمت الشدة بترك الصبر، إلهي ما يكون من الكريم الا الكرم »[16] .

[١] () الفروع : ج:٤ ص٤٠٨ .

[٢] () الفروع : ج:٤ ص٤٠٨ .

[٣] () نفس المصدر .

[٤] () الهَجِير - كسجیل - الدأب والعادة كأنه أراد به ذا عادة كما يستفاد من الخير الآتي . ويقال الهَجِير علفعيل ايضاً للنجيب والفاضل والجيد من كل شيء. الوافي : ج ٢ كتاب الحج : ص ١٢٧ .

[٥] () نفس المصدر .

[٦] () نفس المصدر .

[٧] () شبه الركن اليماني بباب الجنة لأن استلامه وسيلة إلى دخولها. الوافي : ج:٢ كتاب الحج : ص ١٢٨ .

- [٨] () الفروع : ج:٢ ص١٣٤؛ الفقيه : ج:٢ ص٤٠٩ .
- [٩] () الفروع : ج:٤ ص٤٠٩ .
- [١٠] () الفروع : ج:٤ ص٤٠٩ .
- [١١] () نفس المصدر .
- [١٢] () نفس المصدر .
- [١٣] () المصدر السابق : ص٤١٠ .
- [١٤] () العلل : ج:٢ ص٤٢٩ .
- [١٥] () عيون اخبار الرضا: ج:٢ ص١٦ .
- [١٦] () البحار: ج:٩٩ ص١٩٧ نقلاً عن كشف الغمة : ج:٢ ص٤١٤ .

علة استلام الركن اليماني

(١ - وفي العلل : حدثنا محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد ٢ ، قال : حدثنا احمد بن ادريس ، عن محمد بن حسان ، عن الوليد بن ابان ، عن علي بن جعفر ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبدالله ٧ ، قال : قال رسول الله ٦ : طوفوا بالبيت واستلموا الركن فانه يمين الله في أرضه يصافح بها خلقه مصافحة العبد أو الدخيل ويشهد لمن استلمه بالموافاة [1] .

(٢ - وفي العلل : أخبرنا علي بن حاتم ، قال : حدثنا علي بن الحسين النحوي ، عن احمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن فضال ، عن ثعلبة بن ميمون ؛ وغيره ، عن بريد بن معاوية العجلي ، قال : قلت لأبي عبدالله ٧ : كيف صار الناس يستلمون الحَجْرَ والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين ؟ فقال : قد سألتني عن ذلك عباد بن صهيب البصري فقلت له : لأن رسول الله ٦ استلم هذين ولم يستلم هذين فإنما على الناس أن يفعلوا ما فعل رسول الله ٦ وسأخبرك بغير ما أخبرت به عباداً إن الحَجْرَ الأسود والركن اليماني عن يمين العرش وإنما أمر الله تبارك وتعالى أن يستلم ما عن يمينه عرشه ، قلت : فكيف صار مقام ابراهيم عن يساره؟ فقال: لأن ابراهيم ٧ مقاماً في القيامة ولمحمد ٩ مقاماً فمقام محمد عن يمين عرش ربنا عزوجل ، ومقام ابراهيم عن شمال عرشه ، فمقام ابراهيم في مقامه يوم القيامة ، وعرش ربنا مقبل غير مدبر [2] .

(٣ - وفي العلل : حدثنا أبي ٢ ، قال : حدثنا سعد بن عبدالله ، عن أيوب بن نوح ، عن صفوان بن يحيى ، عن معاوية بن عمار ، عن أبي عبدالله ٧ ، قال : بينا أنا في الطواف إذا رجل يقول ما بال هذين الركنين يمسان - يعني الحَجْرَ والركن اليماني -

وهذين لا يمسان ؟ قال : فقلت : لأن رسول الله ٦ كان يمسخ هذين ولو يمسخ هذين فلانتعرض لشيء لم يتعرض له رسول الله ٩ [3] .

(٤ - قال الامام الصادق ٧ : انه - الركن اليماني - بابنا الذي ندخل منه الجنة .

(٥ - وقال ٧ : إن فيه باباً من أبواب الجنة لم يغلق منذ فتح ، وفيه نهر من الجنة تلقى فيه أعمال العباد ، وهذا هو الركن اليماني لا ركن الحجر [4] .

(٦ - عن بريد العجلي قال : قلت لأبي عبدالله ٧ : كيف صار الناس يستلمون الحجر والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين ؟

فقال : قد سألتني عن ذلك عباد بن صهيب البصري ، فقلت له : لأن رسول الله ٦ استلم هذين ولم يستلم هذين ، فأنما على الناس أن يفعلوا ما فعل رسول الله ٦ ، وسأخبرك بغير ما أخبرت به عبداً ، إن الحجر الأسود والركن اليماني عن يمين العرش ، وإنما أمر الله تبارك وتعالى أن يستلم ما عن يمين عرشه ، قلت : فكيف صار مقام إبراهيم ٧ عن يساره ؟ فقال : لأن إبراهيم ٧ مقاماً في القيامة ومحمد ٦ مقاماً فمقام محمد ٦ عن يمين عرش ربنا عز وجل ، ومقام إبراهيم ٧ عن شمال عرشه ، فمقام إبراهيم ٧ في مقامه يوم القيامة ، وعرش ربنا مقبل غير مدبر .

في هذا الحديث الشريف أسرار وحكم وتربية وتعليم .

منها: ان الجواب يختلف باختلاف الناس ، فتارة جواباً عاماً للناس ، كما كان ذلك لعباد ، وأخرى خاصاً للخواص والحواريين كبريد العجلي .

ومنها: تارة الجواب بالفقه الأصغر وإتباع سنة رسول الله ٦ ، وأخرى بالفقه الأكبر وإرتباطه بالله وبيوم القيامة .

ومنها: فضل اليمين على الشمال ، وتفاوت مقامات الأنبياء، وإن أفضل الرسل والأنبياء منزلةً ومقاماً خاتم الأنبياء المصطفى محمد ﷺ .

ومنها: العرش الإسمي والمسمائي وأنه مقبل غير مدبر.

ومنها: إستلام الركنين عن يمين العرش يرمز في الواقع إلى إستلام يديه الله، وكلتا يديه يمين - كما في الأخبار - وذلك من اليمن والبركة والرحمة الواسعة .
ومنها: المطابقة بين الدنيا والآخرة ، فلما كان مقام إبراهيم في الآخرة عن يسار عرش الله، كان مقامه في الأرض عن يسار الكعبة والركنين .

[١] (العلل : ج:٢ ص٤٢٤ .

[٢] (المصدر السابق : ص٤٢٨ .

[٣] (المصدر السابق : ص٤٢٩ .

[٤] (بحار الأنوار: ٩٦ ٢١٩ ، ح ٧ و٨ .

علة استلام الركن اليماني

(١ - وفي العلل : حدثنا محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد ٢، قال : حدثنا احمد بن ادريس ، عن محمد بن حسان ، عن الوليد بن ابان ، عن علي بن جعفر ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبدالله ٧، قال : قال رسول الله ٦ : طوفوا بالبيت واستلموا الركن فانه يمين الله في أرضه يصافح بها خلقه مصافحة العبد أو الدخيل ويشهد لمن استلمه بالموافاة[1] .

(٢ - وفي العلل : أخبرنا علي بن حاتم ، قال : حدثنا علي بن الحسين النحوي ، عن احمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن فضال ، عن ثعلبة بن ميمون ؛ وغيره ، عن بريد بن معاوية العجلي ، قال : قلت لأبي عبدالله ٧: كيف صار الناس يستلمون الحَجْرَ والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين ؟ فقال : قد سألتني عن ذلك عباد بن صهيب البصري فقلت له : لأن رسول الله ٦ استلم هذين ولم يستلم هذين فإنما على الناس أن يفعلوا ما فعل رسول الله ٦ وسأخبرك بغير ما أخبرت به عباداً إن الحَجْرَ الأسود والركن اليماني عن يمين العرش وإنما أمر الله تبارك وتعالى أن يستلم ما عن يمينه عرشه ، قلت : فكيف صار مقام ابراهيم عن يساره؟ فقال: لأن ابراهيم ٧ مقاماً في القيامة ولمحمد ٩ مقاماً فمقام محمد عن يمين عرش ربنا عزوجل ، ومقام ابراهيم عن شمال عرشه ، فمقام ابراهيم في مقامه يوم القيامة ، وعرش ربنا مقبل غير مدبر[2] .

(٣ - وفي العلل : حدثنا أبي ٢، قال : حدثنا سعد بن عبدالله، عن أيوب بن نوح ، عن صفوان بن يحيى ، عن معاوية بن عمار ، عن أبي عبدالله ٧، قال : بينا أنا في الطواف إذا رجل يقول ما بال هذين الركنين يمسان - يعني الحَجْرَ والركن اليماني -

وهذين لا يمسان ؟ قال : فقلت : لأن رسول الله ٦ كان يمسخ هذين ولو يمسخ هذين
فلانتعرض لشيء لم يتعرض له رسول الله ٩ [3] .

(٤ - قال الامام الصادق ٧ : انه - الركن اليماني - بابنا الذي ندخل منه الجنة .

(٥ - وقال ٧ : إن فيه باباً من أبواب الجنة لم يغلق منذ فتح ، وفيه نهر من الجنة
تلقى فيه أعمال العباد ، وهذا هو الركن اليماني لا ركن الحجر [4] .

(٦ - عن بريد العجلي قال : قلت لأبي عبدالله ٧ : كيف صار الناس يستلمون الحجر
والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين ؟

فقال : قد سألتني عن ذلك عباد بن صهيب البصري ، فقلت له : لأن رسول الله ٦
استلم هذين ولم يستلم هذين ، فأنما على الناس أن يفعلوا ما فعل رسول الله ٦ ،
وسأخبرك بغير ما أخبرت به عبداً ، إن الحجر الأسود والركن اليماني عن يمين
العرش ، وإنما أمر الله تبارك وتعالى أن يستلم ما عن يمين عرشه ، قلت : فكيف
صار مقام إبراهيم ٧ عن يساره ؟ فقال : لأن لابراهيم ٧ مقاماً في القيامة ومحمد ٦
مقاماً فمقام محمد ٦ عن يمين عرش ربنا عزوجل ، ومقام ابراهيم ٧ عن شمال عرشه
، فمقام إبراهيم ٧ في مقامه يوم القيامة ، وعرش ربنا مقبل غير مدبر .

في هذا الحديث الشريف أسرار وحكم وتربية وتعليم .

منها: ان الجواب يختلف باختلاف الناس ، فتارة جواباً عاماً للناس ، كما كان ذلك
لعباد ، وأخرى خاصاً للخواص والحواريين كبريد العجلي .

ومنها: تارة الجواب بالفقه الأصغر وإتباع سنة رسول الله ٦ ، وأخرى بالفقه الأكبر
وإرتباطه بالله وبيوم القيامة .

ومنها: فضل اليمين على الشمال ، وتفاوت مقامات الأنبياء، وإن أفضل الرسل والأنبياء منزلةً ومقاماً خاتم الأنبياء المصطفى محمد ﷺ .

ومنها: العرش الإسمي والمسمائي وأنه مقبل غير مدبر.

ومنها: إستلام الركنتين عن يمين العرش يرمز في الواقع إلى إستلام يديه الله، وكلتا يديه يمين - كما في الأخبار - وذلك من اليمن والبركة والرحمة الواسعة .
ومنها: المطابقة بين الدنيا والآخرة ، فلما كان مقام إبراهيم في الآخرة عن يسار عرش الله، كان مقامه في الأرض عن يسار الكعبة والركنتين .

[١] (العلل : ج:٢ ص٤٢٤ .

[٢] (المصدر السابق : ص٤٢٨ .

[٣] (المصدر السابق : ص٤٢٩ .

[٤] (بحار الأنوار: ٩٦ ٢١٩ ، ح ٧ و٨ .

من أسرار بئر زمزم

(١ - لقد نبع بركلات إسماعيل لما كان صبيّاً حينما كانت أمّه هاجر تبحث بين الصفا والمروة عن الماء، لتروى عطش ولدها، فلما رأت الماء جمعت حوله التراب قائلة (زم زم) فسُمّي بذلك .

(٢ - يستحب شرب ماءه ، وصبّه على الصدر والظهر بعد الطواف وركعتيه وقيل السعي بين الصفا والمروة بدعاء مخصوص : (اللّهم انّي أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كلّ داء وسقم[1] .

(٣ - يرمز إلى ينابيع العلم والتقوى والمحبة والمودة والرحمة والأمل بالله، فان هاجر وإن سعت سبعة أشواط بين الصفا والمروة ، إلا أنّها لم تيّأس ، وبهذا فتح الله لها من باب آخر ، فانبوع من رفسات إسماعيل الماء ليكون من آياته الدالّة على صنعه ورحمته ولطفه .

(٤ - أنّه من آيات الله في المسجد الحرام ، فإنّه بعد الاف السنين لم يتسن ولا يزال ينبع منه الماء، مع أنّ أراضي مكّة جبليّة ولا تلوّج عليها، ولم يدعم بأبار أخرى .

(٥ - عن رسول الله ﷺ ينفع لكلّ ما ينويه الانسان ، وإنّه أفضل ماء على الأرض[2] .

(٦ - ماء زمزم لما شرب له : فمن شربه لمرض شفاه الله، ولجوع أشبعه الله، أو لحاجة قضاها الله[3] .

(٧ - لشدة شوق النبي ٩ بماء زمزم، كان في المدينة يستهديه أي يطلبه من الوافدين من مكة المكرمة بعنوان هدية [4] ، وكذلك فعل الإمام الصادق ٧ .

(٨ - اشتهر البئر بالمضنون والمصون لطمه من قبل قبيلة خزاعة في برهة من الزمن ، ثم أعادها عبدالمطلب ، فعرفت أيضاً بحفيرة عبدالمطلب .

(٩ - وفي الفقيه : روي انه من روي من ماء زمزم أحدث له به شفاء وصرف عنه داء [5] .

(١٠ - وفي الفقيه : كان رسول الله ٦ يستهدي ماء زمزم وهو بالمدينة [6] .

(١١ - وفي الدعائم : عن الحسن والحسين ٨ انهما طافا بعد العصر وشربا من زمزم قائمين [7] .

(١٢ - وفي فقه الرضا: روي عن أبي عبدالله ٧ ، عن رسول الله ٦ ، قال : ماء زمزم شفاء لما شرب له [8] .

(١٣ - وفي الفروع : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ؛ ومحمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ؛ وابن أبي عمير ، عن معاوية بن عمّار ، عن أبي عبدالله ٧ قال : إذا فرغت من الرُّكعتين فأت الحَجَرَ الأسود وقبَّله واستلمه أو أشر إليه فإنه لا بدَّ من ذلك ، وقال : إن قدرت أن تشرب من ماء زمزم قبل أن تخرج إلى الصفا فافعل وتقول حين تشرب : «اللَّهُمَّ اجعله علماً نافعاً

ورزقاً واسعاً وشفاءً من كلِّ داءٍ وسقمٍ» قال : وبلغنا أنّ رسول الله ﷺ قال حين نظر إلى زمزم : لولا أنّي أشقّ على أمّتي لأخذت منه ذنباً أو ذنوبين [9]. [10]

(١٤ - وفي الفروع : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حمّاد ، عن الحلبيّ ، عن أبي عبد الله ٧ قال : إذا فرغ الرجل من طوافه وصلّى ركعتين فليأت زمزم وليستق منه ذنباً أو ذنوبين وليشرب منه وليصبّ على رأسه وظهره وبطنه ويقول : «اللهم اجعله علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كلِّ داءٍ وسقمٍ» ثمّ يعود إلى الحَجَرِ الأسود [11].

[١] () الكافي : : ٤٠٥٠ .

[٢] () الكافي : : ٣٠٤٦ .

[٣] () البحار : : ٥٧٠٤ .

[٤] () الوسائل : : ٩٠٣٥ .

[٥] () الفقيه : ج: ٢ ص ١٣٥ .

[٦] () نفس المصدر . المحاسن : ج: ٢ ص ٥٧٤ .

[٧] () دعائم الاسلام : ج: ١ ص ٣١٥ .

[٨] () فقه الرضا: ص ٤٦ ، وفي الفقيه : ج: ٢ ص ١٣٥ روي عن الصادق ٧ انه قال : «ماء زمزم شفاء لما شرب له» .

[٩] () الذنوب : الدلو العظيم . وأظهر ٦ بهذا البيان استحبابه ولم يفعله لئلا يصير سنّة مؤكدة فيشق علما الناس . مرة العقول : ج: ٣ ص ٣٢٦ .

[١٠] () الفروع : ج: ٤ ص ٤٣٠ .

[١١] () نفس المصدر .

من أسرار جبلي الصفا والمروة

(١) - قال الله تعالى : (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ) [1] .

(٢) - بهبوط آدم على جبل صفا وهو صفي الله فسَمِيَ الجبل بلقبه (صفا) وهبطت حواء على جبل مروة وهي امرأة فسَمِيَ الجبل مشتقاً من المرأة بمروة ، والحدّ الفاصل بين الجبلين ٤٢٠ متراً وارتفاع الصفا ١٥ متراً وارتفاع المروة ثمانية أمتار.

(٣) - الشعائر جمع شعيرة وهي بمعنى العلامة ، فكان على جبل الصفا صنم (اساف) وعلى المروة (نائلة) فكان بعض المسلمين يمتنع عن سعيه بينهما، كما في قصة عمرة القضاء فقال سبحانه (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ) وانهما كالكعبة التي كان عليها وفي داخلها الأصنام ، فانه لا يمنع ذلك من الطواف حولها فكما تطوف حول الكعبة كذلك تسعى بين الصفا والمروة ، الطوف الحركة الدائرية التي من أين ما يبدأ به يرجع إليه .

(٤) - وأصل الصفا في اللغة الحجر الصلب الأملس ، وأصل المروة الحجر الصلب المرن والشعائر جمع شعيرة ، وهي العلامة ومنه الشعر، ومنه قولنا: أشعر الهدى ، أي أعلمه . بمعنى جعل عليه علامة كوضع قلادة في عنقه ، أو شقّ سنامه .

[١] () البقرة : ١٥٨ .

أسرار الحج عند الامام الصادق ٧

قال الامام الصادق ٧:

(١ - اذا أردت الحج فجرّد قلبك لله تعالى من قبل عزمك من كل شاغل وحجاب كل حاجب (التجرّد والاخلاص).

(٢ - وفوّض أمورك كلّها إلى خالقك ، وتوكلّ عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك (التفويض والتوكل).

(٣ - وسلّم لقضائه وحكمه وقدره (التسليم).

(٤ - وودّع الدنيا والراحة والخلق (الزهد).

(٥ - وأخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين (الاستحلال من الناس).

(٦ - ولا تعتمد على زادك وراحلتك وأصحابك وقوّتك وشبابك ومالك ، مخافة أن يصير ذلك عدوّاً ووبالاً، فان من ادّعى رضا الله وإعتمد على شيء صيرّه عدوّاً ووبالاً (الاعتماد على الله والثقة به).

(٧ - ليعلم أنّه ليس له قوّة ولا حيلة ولا لأحد، إلا بعصمة الله وتوفيقه (الاعتصام بالله).

(٨ - إستعد استعداد من لا يرجو الرجوع (الانقطاع إلى الله).

(٩ - وأحسن الصحبة (حسن المعاشرة مع الناس).

(١٠ - وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيّه ٦ (حسن العبادة).

(١١ - وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاء وإيثار الزاد على دوام الأوقات (حسن الخلق).

- (١٢) - ثمّ إغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك (التوبة).
- (١٣) - والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع (الصدق والخشوع).
- (١٤) - وأحرم من كلّ شيء يمنعك من ذكر الله ويحجبك عن طاعته (ذكر الله وطاعته على كلّ حال).
- (١٥) - ولبّ - بمعنى إجابة صافية زاكية - الله عزّوجلّ في دعوتك له . (الدعاء الزكي)
- (١٦) - متمسكاً بالعروة الوثقى (الإعتصام بحبل الله القرآن والرسول وأهل بيته :).
- (١٧) - وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت (الروحانيّة والمعنويّات).
- (١٨) - وهول هرولةً من هواك ، وتبرياً من جميع حولك وقوتك (مخالفة النفس والهوى).
- (١٩) - فاخرج من غفلتك وزلاّتك بخروجك إلى منى ، ولا تتمنّ ما لا يحلّ لك ولا تستحقّه (الطهارة واليقظة والحكمة).
- (٢٠) - وإعترف بالخطايا بعرفات ، وجدّد عهدك عند الله بوحدانيّته (الإقرار والتوحيد).
- (٢١) - وتقرب إلى الله ذائقة بمزدلفة (التقرب إلى الله).
- (٢٢) - وأصعد بروحك إلى الملاء الأعلى بصعودك إلى الجبل (الرقى والتكامل).
- (٢٣) - وإذبح حنجرتي الهوى والطمع عند الذبيحة (مخالفة الهوى).

(٢٤ - وارم الشهوات والدناءة والأفعال الذميمة عند رمي الجمرات (جهاد النفس).

(٢٥ - وأحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق رأسك (التطهير والجمال).

(٢٦ - وأدخل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم (أمان الله).

(٢٧ - وزر البيت متحققاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه (المعرفة).

(٢٨ - وإستلم الحجر رضاً بقسمته وخضوعاً لعزّته (الرضا بقدر الله وقضائه).

(٢٩ - وودّع ما سواه بطواف الوداع (حبّ الله).

(٣٠ - وصَفَّ روحك وسرّك للقاء الله يوم تلقاه بوقوفك على الصفا (الصفاء والمحبة).

(٣١ - وكن ذا مروة من الله، تقياً أو صافك عند المروة (المروّة والتقوى).

(٣٢ - وإستقم على شرط حجّك هذا (الاستقامة).

(٣٣ - ووفاء عهدك الذي عاهدت به ربّك ، وأوجبته إلى يوم القيامة[1]

(الوفاء بالعهد).

زبدة المخاص :

ان الامام ٧ أشار إلى أمّهات أسرار الحجّ ورمزنا إليها بعناوين عامّة من تحرّك على ضوءها سعد في حياته وبعد مماته ، وإن منها ما تتعلّق بالعبد مع ربّه كالرضا بقضاء الله وقدره والوفاء بعهده والاعتصام به ومنها ما تتعلّق بالعبد مع نفسه :

كمخالفة الهوى وجهاد النفس والاستقامة والزهد والتسليم والاخلاص .
ومنها: ما تتعلّق بالعبد مع الناس : كالصفاء والمحبة والمروّة وحسن الخلق وطيب المعاشرة والاستحلال من حقوقهم .

[١] () مصباح الشريعة : ١٤٢.

الفصل الخامس : من أسرار المناسك من أسرار الحجّ

الفصل الخامس

من أسرار المناسك

من أسرار الحجّ

يجب لمن يريد أن يدخل مكة المكرمة للحجّ أو العمرة أن يحرم من المواقيت ، كما يحرم لحج التمتع من مكة المكرمة .

(١ - عن رسول الله ﷺ والأئمة الأطهار :: أنه وجب الاحرام لعلّة الحرام .

إنّ الإحرام يتحقّق بالنية ولبس ثوبي الاحرام والتلبية ، فيحرّم على نفسه ما كان له حلالاً قبل إحرامه ، فيكون الإحرام بمنزلة تكبيرة الإحرام في الصلاة ، وإنما يحرم على نفسه ما حرّمه الله عليه من محرّمات الإحرام - كما سنذكر انشاء الله تعالى .

(٢ - ومن فلسفة الإحرام كما في الخبر الرضوي عن الامام الرضا ٧ قال : وإنّما أمروا بالاحرام ليخشعوا قبل دخولهم حرم الله وأمنه ، ولئلا يلهوا ويشغلوا بشيء من أمور الدنيا وزينتها ولذاتها، ويكونوا جادّين فيما هم فيه قاصدين نحوه ، مقبلين عليه بكليتهم ، مع ما فيه من التعظيم لله عزّوجلّ لبيته ، والتذلل لأنفسهم عند قصدهم إلى الله عزّوجلّ ، ووفادتهم إليه راجين ثوابه ، راهبين من عقابه ، ماضين نحوه ، مقبلين إليه بالذلّ والإستكانة والخضوع .

(٣ - الإحرام بمعنى تحريم الحاج والحاجة على نفسيهما كلّ ما حرّمه الله عليهما فينقطعان عمّا سوى الله سبحانه بالهجرة إليه ، بعد ترك العيال والمال وزينة الدنيا وزخرفها وزبرجها، ومن لمن ينو ذلك فما حجّ حجاً كاملاً، وان إسقط التكليف لو كان جامعاً للشرائط والأجزاء وترك الموانع ، فالنفي هنا نفي كمال لا نفي صحة ، كما يقال : لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد، أي لا صلاة ذات كمال وجمال وجلال لجار المسجد إلّا في المسجد، وإن كانت صلاته صحيحة ومسقطة للتكليف في بيته ، فتدبّر .

(٤ - يستحب إستحباباً مؤكّداً وقيل يجب على الأحوط لمن يقصد الاحرام أن يغتسل بغسل الاحرام ، ويرمز هذا الغسل إلى أن الانسان يغسل نفسه من الذنوب والقبايح

بتوبة خالصة ونصوحة ، ويرجع إلى ربّه بنية صادقة ، وجوارح وجوانح طاهرة ،
فان الطهارة الظاهريّة مقدّمة للطهارة الباطنيّة ، ولا يمس أسرار الحجّ إلّا المطهرون
، وهناك تناسب بين الغسل والاحرام ، فانه يحرم كلّ بدنه (أحرم لك شعري
وبشري ولحمي ودمي ومخي وعصبي) فكذاك يغسل كلّ جسمه ، كما في خروج
الجنابة من كلّ بدنه بغسل تمام بدنه .

(٥ - ويستحب كذلك قبل الإحرام وبعد الغسل أن يصلّي صلاة الاحرام ، ست
ركعات ، وان لم يتمكن فأربع ، وإلّا فركعتين ليستعين بصلاته على مناسكه في الحجّ
(استعينوا بالصبر والصلاة) وليكون مطلع حجّه بعمود الدين (إنّ الصلاة عمود
الدين) فيتقرّب بها إلى الله أوّلاً ثمّ يحرم لحجّه المبارك والمسند بالصلاة ثانياً، فانه
صلاة الطواف الواجب تعدّد من الصلوات الخمس اليوميّة التي لا تُترك على كل حال
، كما ورد في الاخبار، ويستحب في الركعة الاولى أن يقرأ سورة التوحيد، وفي
الثاني سورة الجحد، وفي كلّ فقرة من الأدعية شرح وبيان وتعليق ، فانها مدرسة
تربوية ، ومحطات إيمانية ومواقف تقوائية ، وشعائر إلهية .

(٦ - ولباس الاحرام يعني نزع لباس الذنوب والمعاصي والفواحش كلّها ما ظهر
منها وما بطن أوّلاً، ثمّ يلبس لباس التقوى الناصع بالبياض ، فيرمز لباس الإحرام
إلى لباس التقوى والورع والطهارة والنقاوة والقلب الأبيض ، كما يرمز إلى الكفن ،
ومن ثمّ تذكر يوم الحشر ويوم القيامة وخروجه من الاجداث باكفان غير مخططة ،
فيعيش في تلك اللحظات الروحانيّة حالة الانقطاع إلى الله سبحانه ، وتذكّره يوم
المحشر .

(٧ - وبتوبي الإحرام واللباس الموحد تزول التعينات والمميّزات القوميّة والمذهبيّة
، ومثل الجاه والمقام والرئاسة والتفاخر والتنازب والاستعلاء وغير ذلك .

(٨ - لا بد من نية القربة إلى الله سبحانه في إحرامه وفي كلّ مناسك حجّه ، فانه من
الأمر العباديّة التي لا تتحقّق ولا تصحّ إلّا بقصد القربة إلى الله عزّوجلّ ، وبالنوايا
الصادقة والخالصة يتقرّب العبد إلى ربّه ، فيحرم خالصاً بإحرام الأحرار والشاكرين

، لا خوفاً من نار الله، ولا طمعاً بجنّته ، وان كان ذلك يصحّ منه أيضاً، إلاّ أنّه أين عبادة الأحرار من عبادة العبيد والتجّار؟!

فالحاج المخلص يقصد بحجه أن يخلف ربّه في أسمائه الحسنی وصفاته العلیا (وما رميت اذ رميت ولكنّ الله رمى) فيكون بهذا مظهراً ومرآة لله سبحانه .

ومثل هذا المقام العظيم الذي لا يلقاه إلاّ ذو حظ عظيم ، يتم بقرب النوافل والحبّ الالهي كما في الخبر الشريف عند الفريقين - السنّة والشيعة - قال رسول الله ٦ في حديث قدسي عن الله سبحانه : أن العبد يتقرّب اليّ بالنوافل حتّى أحبّه فاذا أحببته ، أكون سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها[1] .

والقرب إلى الله إنما يكون بالسير والسلوك الباطني أي بالنوايا أوّلاً، وهذا غير القرب بالفرائض الذي يكون العبد سمع الله وعينه ويده كما في الأنبياء والأوصياء والأولياء.

(٩ - ومن فلسفة الإحرام التعبّد المحض في ترك المحرّمات التي بلغت في مذهب أهل البيت : (٢٤) محرماً كما هو عند المشهور من الفقهاء العظام ، أربع يختصّ بالرجال وهي : تغطية الرأس والاستئطال ولبس المخيط وتغطية تمام الرجل وإثنان تختصّ بالنساء وهما: لبس الحلى للزينة وتغطية الوجه ، وثمانية عشر من المشتركات بين الرجال والنساء وهي : إزالة الشعر منه أو من غيره مطلقاً، وإخراج الدم من الجسد، وقصّ الأظافر، وقلع الاسنان ، وقطع الأشجار، وحمل السلاح إلاّ لضرورة ، والصيد، وإستعمال الطيب ، والعقد الدائم والمنقطع والشهادة عليه ، والاستمئاء، والاكتحال للزينة ، والنظر في المرأة ، والجدال ، والتدهين ، والجماع واللذائذ الجنسيّة كالتقبيل ، والتختم للزينة ، والفسوق ، وقتل الحشرات أو ازالتها عن الجسد.

(١٠ - ومن أسرار الاحرام تربية النفس للخلاص من حُبّ الذات والأنانيّة وإتباع الملاذ والشهوات ، فأنّه بإحرامه يلاحظ نفسه من رأسه إلى قدمه من تغطية رأسه إلى تغطية تمام قدمه .

(١١ - وتطهير القلب من كل ما هو باطل ولم يكن باذن الشارع المقدس ، فينفي عن نفسه الخواطر والتفاخر والجدال والفسوق والرفث ، إذ أنّه مقبل على بيت طاهر (طهر بيتي) ورب طاهر ، والجنس مع الجنس يميل ، ولا يجتمع الطاهر في قلب وسخ وقذر بالرزائل والمعاصي والآثام .

(١٢ - ملاحظة الجوانب التشريعيّة مع التكوينيّة في أداء المناسك للاختبار والإمتحان ووصول الانسان إلى التربية والتزكية ، فانه بالامس كان الناس في الحرم وما حوله يأكلون اليربوع ويصطادونه ، واليوم في إحرامهم يأمن منهم الطير والوحوش وحتى الغزلان .

١٣ - من أسرار الإحرام الاستعداد والتهيأ للتقرب إلى الله سبحانه :

قال الصادق ٧: «كانت بنو إسرائيل إذا قربت القربان تخرج نار تأكل قربان من قبل منه ، وإن الله جعل الإحرام مكان القربان» [2] .

وإنّما يتقبّل من الحاج ما كان فيه التقوى (إنّما يتقبّل الله من المتقين) [3] ومن

هذا المنطلق في آيات الحجّ قال سبحانه : (وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى) [4]

فلا بدّ من قبل أن يهيأ الحاج زاد التقوى لنفسه ، حتّى يتقبّل منه إحرامه ، وكم من حاج وحاجة في تلبيتهما يخاطبهما الله سبحانه (لا لبيك ولاسعديك) والعياذ بالله.

(١٤ - ومنها: تمرين الخشوع أمام الله سبحانه . عن الامام الرضا ٧ : «إنّما أمروا

بالإحرام ليخشعوا قبل دخولهم حرم الله وأمنه » عن الامام الباقر ٧ : «من أمّ هذا البيت حاجاً أو معتمراً مبرراً من الكبر ، رجع من ذنوبه كهينة يوم ولدته أمّه » عن

الامام الحسين ٧ عن رسول الله ٦: «هلمّ إلى جهاد لا شوكة فيه الحجّ» فالحج من بدايته إلى نهايته مظهر الخضوع والخشوع والتواضع لله سبحانه .

(١٥ - ومنها ترك الدنيا والتوجه إلى الله سبحانه : عن الامام الرضا ٧ : «لنّلا يلهوا ويشتغلوا بشيء من أمور الدنيا وزينتها ولذاتها» فيكون المقصود الانقطاع إلى جمال الله وجلاله ، (ياذا الجلال والاکرام).

(١٦ - العزم والجزم الخالص للوصول إلى الله سبحانه : قال الامام الرضا ٧ : «ويكونوا جادّين فيما هم فيه قاصدين نحوه ، مقبلين عليه بكليتهم» .

(١٧ - تعظيم الله والاقرار بالعبوديّة والعجز والفقير لله سبحانه ، قال الامام الرضا ٧ : «مع ما فيه من التعظيم لله عزّوجلّ لبيته والتذلّل لأنفسهم عند قصدهم إلى الله عزّوجلّ» .

(١٨ - زيادة الرجاء والأمل بالله عزّوجلّ قال الامام الرضا ٧ : «راجين ثوابه راهبين من عقابه ماضين نحوه» .

(١٩ - زينة المؤمن : ان الله أمر عباده أن يأخذوا زينتهم عند كلّ مسجد (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كلّ مسجد) [5] وجعل لمسجد الحرام الإحرام ، والتبري من كلّ زينة ، فإنّ زينته في إحرامه .

(٢٠ - زيادة الشوق لزيارة بيت الله الحرام والانقطاع إلى الله سبحانه ، فإنّ الإحرام يساعد الحاج إلى أن يرى نفسه دائماً في حضرة الله وموعد لقائه ، ومن هذا المنطلق يستحب قبل أن يلبيّ يلبس ثوبي الاحرام ويمشي به هنيئاً ثمّ يلبيّ . قال ٧ : «ثمّ قم فامش هنيئة فاذا استويت بك الأرض ... قلب»

(٢١ - ترسيخ الطهارة والقداسة في النفس : فان الإحرام يعني تحريم المحرّمات على نفسه ، فيتولد منه الطهارة في باطنه وقداسة النفس والروح حتّى ولو مات في ساعته قال ٧ : «من مات محرماً بعث يوم القيامة بالحجّ مغفوراً له» وإذا أحرم حرّم الله جسده على النار لطهارته .

(٢٢ - رياضة النفس لقطع العلائق الدنيويّة : فان كان الصوم تمرين حياة من دون طعام وشراب ، فكذاك الإحرام تمرين حياة من دون العلائق الدنيويّة من الملاذ والرغبات .

[١] () الكافي : : ٢٠٣٥٢ .

[٢] () الوسائل : : ٩٠ الباب الأوّل من أبواب الاحرام الحديث ١ : .

[٣] () المائدة : : ٢٧ .

[٤] () البقرة : : ١٩٧ .

[٥] () الأعراف : : ٣١ .

من أسرار التلبية

(١ - التلبية شعار الحجّ ، قال رسول الله ٦ : «أتاني جبرئيل فقال إنّ الله عزّوجلّ يأمرک أن تأمر أصحابک أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فأنها شعار الحجّ» [1] .

فيستحب مع الصوت بالتلبية ، إلا لمن كان داخل مكة وفي المسجد، فيستحب له الإخفات ، قال الصادق ٧ : «فإذا انتهيت إلى الردم وأشرفت على الأبطح ، فارفع صوتک بالتلبية» .

عن الامام العسكري ٧ عن آبائه عن أمير المؤمنين ٧ قال : قال رسول الله ٦ في ذكر كلام موسى مع الله، فنادى ربنا عزوجل يا أمة محمد، فأجابوه كلهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ... قال : فجعل الله عزوجل تلك الاجابة شعار الحجّ [2] .

فمن يلبي للحجّ يدخل في الواقع والحقيقة مع الملبين من آدم إلى الخاتم ٨ ، وإلى يوم القيامة ، فيكون في صفّ البشريّة المؤمنة بالله سبحانه وبيوم القيامة .

(٢ - التلبية لغة : مصدر من لبي تلبية ، وانها إجابة الداعي والمنادي ، فمن يناديك أو يدعوك فانك تلتيه أو لا بقولك : (نعم) وإن أردت التأكيد فانك تكرر كلمة (نعم) وأبدل التكرار بقولهم (لبيك) أي : نعم نعم ، وربما الوجه في الابدال كون التكرار عند العرب إن لم يكن للتأكيد أو زيادة التقرير كان مخرجا بالفصاحة ، وربما التلبية مشتقة من (بلى) .

وفي المصطلح : عبارة عن التلبيات الأربع في الحجّ والعمرة عند الاحرام وهي (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك) فهي الفريضة في أول الكلام وبها

لبي المرسلون والأنبياء، ويلحق بها من باب الاحتياط الواجب كما هو المختار (إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك).

(٣ - لله سبحانه دعوتان في الحجّ : دعوة عامّة (وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) [3] فيجب على كلّ مستطيع أن يلبي دعوة الله

سبحانه في إقامة الحجّ ، ودعوة خاصّة يكتب صك الحاج والحاجة في ليلة القدر لتلك السنة بالخصوص ، فيحدّد الزمان له بدعوة خاصّة ، وتلبية الحاج إجابة الدعوة الإلهية بصيغته : العامّة والخاصّة ، فمن لم يكتب إسمه في قائمة وفد الحاج حرم من حجّ عامّه ، فالحاج بتلبيته يستحضر هاتين الدعوتين .

(٤ - كلّ واحد في واقعه طيلة حياته وأيام سنته يلبي دعوات الآخرين ويقول في سرّه (لبيك لبيك ، نعم نعم) إلا أنّ تلبية الحاج تختلف عن التلبيات البشرية ، وذلك بالاخلاص والصدق والانقطاع إلى الله سبحانه ، ومن ثمّ يتوفّر عنده خزين من المعرفة الإلهية ، ويتجلّى الهدف الحقيقي في حجّه وقصده إلى الله سبحانه ، فإن الحجّ عنده ليس مجرد قصد البيت الحرام والطواف حوله والوقوف في المشاعر ، بل من وراء كلّ ذلك الفقه الأكبر ومعرفة الآداب المعنوية والأسرار الملكوتية في مناسك الحجّ ، فينعمّ الحاج بأن يعيش في أجواء الوحي والرسالة الخالدة للسلام ، ويتقلّب بين أنوار أحكامه وفرائضه وسننه ، ويتنفس في البقعة المقدّسة والمحيط الإلهي عبق القرآن الكريم وطيب الولاء لرسول الله وأهل بيته :، فيتنظّم سلوكه ، ويهذب منطقه ، بتلبيات خالصة لله سبحانه المطلع على كلّ شيء، ومن يراعى آداب الضيافة لا يحرم من فضائلها، ومن الدعوات اللاحقة.

(٥ - ورد في الأحاديث المعتبرة أن أمير الحاج في كلّ عام هو صاحب الزمان الامام المهدي المنتظر الحجّة الثاني عشر ٧ وعجلّ الله فرجه ، فما أجمل بالمحرم في تلبيته أن يستحضر وجود أميره في الحجّ ليُدْمَج تلبيته في تلبيته .

(٦ - التلبية شعار التوحيد والموحدين والمخلصين .

(٧ - جواباً لنداء الله، وإستجابة لدعوته منذ الخلق الأوّل ، وفي كلّ العوالم في القوس النزولي كعالم الأنوار والأشباح والأرواح وعالم الذرّ المسمّى بعالم الميثاق وعالم (أست) والنشأة الانسانية الاولى قبل الدنيا، والنشأة الانسانية الثانية .

في روايات عديدة : إن الله سبحانه أخرج بني آدم من صلبه كالذرّ، ثمّ أشهدهم على وحدانيّته وربوبيّته قائلاً (أست برّبكم) قالوا: بلى : أي البشريّة جميعاً قالت بلى وشهدت بربوبيّة الله سبحانه ، فكان التوحيد ومعرفة الله من فطرتها السليمة وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وإلى هذا المشهد التوحيد أشار القرآن الكريم في قوله تعالى : (فَطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا).

ثمّ كما جاء في السنّة الشريفة[4] قال سبحانه : أليس محمّد نبيكم ؟ قالوا :

بلى ، ثمّ قال عزّوجلّ : أليس علي بن أبي طالب إمامكم وأميركم ؟ قالوا: بلى .

وفي الدنيا من النّاس من نسى إقراره في عالم الذرّ وأنكر توحيد الله وكفر به كالمشركين ، ومنهم من أنكر نبوّة خاتم النبيّين محمّد ٦ وكفر به كاليهود والنصارى ، ومنهم من أنكر ولاية أمير المؤمنين وخلافته بلا فصل لرسول الله كالمخالفين ، وأمّا المؤمن بالله ورسوله والخلفاء الأئمّة الاثنى عشر من بعده ، فإنه حينما يحجّ بيت الله الحرام ويبدء بطوافه يشير إلى الحجر الأسود ويُشّهده على الموافاة بما أقرّ به في عالم الذرّ من الإيمان بالتوحيد الخالص والنبوّة الصادقة والإمامة الحقّة .

فيقول بعد السلام على الحجر الأسود مشيراً إليه (بسم الله أكبر إشهد لي بالموافاة .)

(٨ - التلبية جواب لنداء إبراهيم الخليل حينما أمره الله أن يؤدّن بالحج (وأدّن بالناس بالحج) فأجابه من كان في أصلاب الرجال وبهذا نقول في التلبيات المستحبّة (لبيك يا داعي الله).

ثم ورد في الحديث الشريف : إنما يوفق لتكرار الحج بتكرار تلبيته في عالم الذرّ أو في عالم الأصلاب ، فمن قال مرتين (بلى) بعد بلى الايمانية وهي بلى الأولى في جواب الله سبحانه ، فيحج مرتين ، ومن قالها ثلاثاً فتلاث حجج وهكذا.

عن علي بن جعفر عن أخيه الكاظم ٧ وسألته عن التلبية لم جعلت ؟ قال : لأن إبراهيم ٧ حين قال الله تبارك وتعالى : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا) نادى فاسمع فاقبل الناس من كل جهة يلبون كذلك جعلت التلبية .

(٩ - إجابة كما أجاب موسى ٧ ربه .

عن الامام الصادق ٧ قلت له : لم سميت التلبية التلبية ، فقال : إجابة كما أجاب موسى له .

وفي حديث عن الامام الصادق ٧ : «وبها لبى المرسلون» .

(١٠ - تأسياً بالنبي الخاتم محمد ٦ فإنه لبى أربعاً ، كما لبى في ليلة معراجة .

(١١ - قال رسول الله ٦ : من حجّ بمال حرام فقال : لبيك ، اللهم لبيك قال الله له : لا لبيك ولا سعديك ، حجك مردود عليك .

(١٢ - قال الامام الصادق ٧ : إذا اكتسب الرجل مالاً من غير حلة ، ثم حجّ فلبى نودي لا لبيك ولا سعديك وإن كان من حله فلبى نودي : لبيك وسعديك .

(١٣ - كلما أراد الامام الصادق ٧ أن يلبى إنقطع الصوت في حلقه ، وقال : كيف أجسر أن أقول لبيك اللهم لبيك ، وأخشى أن يقول عزوجلّ : لا لبيك ولا سعديك .

(١٤ - في الحديث الشريف : وأمر جبرئيل إبراهيم وإسماعيل بالتلبية الأربعة التي لبى بها المرسلون [5] .

(١٥) - التلبية بمنزلة تكبيرة الإحرام في الصلاة ، فإنه بالتكبيرة تحرم على نفسك قواطع الصلاة كالأكل والشرب والقهقهة ، فكذاك بالتلبية تحرم على نفسك (٢٤) محرماً - كما مرّ - وهي ترمز إلى ترك الشهوات والزينة والانانية والدنيا، ليُتَّجِه نحو الله بكلّ وجوده في إحرامه وطوافه وصلاته وسعيه والوقوف في المشاعر الحرام .

(١٦) - يستحب تكرار التلبية من الميقات إلى مشاهدة بيوت مكة المكرمة بصوت عالٍ ، كما يستحب لمن يحرم من مكة إلى رؤية مسجد الحرام ، وبعد إنقطاع التلبية يهَلِّل ويحمد الله كما قال الامام الصادق ٧ : «فاذا قطعت التلبية فعليك بالتهليل والتحميد والتمجيد والثناء على الله عزّوجلّ» .

(١٧) - من أسرار التلبية : فتح اللسان بالحق والامتناع عن الباطل .

(١٨) - تختلف مراتب ودرجات التلبية باختلاف الملبين ودرجات إيمانهم وبمقدار ما يحملونه من التقوى والورع .

(١٩) - بالتلبية يطرد الحاج عن نفسه الشياطين ، كما يقارع الظالمين ويتخلّص من الجاهليات القديمة والمعاصرة التي تكون عن علم (أضلهم عن علم) ، فالتلبية تطهير القلب والقالب من شرك الخفي والجليّ .

(٢٠) - التلبية هي الذكر الواجب الوحيد في الحجّ والعمرة ، وأنّها بمنزلة التهليل والتحميد والتمجيد والله سبحانه .

(٢١) - التلبية بين الخوف والرجاء: ومن هذا المنطق كان الأئمة : يصفر لونهم عند التلبية خوفاً من أن يكون خطابهم (لا لبّيك) .

في الخبر الشريف : حجّ زين العابدين ٧ فلما أحرم وإستوت به راحلته ، اصفرّ لونه ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقليل : ألا تلبّي فقال : أخشى أن يقول لي : لا لبّيك ولا سعديك [6] .

وعن الامام الصادق ٧: كَلَّمَا هَمَّ بِالتَّلْبِيَةِ انْقَطَعَ الصَّوْتُ فِي حَلْقِهِ ، وَلَمَّا سئِلَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ قَالَ : كَيْفَ اجسُرُ أَنْ أَقُولَ لَيْبِكَ اللَّهُمَّ لَيْبِكَ ، وَأَخشى أَنْ يَقُولَ تَعَالَى : لَا لَيْبِكَ وَلَا سَعْدِيكَ .

وفي الخبر الشريف : كنت مع أبي جعفر الامام الباقر ٧ في ناحية من المسجد وقوم يلبون حول الكعبة فقال : أفترى هؤلاء الذين يلبون ؟ والله لأصواتهم أبغض إلى الله من صوت الحمير .

(٢٢ - التلبية ليس مجرد لفظ (لبيك) بل الوصول إلى مقام الإجابة ، وهو مقام عظيم ومنزلة رفيعة ، أن يجيب العبد دعوة ربه ومولاه ، وإذا كان جوابه أيضاً لبيك وسعديك ، فهذا يعني أنه وصل إلى السعادة الأبدية في جنة الخلد .

(٢٣ - حركة توحيدية مع النظام التكويني ، فما من شيء إلا ويسبح بحمده ، فهو ساجد إلى ربه ، وكذلك الانسان (إِنَّكَ تَدِخُّ إِلَى رَبِّكَ كَذْحًا فَمُلَاقِيهِ) [7]

والتلبية بروز وظهور لمثل هذه الحركة التوحيدية الكونية .

عن رسول الله ٦: ما ملبّ يلبي إلا لبي ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر ، حتى تنقطع الأرض منها هنا وهاهنا [8] .

وقال أمير المؤمنين ٧: ما من مهلّ يهلّ بالتلبية إلا أهلّ عن يمينه من شيء إلى مقطع التراب ، وعن يساره إلى مقطع التراب .

وعن الامام الباقر ٧: أحرم موسى ٧ من رملة مصر... فلبي فكانت تجيبه الجبال [9] .

(٢٤ - التلبية هوية إسلامية جديدة بعد القطع عن العلائق الدنيوية بنزع الثياب ولبس ثوبي الاحرام .

(٢٥ - يستحب تكرار التلبية إلى سبعين مرة ، وما زاد ليدلّ ذلك على أوج الرفع في الذكر والتوجّه ، وربما فيها خواص السبعين أو لدلالة على الكثرة ، ومن يذكر الله ذكراً كثيراً، فإنّه يعيش الحضور في الحضرة الإلهية ، فلا يغفل عنه طرفة عين ، وذكر الله على كلّ حال وفي جميع الأحوال من فلسفة أصل الحجّ .

(٢٨ - عن أبي عبدالله الصادق ٧ قال : لما أمر الله عزّوجلّ إبراهيم وإسماعيل ٨ بينان البيت وتمّ بناؤه ، أمره أن يصعد ركناً، ثمّ ينادي في الناس (ألا هلّمّ الحجّ) فلو نادى هلّموا إلى الحجّ لم يحجّ إلّا من كان يومئذ انسياً مخلوقاً، ولكن نادى (هلّمّ الحجّ) فلبّى الناس في أصلاب الرجال (لبّيك داعي الله لبّيك داعي الله) فمن لبّى عشراً حجّ عشراً، ومن لبّى خمساً حجّ خمساً، ومن لبّى أكثر فبعده ذلك ، ومن لبّى واحداً حجّ واحداً، ومن لم يلبّ لم يحجّ [10] .

[١] () لا يخفى ان أصل المعتقدات الإسلامية وأصل الفروع الدينية جاء في القرآن الكريم ، وأمّاتفاصيله وبيان جزئياته وشرائطه فجاء في السنّة النبوية الشريفة ومنهاج العترة الهادية كالصلاة ، ففيالقرآن الكريم (أقيموا الصلّاة) وفي السنّة والمنهاج بيان الركعات وعددها، فتدبّر.

[٢] () علل الشرايع : ٤١٦ ح ٣ .

[٣] () آل عمران : ٩٧ .

[٤] () الوسائل : : ٩ باب ٤٤ ح ٢ .

[٥] () البحار: : ٩٦ ٥٤ .

[٦] () الوسائل : : ٩ باب ٢ ، ح ١ .

[٧] () الانشقاق : ٦ .

[٨] () الحجّ والعمرة في الكتاب والسنّة : ١٥٧ ح ٤٥٥ .

[٩] () البحار: : ١٩٩ ١٨٥ ، ح ١٣ .

[١٠] () بحار الأنوار: : ١٢ ١٠٥ ح ١٧ .

من أسرار ترك المحرّمات والمكروهات

لقد ثبت في مدرسة أهل البيت : ان الأوامر الالهية إنّما جعلت لما في متعلّقاتها وموضوعاتها من المصالح الملزمة للفرد أو المجتمع ، كما ان النواهي لما في المتعلّقات والموضوعات من المفسدات الفرديّة أو الاجتماعيّة ، ويطلق على الأوّل الواجبات ، وعلى الثاني المحرّمات ، يلحق بهما في عالم التكليف والوظائف الدينيّة المكروهات والمستحبّات ، والأوّل ما كان فيه مرجوحية الفعل أو الترك مع جواز إتيان ضده والثاني ما فيه رجحان الفعل وترتب الثواب عليه مع جواز تركه وعدم ترتب العقوبة على الترك ، وإذا كان الفعل الصادر من الانسان من دون هذه العناوين الأربعة ، بل كان متساوي الطرفين في وجوده وعدمه فإنّه يسمّى بالمباح ، وبهذا يقال التكاليف الشرعيّة خمسة : الواجب والمستحب والحرام والمكروه والمباح .

وفي الحجّ واجبات ومحرّمات كما فيه المستحبّات والمكروهات ، والمكروه يقابل المحبوب ، فما كرهه المولى أي أحبّ تركه ، وإن كان إتيانه لا يستوجب العقوبة .

فالمكروهات في الاحرام :

(١) - الاحرام بالأسود أو أي لون آخر غير الأبيض ، كما يستحبّ أن يكون لباس الاحرام من الابيض وإنه لباس الملائكة .

(٢) - الإحرام بالقماش المخطط أو المنقوش .

(٣) - نوم المحرم على وسادة صفراء أو سوداء .

٤ - دخول الحمّام والتدلك .

(٥) - الحناء أو أي لون آخر قبل الإحرام ، ويبقى اللون بعنوان الزينة بعد الاحرام .

(٦ - أن يلبّي من يناديه .

(٧ - الاحرام بلباس قذر ووسخ .

من أسرار ترك المكروهات :

(١ - التأكيد على بياض لباس الاحرام وكراهة اللون الأسود أو القماش الملون فاتّه ، من آثاره الحفاظ على سلامة الجسد، فان الألوان في حرارة شمس الحجاز ممّا يوجب تزلزل سلامة الانسان ، كما أن توحيد اللون بالبياض ممّا يعطي المشاهد الحيويّة والنشاط والتوجّه الخاص إلى الله سبحانه .

قال الامام الصادق ٧: «لا يحرم في الثوب الأسود ولا يكفن به الميت».

قال رسول الله ٦: «ليس في ثيابكم شيء أحسن من البياض».

كان رسول الله يكره السوداء إلا في ثلاثة العمامة والخف والكساء[1].

(٢ - اهتمام الاسلام بالنظافة والطهارة ، فإن الله نظيف ويحب النظافة ، فجعل النظافة من الايمان وانه جميل ويحب الجمال ، فتجلّى ذلك في وضع الأحكام ، كبياض لباس الاحرام وكراهة أن يكون قذراً ووسخاً.

سئل ٧ عن الرجل يحرم في ثوب وسخ ؟ قال : لا أقول إنّه حرام ولكن تطهيره أحبّ إليّ، وظهوره غسله ، ولا يغسل الرجل ثوبه الذي يحرم فيه حتّى وان توسخ[2].

ولا يختصّ ذلك بلباس المحرم بل بمحيطه الذي يعيش فيه ، فلا ينام على وسادة صفراء أو سوداء فان مثل ذلك له الأثر المنفي على الروح .

قال الامام الصادق ٧: «كره أن ينام المحرم على فراش أصفر، أو على مرفقة صفراء».

(٣ - حفظ الحدود الإلهية : إن المتقي الورع من يتجنب الشبهات والمكروهات فانها حمى المحرمات فيتوقاها كي لا يقع في الحرام .

قال الامام الصادق ٧: «لا بأس أن يدخل المحرم الحمام ولكن لا يتدلك».

(٤ - رعاية أدب الحضور، فمن يلبي لربه في إجابة دعوته فيقول (لبيك اللهم لبيك) عليه أن يراعى الأدب في حضرته ، فان ناداه شخص فلا يستعمل هذه الكلمة التي قالها في إجابة دعوة ربه (لبيك) لدعوة غيره ، فانه يكره له ذلك ، فلا يشرك مع ربه أحداً.

أما من أسرار الاحرام :

فان المحرم بعد لبسه ثوبي الاحرام والتلبية مع مقدماتها ومقارناتها يحرم عليه (٢٤) محرماً، تسعة عشر منها يشترك فيها الرجال والنساء، وأربعة تختص بالرجال واحدة بالنساء كما هو مذكور بالتفصيل في الكتب الفقهية والرسائل العملية .

قال الامام الصادق ٧ بعد الاحرام : «وأحرم عن كل شيء يمنعك عن ذكر الله عزوجل ، ويحببك عن طاعته» فسرّ المحرمات انما هو في طي أسرار الاحرام ، فكل ما يمنع الاحرام ، فان محرّمات الاحرام يمنع ذلك .

وحقيقة الاحرام الانقطاع إلى الله سبحانه ، وإنه كل شيء هالك إلا وجهه ، ولا بدّ من ترويض النفس على المجاهدة والجدّ وتبلور الوحدة والوصول إلى الحقيقة الواحدة ، والحركة من الكثرة إلى الوحدة ، والعهد والميثاق مع الله سبحانه ، فكان الحجّ بإجرامه مظهر جلال وجمال الله والوصول إلى مقام الانسانية والانسان الكامل الذي يستخلف ربه في أسمائه الحسنی وصفاته العلیا.

(١ - الفسوق في الحجّ :

فلا فسوق ولا إنحراف عن مسير الحق والخروج عن إطاعته ، ولا كذب ولا مفاخرة
ولا سُبَاب ولا جدال في الحجّ .

قال الشيخ الطوسي ١: (روى أصحابنا انه أراد الكذب ، والاولى أن تحمله عليه
جميع المعاصي التي نهى المحرم عنها).

قال الصادق ٧: إذا أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله، وقلة الكلام إلا بخير، فإن
تمام الحجّ والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلا من خير، وهذا مما يوجب الألفة والمحبة
والمودة بين المؤمنين .

هذا من تمام الحجّ في جانب الأخلاق ، وأمّا من جانب العقائد فمن تمام الحجّ لقاء
الحجّة ٧ وإعلامه بالايمان بامامته وولايته ، وإن كان غائباً عن الأبصار.

(٢ - لا جدال في الحجّ .

فان الجدال الخصوم والنزاع والاظهار على الخصم وان كان بدليل ، إلا أنه ربّما
يستوجب اللّجاجة التي هي من جنود الجهل وآليات الشيطان للاغواء، وربما يؤدي
الجدال إلى أن يحلف الحاج بالله وبحروف القسم (والله وتالله وبالله) فنهى عن ذلك
في الحجّ والاحرام .

قال الامام الصادق ٧: «والجدال هو قول الرجل : لا والله، وبلى والله، وسباب الرجل
للرجل ، والاستفادة من إسم الجلالة لإثبات مدّعا في مقام الخصومة والمجادلة
المذمومة ، وان كان من الجدال ما هو حسن وممدوح .

(أدغ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتّي هي أحسن) [3] .

(فمن فرض فيهنّ الحجّ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحجّ) [4] .

فلابدّ من رعاية قداسة الحرم ومعالمه .

(وَمَنْ يُعْظَمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) [5] .

في الحديث الشريف : «الحرّمات خمس : البيت الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والاشهر الحرام والحرم» فمثل الجدل والفسوق والرفث ممّا يكسر حرمة الحرّمات .

(٣ - لا رفث في الحجّ :

فكل اللذائذ الشهوانية للمحرّمين (الرجال والنساء) حتى النظرة بشهوة والكلام بشهوة والعقد والشهادة على العقد والاستمنااء ممّا حرّمه الله سبحانه وتعالى عليهم ، فمن فعل فعلية أن يتوب كما عليه أن يكفر، كما هو مذكور في الكتب الفقهية والرسائل العملية .

والحاج في سيره إلى الله سبحانه يتخلّى عن الملاذ الدنيوية وزينتها (زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ... ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [6] .

وهذه الزينة للاختبار والامتحان (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [7] .

ان سفر الحجّ من الأسفار الملكوتية ولا تتناسخ مع الملاذ الدنيوية ، فإنّها تمنع من عروج الانسان إلى ربّه في إحرامه للحجّ .

ومن يحرم شعره وبشرته من النساء (أحرم لك شعري وبشري ... من النساء) فانه يعني ذلك إنه يتعهد لربّه ان لا يشتغل بمشتهياته ولذائذه ، فجاز له أن يطلق دون

أن يعقد (المحرم يطلق لا يتزوج) ومن استأنس بلذائذه الجسدية ، فانه يغفل عن لذائذه المعنوية والروحية العقلية .

(٤ - التفاعل مع البدن .

ان المحرم من الرجال والنساء لا يحق له أن يقص أظفاره من بده أو رجله ، أو يجزّ شعره ولو شعرة واحدة من بدنه ، أو يقلع ضرسه وأسنانه ، أو يخرج الدم من بدنه ولو بالمسواك ، أو يوجد الحكّة في بدنه ، وما شابه ذلك فانه يحرم عليه .

لان بعض هذه المحرّمات جعلت من آليات الإحلال من الاحرام كأخذ شيء من الشعر أو الأظفار في الحلق أو التقصير، ولا بدّ من ترك المحرّمات مطلقاً الصغيرة منها والكبيرة ، فانه يحرم ، ازالة شعرة من البدن متعمداً كما يحرم الرفث والفسوق والجدال ، وهذا ينبأك عن روح الإطاعة والتسليم لله سبحانه وتعالى فلا يستصغر الذنب فانه من الكبائر، وقد أخفى الله ثلاثة في ثلاثة : أخفى رضاه في طاعاته فلا يحتقرن أحدكم شيء من طاعات الله لعلّه يكون فيه الرضا، وأخفى سخطه في معاصيه فلا يحتقرن أحدكم شيء من معاصيه لعلّه يكون في الغضب وسخط الالهي والعياذ بالله - وأخفى أوليائه في خلقه فلا يحتقرن أحدكم أحداً لعلّه يكون الولي، ورُبّ عمل صغير كمفتاح صغير يفتح لك آفاق وأبواب في السير والسلوك إلى الله سبحانه .

فمن أحرم الله سبحانه كان بدنه في حضرة ربّه ، فلا يحق أن يتصرّف فيه إلا بإذنه (أحرم لك شعري وبشري ولحمي ودمي وعظمي ومخي وعصيبي) فهذا الجسد لله سبحانه ، كما أن الروح روح الله (ونفخت فيه من روحي) وإذا أراد أن يتحلّل من إحرامه وتركه المحرّمات ، أنّما يخلّص بدنه في نهاية العمرة بالتقصير، وفي نهاية الحجّ بالذبيحة والحلق أو التقصير فالإحرام يعني التوجّه التام إلى الله سبحانه والانقطاع إليه وعمّن سواه (وأحرم عن كلّ شيء يمنعك من ذكر الله).

(٥ - طلب الراحة :

فالرجل لا يغطي رأسه ، ولا يستظل من الشمس تحت ظلّ ، والمرأة لا تغطّي وجهها ويدها، ليدلّ على أن تمام جسدهما قد أحرم لله سبحانه ، وأنّه خرج من حريم نفسه ليدخل في حريم الله وبحبوحه رضوانه ، فالتسليم المحض أمام الارادة الالهية ، وإذا كان الرأس مفرداً فهذا يعني التسليم ، وإن تغطيه الرأس ربما يعطيك العلامة بين الحجّاج ، والمفروض كلّهم في رحلتهم سواسي عند الله والخلق .

كما أنّ من رجا لقاء الله سبحانه لا بدّ من تحمّله المصائب والمتاعب في سبيل حبيبه ، فمن أحرم فانه حرّم نفسه من الراحة ، فلا يستظل من شدّة حرارة الشمس بمحمّله أو مركوبه أو أي شيء آخر ، كما لا يغطّي رأسه لينوق الحر والبرد - كما ورد في الخبر الشريف - والمحرمة لا تتنقب لان إحرام المرأة في وجهها فانك ان تنقبت لم يتغيّر لونك .

سألت أبا الحسن ٧ عن الظلال المحرم ؟ فقال : أضح لمن احرمت له ، قلت اني محرور، وإن الحرّ يستر عليّ فقال : اما علمت ان الشمس تغرب بذنوب المجرمين [8] .

وفي فلسفة الكعبة بين الجبال والصخور قال أمير المؤمنين علي ٧ : «ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبّدهم بأنواع المجاهد، إخراجاً للتكبر من قلوبهم ، وإسكاناً للتدلل في نفوسهم ، وليجعل ذلك فتحاً إلى فضله .

ومن علائم التائب أن لا يغطّي رأسه ، بل كالعبد في خضوع وخشوع أمام ربّه ومولاه .

ثمّ المرأة لا تغطّي وجهها لأنها تشعر بالأمان من عيون الرجال اذ كلّهم في سير إلى الله سبحانه وكلّ مشغول بنفسه ، ومن تقوى الحجّ منع اللذائذ والشهوات حتى ولو بالنظرات .

(٦ - ترك الزينة :

العطور والروائح الطيبة والاكتمال ولبس الحلّي والتدهين والنظر في المرأة وما شابه ، ولبس المخيط للرجال ولبس الحلّي للنساء والرجال حتّى الخاتم ، إذا كان للزينة كلّها من المحرّمات ، وتدلّ على ان المحرم قد خلّص نفسه من التعينات والأنايآت وزينة الدنيا، ليظهر ما في باطنه وقلبه من شوق الوصال إلى محبوبه وربّه ، فمن أراد أن يتخلّص من شباك الشياطين وتسويلاتهم وخطواتهم ، فعليه أن ينسى نفسه ليتّحد مع إرادة ربّه ، ويصل إلى وحدة العاشق والمعشوق والعشق بما هو معقول ووارد في الشريعة الاسلاميّة ، وفي مدرسة أهل البيت .:

قال الامام الصادق ٧: (لا ينبغي للمحرم أن يتلذذ بريح طيبة) (ولا يلبسه - الخاتم - للزينة) (المحرمة تلبس الحلّي كلّه إلّا حلياً مشهوراً للزينة) (لا بأس

أن يكتحل وهو محرم إن لم يكن فيه طيب يوجد ريحه ، فاما للزينة فلا)، فمثل هذه التفاسير تدل على أن مراعاة البواطن في الحجّ أولى من رعاية الظواهر.

فالحج عبادة ، والعبادة حتى الفناء في إرادة الله سبحانه والتخلّص من الانانيّة وحبّ الذات ، وفي الحجّ كل ما يمنعك عن ذكر الله وحبّه وان كان مباحاً في غير الحجّ ، فانه يمنع عنه وكان من محرّمات الحجّ (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [9] .

فاذا كان الطيب من أخلاق الأنبياء ومن المستحب استعماله - كما ورد في الخبر الشريف - إلّا أنه في حال الاحرام يحرم ذلك كما في الحديث الشريف : «كان علي بن الحسين ٧ اذا تجهّز إلى مكّة قال لأهله ، إيّاكم أن تجعلوا في زادنا شيئاً من الطيب ولا الزعفران نأكله ونطعمه».

قال الامام الصادق ٧: «لا تمسّ شيئاً من الطيب ولا من الدهن في إحرامك وإتق الطيب في طعامك وأمسك على أنفك من الرائحة الطيبة ، فانه لا ينبغي للمحرم أن يتلذذ بريح طيبة» [10] .

قال الصادق ٧: «لا تنظر في المرأة وأنت محرم فانه من الزينة» «لا ينظر المحرم في المرأة لزينة فان نظر فليلب» .

(٧ - الكلّ في أمان الله .

من المحرّمات في الحجّ قطع الشجرة والزرع في حدود الحرم الشريف ، وحمل السلاح وقتل الحيوانات حتّى الهوام والحشرات التي تقف على جسد

الانسان ، والصعيد والإعانة على ذلك ولو بإشارة - وهذا لا يعمّ الحيوانات الأهلّية والبحريّة ، فكلّ هذه تدل بوحدة ملاك ومقياس إن الحجّ يمتاز بروح المحبّة والموادّة حتّى مع الطبيعة والحيوانات ، فلا عنف لمن كان ضيف الله وفي رحمته الواسعة فان (الحاج والمعتمر وفد الله إن سألوه أعطاهم ، وإن دعوه أجابهم ، وإن شفعو أشفعهم ، وإن سكتوا ابتدأهم .

فلا يحق لمن يريد حياته وراحته وحرّيته أن يزاحم الآخرين ، ومن كان يمنعك حق الحياة كالذبانات والحيوانات - بما فيهم الحياة الذبانية من القوى الثلاث : الغذائية والنامية والموادّة - ومن الاحساس والحركة بالارادة في الحيوان - فلا بدّ من المحافظة على الحياة والمحيط والأمن العام حتّى للحيوانات نعم (اذا حللتهم فاصطادوا) لاقتضاء الضرورة لذلك للطعام وغيره ، والصيد يكون في غير الحرم الالهي حينئذ لان الحرم أمن للكلّ .

قال الله سبحانه وتعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ
مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ) [11] (وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ

حُرْمًا) [12] .

قال الامام الصادق ٧: «لا تستحلّ شيئاً من الصيد وأنت حرام ، وحلال في الحرم ،
ولا تدلن عليه محلاً ولا محرماً فيصطاده ، ولا تنتشر إليه فيستحل من أجلك ، فان
فيه فداء لمن تعمّد» [13] .

فاذا كان الحرم آمناً (ومن دخله كان آمناً) وكان الحاج في ضمان الله سبحانه ،
فكذلك كلّ من كان في الحرم الأمن الالهي كانوا في أمان الله وضمانه .

قال الامام الصادق ٧: «ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى
حتى يخرج من الحرم» .

وحمل السلاح والصيد يتنافى مع روح التسليم الحاكم في مناسك الحجّ .

ومن يرتكب المحرمات فعليه أن يكفّر فيما تجتمع شرائط التكفير كما في الفقه
الاسلامي ليزوق وبال أمره ، وما ارتكبه من محرّمات الحجّ والكفارات تناسب مع
الجنایات وإرتكاب المحرّمات في نوعها ومقدارها، ففيها ذبح شاة وبقر وبعير ،
وإطعام الفقراء أو اداء ثمنها أو تكرار وإعادة التلبية أو الاستغفار والتوبة (إِنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ
يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ) [14] .

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فالكفارات تعني جبران النقائص والاختفاء وتكفير عن
الذنوب والجرائم والمحرّمات ، وتطهير النفوس من شوائب المعاصي والآثام ،

وإستحكام مباني الايمان والصيانة من الوقوع مرّة أخرى (ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)
(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [15] .

فالكفّارات حصانة وصيانة من الارتكاب ومن فلسفتها تربية الانسان ، فمن لم يستطع الحد الأكثر في تأمين الكفارة كالبعير فانه ينتقل إلى ما هو أضعف منه وأقل قيمة ، وهكذا لمن لم يستطع عليه أن يستغفر ، حتّى يفهم بخطأه وتجاوزة لحدود ربّه .

[١] () سنن النبي : ١٣٢ ، وسائل الشيعة : ٩ : باب ٢٦ من أبواب الاحرام ، مكارم الاخلاق : ١٠٤ .

[٢] () الوسائل : ج) ، باب ٣ من أبواب تروك الاحرام .

[٣] () النمل : ١٢٥ .

[٤] () البقرة : ١٩٧ .

[٥] () الحجّ : ٣٠ .

[٦] () آل عمران : ١٤ .

[٧] () الكهف : ٧ .

[٨] () الوسائل كتب الحجّ باب ٦٤ الحديث ١١ .

[٩] () الكهف : ١١٠ .

[١٠] () الوسائل : ١٩ : باب ٣٤ من أبواب تروك الاحرام الحديث ١ و٤ .

[١١] () المائدة : ٩٥ .

[١٢] () المائدة : ٩٦ .

[١٣] () الوسائل : باب ٨٨ من أبواب تروك الاحرام الحديث ٢ .

[١٤] () الانفال : ٢٩ .

[١٥] () المائدة : ٨٩ .

من أسرار الطواف

(١ - يجب بعد الإحرام الطواف حول الكعبة سبعة أشواط ، وقد أشار القرآن الكريم إلى الطواف في ثلاث آيات : (وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [1] (ثُمَّ لِيُقْضَىٰ لَهُمْ وَأَلْفُوا نُدُورَهُمْ

وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) [2] (طَهَّرَ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [3] .

(٢ - أول من طاف حول البيت من البشر آدم وحواء ٨ .

قال الامام الباقر ٧: فلما أصاب آدم الخطيئة وأهبطه الله إلى الأرض أتى إلى البيت وطاف به، كما رأى الملائكة طافت عند العرش سبعة أشواط ، ثم وقف عند المستجار فنادى ربّ اغفر لي ، فنودي يا آدم قد غفرت لك . قال : يا ربّ ولذريتي فنودي يا آدم من باء بذنبه من ذريتك حيث بوأت أنت بذنبك ههنا غفر له .

(٣ - كان الطواف قبل آدم بألفي عام فقد طافت الملائكة حول البيت ألفي عام قبل آدم ٧، وكانوا يذكرون الله بقولهم (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله) وعلمت الملائكة آدم ٧ كيف يطوف حول البيت في سبعة أشواط [4] .

(٤ - يجب في حج التمتع طواف عمرة التمتع وطواف حج التمتع وطواف النساء .

وُسَمِّيَ الأوّل بطواف التوبة والوصال والاستغفار ، فاغتسل أولاً قبل الإحرام لأنك ستدخل بيت طاهر ومطهر (طهر بيتي) ، ثم صلّ صلاة الاحرام ولبّي وحرّم على نفسك الملاذ والشهوات ، ثم تعال إلى المسجد الحرام واغتسل لدخول مكة المكرمة

ولدخول المسجد، ثم طف طواف التوبة والاستغفار من الذنوب والآثام ، فجرد نفسك عن ثياب الذنوب ، وإلبس ثوبي الاحرام ثم طف طواف التوبة .

وأما الطواف الثاني فنسميه طواف الزيارة والحبّ الإلهي ، فأتك بعد الوقوف بعرفة وزيادة المعرفة ، وتتقرب زلفى إلى الله في المزدلفة ، وتتمنى الجنة في منى ، وتكون ضيفاً على الله، فتعال بثيابك ولا يجب عليك في هذا الطواف ان تلبس ثوبي الاحرام لأنك أصبحت من أهل النور والطهارة ، حتى الثياب كادت أن تكون من النور، فطف بطواف الزيارة .

[١] () البقرة : ١٢٥ .

[٢] () الحج : ٢٥ .

[٣] () الحج : ٢٦ .

[٤] () التاريخ القديم : ٣ : ١٤ وتاريخ مكة : ٣٦ .

من فلسفة طواف النساء

وأما طواف النساء: فإنه ورد في الخبر الشريف : أنه تكريماً لامرأة مؤمنة أحببت زيارة بيت الله الحرام ، ففي قديم الأيام وقبل ظهور الاسلام وربما عصر ابراهيم الخليل ٧ كانت امرأة في مصر تعيش مع زوجها وأولادها الخمسة في نعمة ورخاء من الخدم والحشم والمواشي ، فاحببت أن تزور بيت الله الحرام ، فطلبت من زوجها ذلك ، وتجهزت مع أولادها وما تملك ، وخرجوا في موكب بهيج إلا أنه مات أحد الأولاد في الطريق ، فأراد الزوج أن يرجع إلى دياره ، فطلبت منه زوجته أن يحجوا البيت ويدسوا السير فاداموا السير إلا أنه فقدت الأولاد واحداً بعد واحد، وحتى فقدت الخدم والحشم ، ولازال شوق بيت الله يحدها بها، وقبل أن تصل إلى مكة مات زوجها، وما إن وصلت إلى المسجد حتى أصابها العادة الشهرية (الحيض) فنظرت إلى السماء بقلب حزين ولسان حالها تقول : يا ربّي ويا الهي تركت الأهل طراً في هواك ، وأرملت نفسي شوقاً لزيارة بيتك الطاهر، واليوم كما ترى منعت من دخول المسجد الشريف ، فألهما الله أو أوحى إلى نبيّ زمانها إن الله يسنّ للرجال والنساء طوافاً لتشترك في ثوابه ، وعرف بطواف النساء، والله العالم بحقائق الأمور، سمعت هذه الرواية عن بعض الأعلام ، وانه نقلها من كتب الشيخ الصدوق ، ولم أجد المصدر، وعدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود.

(٥ - لا بدّ في الطواف أن يكون بلباس وبدن طاهر كما لا بدّ أن يكون اللباس مباحاً وهذا يعني مع التلوّث الظاهري بالنجاسة والغصب كيف يحصل على الطهارة المعنوية والباطنية ويكون من الطائفيين حقيقة ، ويقف على أسرار طوافه؟! بل ليس له من حجّه إلا التعب والنصب ، وكذلك يحرم على الرجل أن يحرم بلباس الحرير، فإنه من لباس الزينة والتفاخر.

(٦ - من الاعداد المقدّسة عند الله عدد السبعة ، فإنه خلق السماوات والأرض في سبعة أيّام ، وجعل الطواف سبعة أشواط ، كما في السجدة سبعة أعضاء على الأرض ، وعند العرفاء مدن العشق والحب سبعة ، وان لجهنم سبعة أبواب ، ومنافذ المعصية في الانسان سبعة ، والأعضاء التي توجب إستحقاق العقاب سبعة : الفكر والعين

والاذن واللسان واليد والرجل والأعضاء التناسلية ، فكان من الطبيعي المقبول عدد السبعة في الأشواط حول البيت الحرام ، ربما ليرمز إلى ان الانسان في كل أسبوعه المتكون من سبعة أيام عليه أن يطوف بقلبه حول عرش ربه ، فانه ورد في الخبر الشريف : (فقلب المؤمن حرم الله) (قلب المؤمن عرش الله) فالعبد بقلبه يكون مع الطائفين والعاكفين والركع السجود، يقنت آناء الليل وأطراف النهار، ويحوم كالفراش ويطوف كالملائكة حول كعبة إرادة الله وحبّه ، فلا يغفل عن ربّه طرفة عين أبداً، ولا يرى شيئاً إلا ويرى الله قبله ومعه وبعده ، وأنّه رهين إرادته سبحانه في القضايا كلّها في العبادات والمعاملات ، وبسبعة أشواط يغلق على نفسه سبعة أبواب جهنّم (هذا مقام العائذ بك من النار) بل بأشواط السبعة في طوافه حول البيت الطاهر يطوي الأرضين السبع والسموات السبعة ليصل في نهاية المطاف إلى عرش ربّه جلّ جلاله (قاب قوسين أو أدنى) ولا يلقاها إلا ذو حظّ عظيم ، وختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، فيطوف مع ملائكة العرش حوله (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) [1] .

(٧ - الواجب من الطواف في حجّ التمتع - كما مرّ - ثلاثة ، وكلّ طواف سبعة أشواط فالمجموع بعد ضرب الثلاث في السبع إحدى وعشرون ونضيف عليها ثلاثة بعدد الطوافات ، الثلاث فيكون المجموع أربعة وعشرين ، واليوم بليله ونهاره أربعة وعشرون ساعة ، فهل يعني طوافات حج التمتع الثلاثة أنّ الحاج والحاجة عليهما في كلّ ساعات أيّامهم أن يطوفوا في حرم قلوبهم حول عرش ربّهم مع ملائكة السماء والأرض؟! وأن يذكروا ربّهم ليل ونهار.

قال رسول الله ٦: «وأمر بالحجّ والطواف لإقامة ذكر الله» وليكون كالجندي يعلن عن إطاعة أوامر سيّده ، والطواف رمز لحضور الله في كلّ الجهات والابعاد.

(٨ - في علل الشرايع بسنده عن أحدهما ٨ أنّه سئل عن إبتداء الطواف ، فقال : إن الله تبارك وتعالى لما أراد خلق آدم ٧ قال للملائكة : (إني جاعل في الأرض خليفة) فقال ملكان من الملائكة (أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء) فوَقَعَتِ الْحَجَبُ بَيْنَهُ

وبينهما، علماً أنه قد سخط قولهما فقالا : للملائكة ما حيلتنا وما وجه توبتنا؟ فقالوا: ما نعرف لكما من التوبة إلا أن تلوذا بالعرش قال : فلاذا بالعرش حتى أنزل الله تعالى توبتهما ورفعت الحجب فيما بينه وبينهما وأحبّ الله تبارك وتعالى أن يعبد بتلك العبادة فخلق الله البيت في الارض ، وجعل على العباد الطواف حوله ، وخلق البيت المعمور في السماء يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة[2] .

(٩ - ولما هبط آدم إلى الأرض طاف بالبيت ، فلما كان عند المستجار دنا من البيت فرفع يديه إلى السماء فقال : يا ربّ اغفر لي فنودي يا آدم من جاني من ولدك فباء بذنبه بهذا المكان غفرت له[3] .

(١٠ - وفي تفسير العياشي : عن أبي عبدالله ٧ ان الله أنزل الحجر الأسود من الجنة لأدم ، وكان البيت درّة بيضاء فرفعه الله إلى السماء وبقي أساسه فهو حيال هذا البيت وقال : يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً، فأمر الله إبراهيم وإسماعيل بينيا البيت على القواعد.

(١١ - الكافي بسنده عن أبي عبدالله ٧ قال : سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن أساف ونائلة وعبادة قريش لهما فقال : نعم كانا شابين صبيحين وكان بأحدهما تأنيث - أي مخنث - وكانا يطوفان بالبيت فصادفا من البيت خلوة فأراد أحدهما صاحبه ففعل فسمخهما الله فقالت قريش : لو لا ان الله رضي أن يعبد هذان معه ، ما حولهما عن حالهما.

إساف بالكسر والفتح : صنم لقريش وكذا نائلة وضعهما عمرو بن لحي على الصفا والمروة وكان يذبح عليهما تجاه القبلة ، قيل كانا من جرهم أساف بن عمرو ونائلة بنت سهل ففجروا في الكعبة ، فمسخا حجرين ثمّ عبدهما قريش[4] .

(١٢ - التهذيب بسنده عن أبي عبدالله ٧: ان امرأة كانت تطوف وخلفها رجل فأخرجت ذراعها فنال بيده حتى وضعها على ذراعها، فاثبت الله يده في ذراعها حتى قطع الطواف ، وأرسل إلى الأمير واجتمع الناس وأرسل إلى الفقهاء فجعلوا يقولون إقطع يده فهو الذي جنا الجناية ، فقال ههنا أحد من ولد محمد رسول الله ٦؟ قالوا: نعم ، الحسين بن علي ٨ قدم الليلة ، فأرسل إليه فدعاه فقال : انظر ما لقيا هذان ، فاستقبل القبلة ورفع يديه فمكث طويلاً يدعو، ثم جاء إليهما حتى خلص يده من يدها، فقال الأمير: ألا نعاقبه بما صنع ؟ فقال : لا [5] .

الفتية : وقصده أصحاب الفيل وملكهم أبو يكسوم أبرهة بن الصباح الحميري ليهدمه فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل (ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) وإذا لم يجر هذا على الحجاج بن يوسف الثقفي ، عند هدم بيته بالمنجنيق ما جرى على تبّع وأصحاب الفيل لأن قصد الحجاج لم يكن إلى هدم الكعبة ، إنّما كان قصده إلى ابن الزبير، وكان ضدّاً لصاحب الحق ، فلما إستجار بالكعبة أراد الله أن يبين للناس إنه لم يجره ، فامهل من هدمها عليه [6] .

ولتعميم الفائدة نذكر جملة من الأخبار الواردة في دائرة الطواف

(١٣ - وفي الفروع : عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن حران ؛ وهشام بن سالم ، عن أبي عبدالله ٧ قال : لمّا أقبل صاحب الحبشة بالفيل يريد هدم الكعبة مرّوا بإبل لعبد المطلب فاستأفوها فتوجّه عبدالمطلب إلى صاحبهم يسأله ردّ إبله عليه فاستأذن عليه فأذن له وقيل له : إنّ هذا شريف قريش أو عظيم قريش وهو رجلٌ له عقلٌ ومروّة ، فأكرمه وأدناه ، ثم قال لرجمانه : سلّه ما حاجتك ، فقال له : إنّ أصحابك مرّوا بإبل لي فاستوفوها فأحببت أن تردّها عليّ، قال : فتعجّب من سؤاله إياه ردّ الإبل وقال : هذا الذي زعمتم أنّه عظيم قريش وذكر

تم عقله يدع أن يسألني أن انصرف عن بيته الذي يع بده أما لو سألني أن أنصرف
عن هذه [7] لانصرفت له عنه ، فأخبره الترجمان بمقالة

الملك فقال له عبدالمطلب إن لذلك البيت رباً يمنع وإنما سألتك ردّ إبلي لحاجتي
إليها، فأمر بردّها عليه ومضى عبدالمطلب حتّى لفى الفيل على طرف الحرم ، فقال
له : محمود؛ فحرّك رأسه فقال له : أتدري لما جيء بك ؟ فقال برأسه : لا [8] .

فقال : جاؤوا بك لتهدم بيت ربك أفتفعل ؟ فقال برأسه : لا، قال : فانصرف عنه
عبدالمطلب و جاؤوا بالفيل ليدخل الحرم ، فلمّا انتهى إلى طرف الحرم امتنع من
الدّخول فضربوه فامتنع فأداروا به نواحي الحرم كلّها، كلّ ذلك يمتنع عليهم فلم
يدخل وبعث الله عليهم الطير كالخطاطيف [9] في مناقيرها حجر كالعذسة أو

نحوها فكانت تحاذي برأس الرّجل ، ثم ترسلها على رأسه فتخرج من دبره حتّى لم
يبق منهم أحدٌ إلاّ رجل هرب فجعل يحدث الناس بما رأى إذا طلع عليه طائر منها
فرفع رأسه فقال : هذا الطير منها وجاء الطير حتّى حاذي برأسه ، ثمّ ألقاها عليه
فخرجت من دبره فمات [10] .

() ١٤ - وفي امالي الطوسي : الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي ، عن شيخه ،
عن والده رضي الله عنهما، قال : أخبرنا أبو عبدالله محمد بن محمد، قال : أخبرنا
ابوالحسن علي بن بلال المهلبى ، قال : حدثنا عبدالواحد بن عبدالله بن يونس الربيعي
، قال : حدثنا الحسين بن محمد بن عامر، قال : حدثنا المعلى بن محمد البصري ،
قال : حدثنا محمد بن جمهور القمي ، قال : حدثنا جعفر بن بشير، قال : حدثني
سليمان بن سماعة ، عن عبدالله بن قاسم ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله
جعفر بن محمد، عن أبيه ، عن جده : قال : لما قصد ابرهة ابن الصباح المك
الحيشة لهدم البيت تسرعت الحيشة فأغاروا عليها، فأخذوا سرحا [11] لعبدالمطلب بن
هاشم ، فجاء عبدالمطلب إلى الملك فاستأذن

عليه ، فأذن له وهو في قبة ديباج على سرير له . فسلم عليه فرد أبرهة السلام ، فجعل ينظر في وجهه فراقه[12] حسنه وجماله وهيئته . فقال له : هل كان في آبائك

مثل هذا النور الذي أراه لك والجمال ؟ قال : نعم ايها الملك كل آبائي كان لهم هذا الجمال والنور والبهاء . فقال له ابرهة : لقد فقتم الملوك فخرا وشرفا ويحق لك ان تكون سيد قومك ، ثم اجلسه معه على سريريه وقال لسائس فيله الأعظم - وكان فيلا ابيض عظيم الخلق له نابان مرصعان بأنواع الدرر والجواهر ، وكان الملك يباهي به ملوك الأرض :- انتني به ، فجاء به سائسه وقد زين بكل زينة حسنة ، فحين قابل وجه عبدالمطلب سجد له ولم يكن يسجد لملكه ، واطلق الله لسانه

بالعربية فسلم على عبدالمطلب ، ولما رأى الملك ذلك ارتاع[13] له وظنه سحرا ،

فقال : ردوا الفيل إلى مكانه ، ثم قال لعبدالمطلب فيم جئت فقد بلغني سخاؤك وكرمك وفضلك ، ورأيت من هيبتك وجمالك وجلالك ما يقتضي ان انظر في حاجتك فاسألني ما شئت وهو يرى انه يسأله في الرجوع عن مكة ، فقال له عبدالمطلب : ان اصحابك غدوا على سرح لي فذهبوا به فمرهم برده على .

قال : فتغيط الحبشي من ذلك وقال لعبدالمطلب ، لقد سقطت من عيني جنتني تسألني في سرحك وانا قد جئت لهدم شرفك وشرف قومك ومكرمتكم التي تتميزون بها من كل جيل[14] ، وهو البيت الذي يحج اليه من كل صقع في

الأرض ، فتركت تسألني في ذلك وسألتني في سرحك .

فقال له عبدالمطلب : لست برب البيت الذي قصدت لهدمه وانا رب سرحي الذي أخذه اصحابك ، فجئت أسألك فيما انا ربه وللبيت رب هو امنع له من الخلق كلهم وأولى به منهم .

فقال الملك : ردوا اليه سرحه وانصرف إلى مكة ، واتبعه الملك بالفيل الاعظم مع الجيش لهدم البيت ، فكانوا اذا حملوه على دخول الحرم اناخ واذا تركوه رجع مُهْرَولاً. فقال عبدالمطلب لغلمانه : ادعوا لي ابني . فجيء بالعباس فقال : ليس هذا أريد. ادعوا لي ابني فجيء بأبي طالب فقال : ليس هذا أريد. ادعوا لي ابني ، فجيء بعبدالله أبيالنبي ٩ ، فلما اقبل إليه قال : اذهب يا بني حتى تصعد أباقيس ، ثم اضرب ببصرك ناحية البحر فانظر أي شيء يجيء من هناك وأخبرني به .

فصعد عبدالله أبا قبيس فما لبث ان جاء طير أباييل مثل السيل والليل ، فسقط على ابي قبيس ، لَمَّا صار إلى البيت فطاف به سبعا، ثم صار إلى الصفا والمروة فطاف بهما سبعا، فجاء عبدالله إلى أبيه فأخبره الخبر، فقال : انظر يا بني ما يكون من أمرها بعد فأخبرني به ، فنظرها فاذا هي قد اخذت نحو عسكر الحبشة ، فأخبر عبدالمطلب بذلك ، فخرج عبدالمطلب وهو يقول : يا أهل مكة اخرجوا إلى العسكر فخذوا غنائمكم .

قال : فأتوا العسكر وهم امثال الخشبة النخرة[15] وليس من الطير الا ما معه

ثلاثة احجار في منقاره ورجليه ، يقتل بكل حصة منها واحداً من القوم ، فلما أتوا على جميعهم انصرف الطير ولم ير قبل ذلك ولا بعده ، فلما هلك القوم بأجمعهم جاء عبدالمطلب إلى البيت فتعلق بأستاره وقال :

يا حابس الفيل بذى المغمس حبسته كأنه مكوكس

في مجلس تزهب فيه الانفس

فانصرف وهو يقول في فرار قريش وجزعهم من الحبشة :

طارت قريش اذ رأت خميسا فظلت فردا لا أرى انيسا

ولا احس منهم حسيسا الا اخالي ماجدا نفيسا

مسودا في أهله رئيسا[16]

(١٥ - وفي الفروع : عليّ بن إبراهيم ؛ وغيره بأسانيد مختلفة رفعوه قالوا: إنّما هدمت قريش الكعبة لأنّ السيل كان يأتيهم من أعلا مكة فيدخلها

فانصدعت[17] وسرق من الكعبة غزال من ذهب رجلاه من جوهر وكان حائطها

قصيراً وكان ذلك قبل مبعث النبي ٦ بثلاثين سنة فأرادت قريش أن يهدموا الكعبة وبينوها ويزيدوا في عرصتها، ثم أشفقوا من ذلك وخافوا إن وضعوا فيها المعاول[18] أن تنزل عليهم عقوبة ، فقال الوليد بن المغيرة : دعوني أبداً فإن كان

رضى لم يصبني شيء وإن كان غير ذلك كففنا، فصعد على الكعبة وحرّك منه حجراً فخرجت عليه حيّة وانكسفت الشمس فلما رأوا ذلك بكوا وتضرّعوا وقالوا اللهم إنّنا لا نريد إلاّ الاصلاح ، فغابت عليهم الحيّة فهدموا ونخوا حجارتها حوله حتّى بلغوا القواعد التي وضعها إبراهيم ٧ فلما أرادوا أن يزيدوا في عرصته وحرّكوا القواعد التي وضعها إبراهيم ٧ أصابتهم زلزلة شديدة وظلمة فكفّوا عنه وكان بنيان إبراهيم الطّول ثلاثون ذراعاً والعرض اثنان وعشرون ذراعاً والسّمك[19] تسعة أذرع ، فقالت قريش تزيد في سمكها فبنوها فلما بلغ

البناء إلى موضع الحجر الأسود تشاجرت قريش في وضعه فقالت كلُّ قبيلة : نحن أولى به نحن نضعه فلما كثر بينهم تراصوا بقضاء من يدخل من باب بني شيبه فطلع رسول الله ٦ فقالوا: هذا الأمين قد جاء فحكموه فبسط رداءه وقال بعضهم : كساء طارونى[20] كان له ووضع الحجر فيه ، ثمّ قال : يأتي من كل ربع[21]

من قريش رجل فكانوا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم وقيس بن عدى من بني سهم فرفعوه ووضعوا النبي ٦ في موضعه وقد كان بعث ملك الروم بسفينة فيها سقوف وآلات وخشب وقوم من الفعلة إلى الحبشة لبني له هناك بيعة [22]

فطرحتها الرّيح إلى ساحل الشريعة فبطحت [23] فبلغ قريشاً خبرها فخرجوا إلى

السّاحل فوجدوا ما يصلح للكعبة من خشب وزينة وغير ذلك فابتاعوه وصاروا به إلى مكّة فوافق ذرع [24] ذلك الخشب البناء ما خلا الحجر فلما بنوها كسوها

الوصائد [25] وهي الأردية [26].

(١٦ - وفي الدعائم : عن علي ٧ أنه قال : أوحى الله إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض أعبد فيه ، فضاق به ذرعاً [27] ، فبعث الله إليه السكينة وهي

ربح لها رأسان ، يتبع أحدهما صاحبه ، فدارت على أسّ البيت الذي بنته الملائكة فوضع إبراهيم البناء على كلّ شيء استقرت عليه السكينة ، وكان إبراهيم ٧ يبني واسماعيل يناوله الحجر ، ويرفع إليه القواعد ، فلما صار إلى مكان الركن الأسود ، قال إبراهيم لإسماعيل : أعطني الحجر [28] لهذا الموضع ، فلم يجده وتلگأ [29] فقال :

أذهب فاطلبه ، فذهب ليأتيه به ، فأتاه جبرائيل ٧ بالحجر الأسود، فجاء اسماعيل ٧ وقد وضعه إبراهيم موضعه ، فقال : من جاءك بهذا؟ فقال : من لم يتكلم على بنائك ، فمكث البيت حيناً فانهدم فبنته العمالقة ، ثم مكث حيناً فانهدم ، فبنته «جُرْهُمُ» ثم انهدم ، فبنته قريش ورسول الله يومئذ غلام ، وقد نشأ على الطهارة واخلق الأنبياء، وكانوا يدعونه الأمين ، فلما انتهوا [30] إلى موضع

الحجر أن يحكّموا في ذلك أول من يطلع عليهم ، فكان ذلك رسول الله ٦ إزاره [31] ووضع الحجر فيه ، وقال : يأخذ من كلّ بطنٍ من قريش رجل بحاشية الإزار وازفَعُوهُ معاً، فأعجبهم ما حكم به ، وأرضاهم وفعّلوا، حتى إذا صار إلى موضعه وَضَعَهُ فِيهِ رسول الله ٦ [32] .

(١٧ - وفي الفروع : عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد عن ابن أبي عمير، عن أبي عليّ صاحب الأنماط ، عن ابان بن تغلب قال : لما هدم الحجاج الكعبة فرّق الناس ترابها فلما صاروا إلى بنائها فأرادوا أن يبنيها خرجت عليهم حيّة فمنعت الناس البناء حتى هربوا فاتوا الحجاج فأخبروه فخاف أن يكون قد منع بناءها فصعد المنبر، ثم نشد الناس وقال : أنشد الله عبداً [33] عنده ممّا ابتلينا به

علم لنا أخبرنا به ، قال : فقام إليه شيخ فقال : إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها، ثم مضى فقال الحجاج : من هو؟ قال : عليّ بن الحسين ٨ فقال : معدن ذلك فبعث إلى عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما فأتاه فأخبره ما كان من منع الله إياه البناء، فقال له عليّ بن الحسين ٨ : يا حجاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وانتهبتك كأنك ترى أنّه تراث لك اصعد المنبر وأنشد الناس أن لا يبقى أحدٌ منهم أخذ منه شيئاً إلا ردّه ، قال : ففعل فأنشد الناس أن لا يبقى منهم أحدٌ عنده شيء إلا ردّه قال : فردّوه فلما رأى جمع التراب أنى علي بن الحسين صلوات الله عليهما فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا قال : فتغيّبت عنهم الحيّة وحفروا حتّى انتهوا إلى موضع القواعد، قال لهم عليّ بن الحسين ٨ :

تتحوّوا ففتحوا فدنا منها فغطّاهما بثوبه ، ثمّ بكى ، ثم غطّاهما بالتراب بيد نفسه ، ثم دعا الفعلة فقال : ضعوا بناءكم ، فوضعوا البناء فلمّا ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلّب فألقى في جوفه فلذلك صار البيت مرتفعاً يعصد إليه بالدرج [34] .

(١٨ - وفي الفروع : عن سعيد بن جناح ، عن عدّة من أصحابنا، عن أبي عبدالله ٧ قال : كانت الكعبة على عهد إبراهيم ٧ تسعة أذرع وكان لها بابان فبناها عبدالله بن الزبير فرفعها ثمانية عشر ذراعاً فهدمها الحجاج فبناها سبعة وعشرين ذراعاً [35] .

(١٩ - وفي الفروع : روي عن ابن أبي نصر، عن أبان بن عثمان ، عن أبي عبدالله ٧ قال : كان طول الكعبة يومئذ تسعة أذرع ولم يكن لها سقف فسقّفها قريش ثمانية عشر ذراعاً فلم تزل ، ثمّ كسرّها الحجاج على ابن الزبير فبناها وجعلها سبعة وعشرين ذراعاً [36] .

(٢٠ - وفي الفقيه : روي أن الحجاج لما فرغ من بناء الكعبة سأل علي بن الحسين ٨ أن يضع الحجر في موضعه فأخذه ووضع في موضعه [37] .

(٢١ - وفي الفقيه : روي أنه كان بنيان إبراهيم ٧ الطول ثلاثين ذراعاً والعرض اثنين وعشرين ذراعاً وللسمك تسعة أذرع وإن قريشاً لما بنوها كسوها الأردية [38] .

(٢٢ - وفي المستدرک : سعيد بن هبة الله الراوندي في كتاب الخرائج روى ان الحجاج بن يوسف لما خرب الكعبة بسبب مقاتلة عبدالله بن الزبير، ثم عمروها فلما

اعيد البيت وارادوا ان ينصبوا الحجر الأسود فكلما نصبه عالم من علمائهم أو قاض من قضااتهم أو زاهد من زهادهم يتزلزل ويضطرب ولا يستقر الحجر في مكانه فجاءه علي بن الحسين ٨ واخذه من ايديهم وسمى الله ونصبه فاستقر في مكانه وكبر الناس ولقد ألهم الفرزدق في قوله :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم[39]

(٢٣ - وفي الأصول : عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة بن مهران قال : سألته عن الايمان والاسلام قلت له : أفرق بين الإسلام والإيمان ؟ قال : فأضرب لك مثله قال : قلت : أورد ذلك ، قال : مثل الإيمان والإسلام مثل الكعبة الحرام من الحرم قد يكون في الحرم ولا يكون في الكعبة ولا يكون في الكعبة حتّى يكون في الحرم وقد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً ولا يكون مؤمناً حتّى يكون مسلماً، قال : قلت : فيخرج من الإيمان شيء؟ قال : نعم ، قلت : فيصيرّه إلى ماذا؟ قال : إلى الإسلام أو الكفر. وقال : لو أنّ رجلاً دخل الكعبة فأقلت منه بوله أخرج من الكعبة ولم يخرج من الحرم فغسل ثوبه وتطهّر، ثمّ لم يمنع أن يدخل الكعبة ولو أنّ رجلاً دخل الكعبة فبال فيها معانداً أخرج من الكعبة ومن الحرم وضربت عنقه[40] .

(٢٤ - وفي تفسير القمي : فحدثني أبي ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن الرضا ٧، قال : قال أمير المؤمنين ٧: ان رسول الله ٦ امرني عن الله ان لا يطوف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد هذا العام وقرأ عليهم (براءة من الله ورسوله إلى الذي نئن عاهدتكم من المشركي نئن (١)

فسي نئخوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافري نئن (41) فأحل الله المشركين الذين حجّوا تلك السنة أربعة أشهر حتى

يرجعوا إلى مأمَنهم ، ثم يقتلون حيث وجدوا[42] .

(٢٥ - وفي تفسير العياشي: عن حكيم بن الحسين، عن عليّ بن الحسين ٧، قال : والله ان لعليّ لاسماء في القرآن ما يعرفه الناس ، قال : قلت : وأيّ شيء تقول

جعلت فداك ؟ فقال لي : (وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ...) [43]

قال : فبعث رسول الله ٦ أمير المؤمنين وكان عليّ هو والله المؤذن ، فأذن بأذن الله ورسوله يوم الحجّ الاكبر من المواقف كلّها؛ فكان ما نادى به أن لا يطوف بعد هذا العام عريان ولا يقرب المسجد الحرام بعد هذا العام مشرك[44] .

(٢٦ - وفي المستدرک : محمد بن إبراهيم النعماني في كتاب الغيبة ، عن محمد بن همام ؛ ومحمد بن الحسن ، عن محمد بن جمهور ، عن احمد بن هلال ، عن محمد بن أبي عمير ، عن سعيد بن غزوان ، عن أبي عبدالله ٧، قال : قال رسول الله ٦: ان الله عزوجل اختار من كل شيء شيئاً اختار من الارض مكة واختار من مكة المسجد واختار من المسجد الموضع الذي فيه الكعبة .. [45] .

(٢٧ - وفي تفسير العياشي : عن جابر الجعفي ، عن ابي جعفر ، عن آبائه : قال : إن الله اختار من الارض جميعاً مكة واختار من مكة بكة[46] فانزل

في بكة سرادقاً[47] محفوفاً بالدر والياقوت ، ثم انزل في وسط السرادق عُمداً

أربعة وجعل بين العُمُد الاربعة لؤلؤة بيضاء وكان طولها سبعة اذرع في ترابيع البيت وجعل فيها نوراً من نور السرادق بمنزلة القناديل[48] وكانت العُمُد اصلها في

الثرى[49] والرؤوس تحت العرش وكان الربع الأول من زمرد أخضر والربع الثاني

من ياقوت أحمر والربع الثالث من لؤلؤ أبيض والربع الرابع من نور
ساطع[50] وكان

البيت ينزل فيما بينهم مرتفعاً من الأرض وكان نور القناديل يبلغ إلى موضع الحرم .
وكان اكبر القناديل مقام ابراهيم ٧ فكانت القناديل ثلاثمائة وستين قنديلا فالركن
الاسود باب الرحمة إلى الركن الشامي فهو باب الانابة ، وباب الركن الشامي باب
التوسل ، وباب الركن اليماني باب التوبة وهو باب آل محمد : وشيعتهم إلى الحجر ،
فهذا البيت حجة الله في أرضه على خلقه .

فلما هبط آدم إلى الأرض هبط إلى الصفا ولذلك اشتق الله له اسماً من اسم آدم لقول
الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ...) [51] ونزلت حواء على المروة فاشتق الله

له اسماً من اسم المرأة وكان آدم نزل بمرأة من الجنة فلما لم يخلق آدم المرأة إلى
جنب المقام وكان يركن اليه سأل ربه ان يهبط البيت إلى الأرض فاهبط فصار على
وجه الأرض فكان آدم ٧ يركن اليه .

وكان ارتفاعها من الأرض سبعة أذرع وكانت له اربعة ابواب وكان عرضها خمسة
وعشرين ذراعاً في خمسة وعشرين ذراعاً ترابيعه ، وكانت السرادق مائتي ذراع
في مائتي ذراع[52] .

(٢٨ - وفي المستدرک : الشيخ ابو الفتوح الرازي في تفسيره عن وهب بن منبه أنه
قال : مكتوب في التوراة ان الله تعالى يبعث يوم القيامة سبعمائة الف ملك ومعهم
سلاسل من الذهب ليأتون بالكعبة إلى عرصات القيامة فيأتون بها بسلاسل الذهب إلى

موقف القيامة فيقول لها ملك : يا كعبة الله سيرى فنقول : لا اذهب حتى تقضي حاجتي فيقول : ما حاجتك ؟ فنقول : تقبل شفاعتي في الذين دفنوا في اطرافي فيقول الله تعالى : قضيت حاجتك .

فبيعت الاموات من قبورهم وجوههم بيض وعليهم الاحرام فيحتوشون الكعبة[53] وينادون لبيك إلى ان قال فيقول : يا كعبة الله سيرى فنقول : لا اذهب

حتى يقضي حاجتي فيقول : ما حاجتك سلي حتى تعطي ؟ فنقول : الهي عبادالله العصاة أتوا إلي من كل فج عميق شعناً[54] غبراء و[55] خلفوا اهلهم واولادهم

وبيوتهم وودعوا أحبارهم وأصحابهم لزيارتي واداء المناسك كما أمرت ، الهي فاشفع لي لتأمنهم من الفزع الأكبر فأقبل شفاعتي واجعلهم في كفي . فينادي ملك : ان فيهم أصحاب الكبائر والمصرين على الذنوب المستحقين للنار فنقول الكعبة : انا أشفع في أهل الكبائر ، فيقول الله تعالى : قبلت شفاعتك وقضيت حاجتك فينادي ملك : ألا من كان اهل الكعبة فليخرج من بين الجمع فيخرج جميع الحاج من بينهم ويحتوشون الكعبة بيض الوجوه آمنون من الجحيم يطوفون حول الكعبة وينادون لبيك ، فينادي ملك يا كعبة الله سيرى فتسير الكعبة وتنادي «لبيك اللهم لبيك ، لبيك ان الحمد والملك والنعمة لك لبيك » وأهلها يتبعونها[56] .

() ٢٩ - وفي الفقيه : روى أبوبصير عن أبي عبدالله ٧ قال : إن آدم ٧ هو الذي بنى البيت ووضع أساسه وأول من كساه «الشعر» وأول من حج اليه ، ثم كساه «تبع» بعد آدم ٧ «الانطاع»[57] ثم كساه ابراهيم ٧ «الخصف»[58] وأول

من كساه الثياب سليمان بن داوود ٨ كساه «القباطي» .

(٣٠ - وفي الفروع : علي بن ابراهيم ، عن أبيه ؛ ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن ابان ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر ٧ قال : لم يزل بنو اسماعيل ولاية البيت [٥٩] يقيمون للناس حجهم وأمر دينهم يتوارثونه كابر عن كابر حتى كان زمن عدنان بن أدد ، فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وأفسدوا وأحدثوا في دينهم وأخرج بعضهم بعضاً ، فمنهم من خرج في طلب المعيشة ومنهم من خرج كراهية القتال وفي أيديهم أشياء كثيرة من الحنيفية من تحريم الامهات والبنات وما حرم الله في النكاح الا انهم كانوا يستحلون امرأة الأب وابنة الأخت والجمع بين الأختين ، وكان في أيديهم الحج والتلبية والغسل من الجنابة الا ما أحدثوا في تلبيتهم وفي حجهم من الشرك وكان فيما بين اسماعيل وعدنان بن أدد موسى ٧ [59] .

(٣١ - وفي الفروع : روى أن معد بن عدنان خاف أن يدرس الحرم فوضع أنصابه وكان أول من وضعها ، ثم غلبت «جرهم» [60] على ولاية البيت

فكان يلي منهم كابر عن كابر حتى بغت «جرهم» بمكة واستحلوا حرمتها واكلوا مال الكعبة وظلموا من دخل مكة وعتوا وبغوا وكانت مكة في الجاهلية لا يظلم ولا يبغى فيها ولا يستحل حرمتها ملك الا هلك مكانه ، وكانت تسمى «بِكَّة» لانها تبت أعنان الباغين اذا بغوا فيها ، وتسمى «بساسة» [61] كانوا اذا ظلموا فيها

بستهم وأهلكتهم وتسمى «أم رحم» [62] كانوا اذا لزموها رحموا فلما بغت

«جرهم» واستحلوا فيها بعث الله عزوجلّ عليهم الزعاف [63] والنمل [64] وأفناهم

فغلبت «خزاعة» واجتمعت ليجلوا من بقي من «جرهم» عن الحرم ، ورئيس خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ورئيس جرهم عمرو بن الحارث بن مصاص الجرهمي فهزمت «خزاعة» جرهم وخرج من بقي من جرهم إلى أرض من أرض جهينة ، فجاءهم سيل أتى [65] فذهب بهم ، ووليت خزاعة البيت فلم يزل في أيديهم حتى جاء قصي ابن كلاب وأخرج خزاعة من الحرم وولى البيت وغلب عليه [66] .

(٣٢ - وفي تفسير العياشي : عن عبدالصمد بن سعد قال : طلب أبو جعفر ان يشتري من اهل مكة بيوتهم أن يزيده في المسجد فأبوا فأرغبهم فامتنعوا

فضاق بذلك ، فاني أبا عبد الله ٧ فقال له : اني سألت هؤلاء شيئاً من منازلهم وأفنيتهم [67] لنزيد في المسجد وقد منعوني ذلك فقد غمّني غمّاً شديداً فقال

أبو عبد الله ٧: أيغمك ذلك وججتك عليهم فيه ظاهرة؟! فقال : وبما احتج عليهم ؟ فقال : بكتاب الله، فقال : في أي موضع ؟ فقال : قول الله: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًىً لِلْعَالَمِينَ إِنَّ) [68] قد أخبرك الله ان اول بيت وضع

للناس هو الذي ببكة فان كانوا هم تولا قبل البيت فلهم افنيتهم ، وان كان البيت قديماً قبلهم فله فناؤه : فدعاهم ابو جعفر فاحتج عليهم بهذا فقالوا له : اصنع ما أحببت [69] .

(٣٣ - وفي تفسير العياشي : عن الحسن بن علي بن النعمان قال : لما بني المهدي في المسجد الحرام بقيت دار في تربيعة المسجد فطلبها من أربابها فامتنعوا، فسأل عن ذلك الفقهاء فكل قال له : انه لا ينبغي ان يدخل شيئاً في المسجد الحرام غصباً، فقال له علي بن يقطين : يا أمير المؤمنين لو (اني خ ل) كتبت إلى موسى بن جعفر ٧

لأخبرك بوجه الأمر في ذلك ، فكتب إلى وإلى المدينة ان يسأل موسى بن جعفر عن دار أردنا ان ندخلها في المسجد الحرام فامتنع علينا صاحبها فكيف المخرج من ذلك ؟ فقال : ذلك لأبي الحسن ٧ فقال أبو الحسن ٧: ولا بد من الجواب في هذا؟ فقال له : الأمر لابدّ منه ، فقال له : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ان كانت الكعبة هي النازلة بالناس بالناس فالناس أولى

بفنائها، وان كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها فلما أتى الكتاب إلى المهدي اخذ الكتاب فقبله ، ثم أمر بهدم الدار فأتى اهل الدار أبا الحسن ٧ فسألوه ان يكتب لهم إلى المهدي كتاباً في ثمن دار هم فكتب اليه ان أَرْضِخْ لَهُمْ [70] شيئاً فأرضاهم [71].

(٣٤ - وفي الفقيه : قال الصادق ٧: أساس البيت من الأرض السابعة السفلى إلى الأرض السابعة العليا [72].

(٣٥ - وفي تفسير الميزان : عن ابن شهر آشوب ، عن أمير المؤمنين ٧ في قوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ...) [73] فقال له رجل : أهو أول بيت ؟

قال : لا قد كان قبله بيوت ، ولكنه أول بيت وضع للناس مباركاً: فيه الهدى والرحمة والبركة ، وأول من بناه ابراهيم ، ثم بناه قوم من العرب من جرهم ، ثم هدم فبنته العمالقة ، ثم هدم فبناه قريش [74].

(٣٦ - وفي تفسير الميزان : نقلاً عن الدرّ المنثور، اخرج ابن المنذر : وابن ابي حاتم من طريق الشعبي عن علي بن ابي طالب ٧ في قوله : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) [75] قال : كانت البيوت قبله ولكنه كان اول بيت وضع لعبادة الله [76].

(٣٧ - وفي تفسير القمي : قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِي نَنَّا كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِي اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيٍّ) [77] قال : نزلت في قريش حين صدوا رسول الله ٦ عن مكة وقوله : (...سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ...) [78] قال أهل مكة ومن جاء اليهم من البلدان فهم فيه سواء لا يمنع النزول ودخول الحرم [79].

(٣٨ - وفي الفروع : عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم ، عن الحسين بن أبي العلاء قال : قال أبو عبدالله ٧ : ان معاوية اول من علق على باب مصر اعين بمكة فممنع حاج بيت الله ما قال الله عزوجل : (...سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ...) [80] وكان الناس اذا قدموا مكة نزل البادي على الحاضر حتى يقضي حجه وكان معاوية صاحب السلسلة التي قال الله تعالى : (فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ) [81] وكان فرعون هذه الأمة [82].

(٣٩ - وفي العلل : أبي ٢ قال : حدثنا سعد بن عبدالله، عن احمد؛ وعبدالله ابني محمد بن عيسى ، عن محمد بن ابي عمير، عن حماد بن عثمان الناب ، عن عبيدالله

بن علي الحلبي ، عن أبي عبدالله ٧ قال : سألته عن قول الله تعالى : (...سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيئِهِ وَالْبَادِ...) [83] فقال : لم يكن ينبغي ان يصنع علي دور

مكة أبواب لان للحجاج ان ينزلوا معهم في دورهم في ساحة الدار حتى يقضوا مناسكهم وان اول من جعل لدور مكة أبواباً معاوية [84] .

(٤٠ - وفي قرب الاسناد: الحسن بن ظريف ، عن الحسين بن علوان ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن علي : ان رسول الله ٦ نهى أهل مكة ان يواجروا دورهم وان يغلقوا عليها أبواباً وقال : (...سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيئِهِ وَالْبَادِ...) [85] قال : وفعل ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ٧ حتى كان في زمن معاوية [86] .

(٤١ - وفي الفروع : علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن محبوب ، عن ابن سنان قال : سألت أبا عبدالله ٧ عن قول الله عزوجل : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيئِهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ...) [87] ما هذه الآيات البيئات ؟ قال : مقام ابراهيم ، حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه ، والحجر الأسود، ومنزل اسماعيل ٧ [88] .

(٤٢ - الطواف يعني الانقطاع إلى المحبوب وهو الله سبحانه وتعالى ، فإنه أحقّ بالحبّ لبقاءه وسعة رحمته وصمديته وغيره كان من الآفلين ، واني لا أحبّ الآفلين فالطواف حول المحبوب من أحبه أكبر آية لاطهار الحق والعشق

والشوق ، وأنه كالفراش تحوم حول الشمع لتحترق بنور المحبوب ونار حبه .

(٤٣ - الطواف علاقة الخوف والرجاء، وهما نوران في قلب المؤمن ، لو وزن هذا على هذا لم يزد أحدهما على الآخر، فان العبد يخاف ذنبه (وإذا نظرت إلى ذنوبي آيست) ويرجو ربه (وإذا نظرت إلى رحمة الله رجوت) فخيره إليّ نازل وشرّي إليه صاعد، فالطائف في طواف بين خوف عن ماضيه ومن ذنوبه وبين رجاء وأمل بمستقبله ورحمة ربه ، ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب .

(٤٤ - الطواف مع الجميع ومن دون الجميع ، كما ورد في الخبر الشريف : كن مع الناس ولا تكن معهم ، فيكون الطائف بجسده مع الناس يطوف حول البيت سبعة أشواط يذكر الله كثيراً مع الذاكرين والطائفين ، إلا أنه بروحه قد تعلّق بالملا الأعلى وانقطع إليه كما الانقطاع ، يدعو ربه خالصاً (البيت بيتك والحرم حرمك والعبد عبدك وأنا ضيفك في بيتك) ولكلّ ضيف قرىّ فاجعل قراري جوارك مع أحبّاءك وأوليائك ، ممّن أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين .

(٤٥ - الطواف نقطة وصال الموحدين على مدى التاريخ الانساني من آدم إلى يوم القيامة ، فان الموحّدين في الأرض يطوفون حول بيت الله الحرام ، فالطائف يستشعر هذا المعنى العالمي والانسان في وجوده عند طوافه فيشهد في حضوره حضور الأنبياء والأوصياء والأولياء وملائكة الأرض والسماء.

قال الامام الصادق ٧: «جعلته محل أنبيائه ، وقبلة للمصلّين إليه ، فهو شعبة من رضوانه» [89] .

(٤٦ - الطواف محل الإختبار والإبتلاء الالهي ، فان الكعبة ليست إلا أحجار يطوف حوله بازدحام وتعبد ونصب ليختبر الأولين والآخرين بتسليمهم لله سبحانه والرضا بقضائه وأحكامه (هذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه .

(٤٧ - الطواف رمز وحدة المسلمين : فأنه بكلّ أطيافهم وعرقيّاتهم وهويّاتهم الشخصية الدولية والاقليميّة يطوفون حول البيت بشعار الموحدين من التلبية وذكر

الله سبحانه . فالطائف في طوافه لا يحسّ بالغرابة والوحدة والعزلة ، بل في سيل بشرى عارم بجهة واحدة ومقصود واحد، وهذا ما يوجب القاء الرّعب في قلوب أعداء الاسلام .

(٤٨ - الطواف يعني رعاية الحدود الالهية والتمرين عليها، فلا يستصغر العبد حكم ربه (وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ * ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ) [90] .

(٤٩ - في عصرنا هذا براءة من المشركين ومن الشيطان الأكبر في بيته الأبيض فأطوف حول بيت الله الأسود بنوايا بيضاء، وأرمي البيت الأبيض الامريكي بأحجار سوداء، فله بيت في الأرض الكعبة المشرفة ، وللشيطان بيض في الأرض القصر الأبيض والقصر الأحمر، والأمم والشعوب والجماهير في طوافين حول البيتين ، والله هدى السبيل لكلّ الأجيال إلى يوم القيامة ، فامّا أن يكون المرء شاكرًا لنعم الله سبحانه وإمّا كفورًا وكافرًا، وإلى الله المصير.

(٥٠ - إن القرآن الكريم يُلفت أنظار الناس إلى آيات الله تعالى في هذا الكون الرحب الواسع فيريهم الآيات الافاقية والانفسية ليستدلّوا بها على اثبات الخالق والصانع ووحدانيته وعلى رحمته الواسعة ، وليزدادوا إيماناً ويقيناً أنّ هذا الكون من تدبير عزيز حكيم قادر عليم حيّ قيوم ، وإن كلّ ذرّة فيه يسير وفق نظام بديع ينسجم مع بقية ذرّات الكون في السماوات والأرضين وما بينهما.

قال سبحانه وتعالى : (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ) [91] .

فكلّ الخلق مسخّر بتقدير الله وتدبيره ، وكلّ يؤدّي دوره في الوجود وفق نظام دقيق ، وإنّ الانسان أشرف المخلوقات قد أعطاه الله الارادة والاختيار والحريّة في دائرة محدّدة في طول ارادته سبحانه ، وأعطاه مع ذلك التشريعات التي جاء بها الأنبياء

بوحى من السماء كي تنسجم الارادة التشريعية مع الارادة التكوينية في ارادة واحدة ، وفي خط واحد وفي نظام منسجم واحد، يصير إلى الكمال المطلق ومطلق الكمال وهو الله سبحانه ، فاليه تصير الأمور ، فلا تفاوت ولا إختلاف في خلق الله ولا في سننه التكاملية، فما من شيء إلا ويسبح بحمد ربه .

ومن عجائب خلقة الانسان كما أخبرنا علماء الأجنّة : أن كلّ قذفة من مني الرجل تنزل في الرحم تحتوي على عدد من الحيامن الذكورية يتراوح ما بين ٢٠٠ مليون إلى ٤٠٠ مليون حيمن ، وإذا قلّ عدد الحيامن يكون هناك قصر في الانجاب ، وهذا الجيش المليونى من شباب الحيامن يسلك طريقه بكل شوق في قناة فالوب متجهاً نحو المعشوقة (البويضة الانثوية) وهي هدفه في مسيرته في تلك الظلمات .

الا إن هذا العدد الهائل من الحيامن كلّها تموت في الطريق والسير والسلوك باستثناء ما يقارب خمسمائة حيمن ، فانها تنجو عن الموت وتصل إلى جدار البويضة وتحيط بها كالاكليل .

ومن المعلوم ان حيماً واحداً فقط هو الذي يفوز ويفتح له جدار الرحم ، أما بقية الحيامن فتموت أيضاً، ولا يفتح لها الجدار، وتبقى حركة البويضة السابحة في فضاء الرحم وهي قوة الحركة غير مقيدة داخل الرحم بأيّ تعلق ، وأما الحيامن التي يتراوح عددها الخمسمائة حين تصل إلى البويضة وتحيط بها كالاكليل ، تبدء تتحرّك بحركة دائرية ، تتجه فيها من الغرب إلى الشرق عكس عقارب الساعة ، وهذه الحركة مصوّرة وممكن رؤيتها بوضوح ، وإنها لآية عظيمة من آيات الله تبارك وتعالى لأنّها تنتظم في حركات الكون ووحدة حركته ، وهذه الحركة ثابتة ومحددة الاتجاه في كلّ الأرحام ، ولم تقتصر على رحم دون رحم .

فالحركة هذه تعني الحركة من الموت إلى الحياة ، ومن العدم إلى الوجود، ومما سوى الله إلى الله سبحانه .

ومن الملفت للنظر ان الالكترونات لها دورتان ، دورة حول نفسها، ودورة حول نواة الذرة ، وهي تنتج بهاتين الدورتين الطاقة الكهربائية والجاذبية ، وهي بمنزلة الحياة ،

وهي تدور بنفس الاتجاه أيضاً، أي عكس عقارب الساعة حول النواة المكوّنة من البروتونات والنترونات .

كما أن الأرض تدور حول نفسها في حركة وضعية بنفس الاتجاه من المغرب إلى الشرق ، وكذلك في حركتها الانتقاليّة وفي دورتها حول الشمس فإنها أيضاً تدور عكس عقارب الساعة .

وكذلك الكلام في دورة الشمس حول نفسها وضمن دائرة مجرّة درب التبانة ، وكذلك الكواكب في المجموعة الشمسيّة ، فإنّها تدور حول الشمس عكس عقارب الساعة .

الكلّ يدور باتجاه واحد، وهذه الدورات كلّها دورات تكوينيّة مسخّرة لبارئها وخالقها وصانعها سبحانه وتعالى ، إلا ان هناك دورة تشريعيّة حول الكعبة المعظمة قبله المسلمين ، وهي بنفس الإتجاه حيث إن حركة الطائف حول الكعبة أيضاً عكس عقارب الساعة .

فاتفقت الحركة التشريعيّة في الأرض مع الحركة التكوينيّة في الكون كلّ ، فإنك تجد الطائفين حول الكعبة كلّهم ينتظمون بحركة واحدة ، وباتجاه واحد ينسجم مع تلك الحركات في الكون من الذرّة إلى المجرة ، ومن حركة البويضة السابحة في فضاء الرحم ، إلى حركة الطائف حول الكعبة .

وكأنّ الله سبحانه وتعالى يريد من عباده أن ينسجموا مع حركة الكون والتكوين ، وأن تكون حركة المخلوقات في الحركات التكوينيّة والتشريعيّة باتجاه واحد، لأنّها جميعاً تدلّ وبكلّ وضوح على محرّك واحد وربّ واحد، ومصدرها إله واحد لا إله غيره .

فسبحان الله الذي دلّ على ذاته بذاته ، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته ، وسبحان الله الذي لا تفاوت في خلقه ، ولا إختلاف في وحدة هدفهم وسبحهم وتسبيحهم للواحد الأحد الفرد الصمد .

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ) [92] .

- [١] () الزمر: ٧٥.
- [٢] () العطل : : ٤٠٢ ٢.
- [٣] () تفسير العياشي : : ٣١ ١.
- [٤] () الوافي : : ٥٩ ٢ كتاب الحجّ .
- [٥] () التهذيب : : ٤٧ ٥.
- [٦] () الفقيه : : ١٦٢ ٢.
- [٧] () هَدَّ وَهَدَّاً وَهُدُوداً الْبِنَاءُ: هدمه شديداً وكسره بشدة صوت .
- [٨] () أي أشار برأسه .
- [٩] () الخَطَّافُ : طائر يشبه السنونو من فصيلة السنونيات ، طويل الجناحين ، قصير الرجلين ، أسود اللون ويسمى بالخطَّاف وجمعه خطاطيف .
- [١٠] () الفروع : ج: ٤ ص ٢١٦.
- [١١] () السرح - جمعه سُروح -: الماشية .
- [١٢] () راقَهُ الشيء رَوْقاً: أعجبه وسرّه .
- [١٣] () راعه الأمر: أعجبه .
- [١٤] () الجيل - جمعه آجيل وجَيْلان -: الصنف من الناس .
- [١٥] () نَخِرَ العود أو العظم ونحوه : بلى وتفكّنت . الناخر (فاعل) وجمعه نُخْر: البالي والمفتت .
- [١٦] () امالي الطوسي : ج: ١ ص ٧٨ - ٨٠؛ الأمالي للمفيد: ص ٣١٢ - ٣١٥.
- [١٧] () انصدع الشيء: إنشق .
- [١٨] () المَعُول - جمعه معاول -: أداة لحفر الأرض .
- [١٩] () الرَّوْع : الفَرْع . الرَّوْع : العقل والقلب ، مجمع البحرين : ج: ٤ ص ٣٤٠.
- [٢٠] () الطرن : الخزّ. والطاروني ضرب منه .
- [٢١] () الرِّيع : الدار، ما حول الدار، المحلة ، المنزل ، جماعة من الناس .
- [٢٢] () البيعة - جمعها بَيْعٌ وبَيْعَاتٌ وبَيْعَاتٌ -: المعبد للنصارى واليهود.
- [٢٣] () بطحه وبتحاً: بسطة . تَبَطَّحَ وانبطح الوادي : انبسط ، استوسع .

- [٢٤] () ذرعه كذا: طوله كذا ذرع .
- [٢٥] () وصدّ الثوب : نسجه .
- [٢٦] () الفروع : ج: ٤ ص ٢١٨ .
- [٢٧] () ضاق به ذرعاً: شقّ عليه .
- [٢٨] () وفي بعض النسخ : «حجراً» .
- [٢٩] () تلكاً وتلگوا عن الأمر: ابطأ وتوقف .
- [٣٠] () انتهى الشيء: بلغ نهايته . وانتهى بفلان إلى موضع كذا: بلغ .
- [٣١] () الإزار - جمعه ازره وأزرّ -: كل ما سترت .
- [٣٢] () دعائم الاسلام : ج: ١ ص ٢٩٣ .
- [٣٣] () في بعض النسخ : «رحم الله عبداً» .
- [٣٤] () الفروع : ج: ٤ ص ٢٢٢؛ العلل : ج: ٢ ص ٤٤٩ .
- [٣٥] () الفروع : ج: ٤ ص ٢٠٧ .
- [٣٦] () نفس المصدر. الفقيه : ج: ٢ ص ١٦٠ .
- [٣٧] () الفقيه : ج: ٢ ص ١٦١ .
- [٣٨] () نفس المصدر .
- [٣٩] () المستدرک : ج: ٢ ص ١٣٨ .
- [٤٠] () الأصول : ج: ٢ ص ٢٨ .
- [٤١] () التوبة : ١ - ٢ .
- [٤٢] () تفسير القمي : ص ٢٥٨ .
- [٤٣] () التوبة : ٣ .
- [٤٤] () تفسير العياشي : ج: ٢ ص ٧٦ .
- [٤٥] () المستدرک : ج: ٢ ص ١٤٢ .
- [٤٦] () راجع الهامش : ١ ص ٢٣ .
- [٤٧] () السرادق : الفسطاط الذي يمدّ فوق صحن البيت ، الخيمة .
- [٤٨] () القنديل - جمعه قناديل -: المصباح (لا تينية) .

- [٤٩] () الثرى : التراب النَّدي .
- [٥٠] () سطح النور: ارتفع وانتشر.
- [٥١] () آل عمران : ٣٣ .
- [٥٢] () تفسير العياشي : ج: ١ ص ٤٠ .
- [٥٣] () إحتوش القوم الرجل وعليه : احد قوا به وجعلوه في وسطهم .
- [٥٤] () راجع الهامش : ٩ ص ٣٤ .
- [٥٥] () راجع الهامش : ١٠ ص ٣٤ .
- [٥٦] () المستدرک : ج: ٢ ص ٨ .
- [٥٧] () راجع الهامش : ٤ ص ٥٥ .
- [٥٨] () الخَصْفَةُ : جمعها خَصَفَ وخَصَاف :- الفُفَّةُ تعمل من الخوص للثمر ونحوه . الثوب الغليظ .
- [٥٩] () الفقيه : ج: ٢ ص ١٥٢ .
- [٦٠] () جُرْهُمُ : قبيلة عربية قديمة . قيل انها جاءت من اليمن وأقامت في مكة وهلكت كما هلك أهل عادوثمود .
- [٦١] () البُسُ : الحطم ومنه سميت مكة الباسية لأنها تحطم من اخطأ فيها وتسمى البَسَّاسَة لأنهم كانوا اذا ظلموا بَسُّهُمْ أي أهلكتهم . وروي بالنون من النَّس وهو الطرد . مجمع البحرين : ج: ٤ ص ٥٣ .
- [٦٢] () الرَّحْمُ : الرَّحْمَة ومن أسماء مكة أم رُحْم أي أصل الرحمة .
- [٦٣] () الزَّعَافُ : القتل السريع والموت السريع . الوافي : ج: ٢ كتاب الحج : ص ٢٩ .
- [٦٤] () النمل : بثور صغار مع ورم يسير، ثم يتقرح فينسعي ويتسع وبسميها الأطباء الذباب ليجلوا منالأجلاء . نفس المصدر .
- [٦٥] () سيل أتى على وزن فعيل : اذا جاءك ولم يصبك مطره . والسيل الآتي ايضاً: الغريب . نفس المصدر .
- [٦٦] () الفروع : ج: ٤ ص ٢١١ .
- [٦٧] () الفناه - جمعه أفنيّة وفني :- الساحة أمام البيت .
- [٦٨] () آل عمران : ٩٦ .
- [٦٩] () تفسير العياشي : ج: ١ ص ١٨٥ .
- [٧٠] () أرضخ للرجل : أعطاه قليلاً من كثير .
- [٧١] () تفسير العياشي : ج: ١ ص ١٨٦ .

- [٧٢] () الفقيه : ج:٢ ص ١٦٠ .
- [٧٣] () آل عمران : ٩٦ .
- [٧٤] () الميزان : ج:٣ ص ٣٩١ .
- [٧٥] () آل عمران : ٩٦ .
- [٧٦] () الميزان : ج:٣ ص ٣٩٢ .
- [٧٧] () الحج : ٢٥ .
- [٧٨] () الحج : ٢٥ .
- [٧٩] () تفسير القمي : ص ٤٣٩ .
- [٨٠] () الحج : ٢٥ .
- [٨١] () الحاقة : ٣٢ - ٣٣ .
- [٨٢] () الفروع : ج:٤ ص ٢٤٣ .
- [٨٣] () الحج : ٢٥ .
- [٨٤] () العلل : ج:٢ ص ٣٩٦ .
- [٨٥] () الحج : ٢٥ .
- [٨٦] () قرب الاسناد: ص ٥٢ .
- [٨٧] () الحج : ٩٦ - ٩٧ .
- [٨٨] () الفروع : ج:٤ ص ٢٢٣ .
- [٨٩] () أسرار ومعارف حج : ١٨ عن الحجّ والعمرة في الكتاب والسنة : ١٩٦ الحديث ٢٨٣ .
- [٩٠] () الحجّ : ٢٩ - ٣٠ .
- [٩١] () الملك : ٣ - ٤ .
- [٩٢] () الملك : ١ - ٢ .

من فلسفة طواف النساء

وأما طواف النساء: فإنه ورد في الخبر الشريف : أنه تكريماً لامرأة مؤمنة أحببت زيارة بيت الله الحرام ، ففي قديم الأيام وقبل ظهور الاسلام وربما عصر ابراهيم الخليل ٧ كانت امرأة في مصر تعيش مع زوجها وأولادها الخمسة في نعمة ورخاء من الخدم والحشم والمواشي ، فاحببت أن تزور بيت الله الحرام ، فطلبت من زوجها ذلك ، وتجهزت مع أولادها وما تملك ، وخرجوا في موكب بهيج إلا أنه مات أحد الأولاد في الطريق ، فأراد الزوج أن يرجع إلى دياره ، فطلبت منه زوجته أن يحجوا البيت ويدسوا السير فاداموا السير إلا أنه فقدت الأولاد واحداً بعد واحد، وحتى فقدت الخدم والحشم ، ولازال شوق بيت الله يحدها بها، وقبل أن تصل إلى مكة مات زوجها، وما إن وصلت إلى المسجد حتى أصابها العادة الشهرية (الحيض) فنظرت إلى السماء بقلب حزين ولسان حالها تقول : يا ربّي ويا الهي تركت الأهل طراً في هواك ، وأرملت نفسي شوقاً لزيارة بيتك الطاهر، واليوم كما ترى منعت من دخول المسجد الشريف ، فألهما الله أو أوحى إلى نبيّ زمانها إن الله يسنّ للرجال والنساء طوافاً لتتشارك في ثوابه ، وعرف بطواف النساء، والله العالم بحقائق الأمور، سمعت هذه الرواية عن بعض الأعلام ، وانه نقلها من كتب الشيخ الصدوق ، ولم أجد المصدر، وعدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود.

(٥ - لا بدّ في الطواف أن يكون بلباس وبدن طاهر كما لا بدّ أن يكون اللباس مباحاً وهذا يعني مع التلوّث الظاهري بالنجاسة والغصب كيف يحصل على الطهارة المعنوية والباطنية ويكون من الطائفيين حقيقة ، ويقف على أسرار طوافه؟! بل ليس له من حجّه إلا التعب والنصب ، وكذلك يحرم على الرجل أن يحرم بلباس الحرير، فإنه من لباس الزينة والتفاخر.

(٦ - من الاعداد المقدّسة عند الله عدد السبعة ، فإنه خلق السماوات والأرض في سبعة أيّام ، وجعل الطواف سبعة أشواط ، كما في السجدة سبعة أعضاء على الأرض ، وعند العرفاء مدن العشق والحب سبعة ، وان لجهنم سبعة أبواب ، ومنافذ المعصية في الانسان سبعة ، والأعضاء التي توجب إستحقاق العقاب سبعة : الفكر والعين

والاذن واللسان واليد والرجل والأعضاء التناسلية ، فكان من الطبيعي المقبول عدد السبعة في الأشواط حول البيت الحرام ، ربما ليرمز إلى ان الانسان في كل أسبوعه المتكون من سبعة أيام عليه أن يطوف بقلبه حول عرش ربه ، فانه ورد في الخبر الشريف : (فقلب المؤمن حرم الله) (قلب المؤمن عرش الله) فالعبد بقلبه يكون مع الطائفين والعاكفين والركع السجود، يقنت آناء الليل وأطراف النهار، ويحوم كالفراش ويطوف كالملائكة حول كعبة إرادة الله وحبّه ، فلا يغفل عن ربّه طرفة عين أبداً، ولا يرى شيئاً إلا ويرى الله قبله ومعه وبعده ، وأنّه رهين إرادته سبحانه في القضايا كلّها في العبادات والمعاملات ، وبسبعة أشواط يغلق على نفسه سبعة أبواب جهنّم (هذا مقام العائذ بك من النار) بل بأشواط السبعة في طوافه حول البيت الطاهر يطوي الأرضين السبع والسموات السبعة ليصل في نهاية المطاف إلى عرش ربّه جلّ جلاله (قاب قوسين أو أدنى) ولا يلقاها إلا ذو حظّ عظيم ، وختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، فيطوف مع ملائكة العرش حوله (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) [1] .

(٧ - الواجب من الطواف في حجّ التمتع - كما مرّ - ثلاثة ، وكلّ طواف سبعة أشواط فالمجموع بعد ضرب الثلاث في السبع إحدى وعشرون ونضيف عليها ثلاثة بعدد الطوافات ، الثلاث فيكون المجموع أربعة وعشرين ، واليوم بليله ونهاره أربعة وعشرون ساعة ، فهل يعني طوافات حج التمتع الثلاثة أنّ الحاج والحاجة عليهما في كلّ ساعات أيامهم أن يطوفوا في حرم قلوبهم حول عرش ربّهم مع ملائكة السماء والأرض؟! وأن يذكروا ربّهم ليل ونهار.

قال رسول الله ٦: «وأمر بالحجّ والطواف لإقامة ذكر الله» وليكون كالجندي يعلن عن إطاعة أوامر سيّده ، والطواف رمز لحضور الله في كلّ الجهات والابعاد.

(٨ - في علل الشرايع بسنده عن أحدهما ٨ أنّه سئل عن إبتداء الطواف ، فقال : إن الله تبارك وتعالى لما أراد خلق آدم ٧ قال للملائكة : (إني جاعل في الأرض خليفة) فقال ملكان من الملائكة (أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء) فوَقَّعت الحجب بينه

وبينهما، علماً أنّه قد سخط قولهما فقالا : للملائكة ما حيلتنا وما وجه توبتنا؟ فقالوا: ما نعرف لكما من التوبة إلا أن تلودا بالعرش قال : فلاذا بالعرش حتّى أنزل الله تعالى توبتهما ورفعت الحجب فيما بينه وبينهما وأحبّ الله تبارك وتعالى أن يعبد بتلك العبادة فخلق الله البيت في الارض ، وجعل على العباد الطواف حوله ، وخلق البيت المعمور في السماء يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة[2] .

(٩ - ولما هبط آدم إلى الأرض طاف بالبيت ، فلما كان عند المستجار دنا من البيت فرفع يديه إلى السماء فقال : يا ربّ اغفر لي فنودي يا آدم من جاني من ولدك فباء بذنبه بهذا المكان غفرت له[3] .

(١٠ - وفي تفسير العياشي : عن أبي عبدالله ٧ ان الله أنزل الحجر الأسود من الجنة لأدم ، وكان البيت درّة بيضاء فرفعه الله إلى السماء وبقي أساسه فهو حيال هذا البيت وقال : يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً، فأمر الله إبراهيم وإسماعيل بينيا البيت على القواعد.

(١١ - الكافي بسنده عن أبي عبدالله ٧ قال : سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن أساف ونائلة وعبادة قریش لهما فقال : نعم كانا شابين صبيحين وكان بأحدهما تأنيث - أي مخنث - وكانا يطوفان بالبيت فصادفا من البيت خلوة فأراد أحدهما صاحبه ففعل فسمخهما الله فقالت قریش : لو لا ان الله رضي أن يعبد هذان معه ، ما حولهما عن حالهما.

إساف بالكسر والفتح : صنم لقریش وكذا نائلة وضعهما عمرو بن لحي على الصفا والمروة وكان يذبح عليهما تجاه القبلة ، قيل كانا من جرهم أساف بن عمرو ونائلة بنت سهل ففجروا في الكعبة ، فمسخا حجرين ثمّ عبدهما قریش[4] .

(١٢ - التهذيب بسنده عن أبي عبدالله ٧: ان امرأة كانت تطوف وخلفها رجل فأخرجت ذراعها فنال بيده حتى وضعها على ذراعها، فاثبت الله يده في ذراعها حتى قطع الطواف ، وأرسل إلى الأمير واجتمع الناس وأرسل إلى الفقهاء فجعلوا يقولون إقطع يده فهو الذي جنا الجناية ، فقال ههنا أحد من ولد محمد رسول الله ٦؟ قالوا: نعم ، الحسين بن علي ٨ قدم الليلة ، فأرسل إليه فدعاه فقال : انظر ما لقيا هذان ، فاستقبل القبلة ورفع يديه فمكث طويلاً يدعو، ثم جاء إليهما حتى خلص يده من يدها، فقال الأمير: ألا نعاقبه بما صنع ؟ فقال : لا [5] .

الفتية : وقصده أصحاب الفيل وملكهم أبو يكسوم أبرهة بن الصباح الحميري ليهدمه فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل (ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) وإذا لم يجر هذا على الحجاج بن يوسف الثقفي ، عند هدم بيته بالمنجنيق ما جرى على تبّع وأصحاب الفيل لأن قصد الحجاج لم يكن إلى هدم الكعبة ، إنّما كان قصده إلى ابن الزبير، وكان ضدّاً لصاحب الحق ، فلما إستجار بالكعبة أراد الله أن يبين للناس إنه لم يجره ، فامهل من هدمها عليه [6] .

ولتعميم الفائدة نذكر جملة من الأخبار الواردة في دائرة الطواف

(١٣ - وفي الفروع : عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن حمران ؛ وهشام بن سالم ، عن أبي عبدالله ٧ قال : لمّا أقبل صاحب الحبشة بالفيل يريد هدم الكعبة مرّوا بإبل لعبد المطلب فاستأفوها فتوجّه عبدالمطلب إلى صاحبهم يسأله ردّ إبله عليه فاستأذن عليه فأذن له وقيل له : إنّ هذا شريف قريش أو عظيم قريش وهو رجلٌ له عقلٌ ومروّة ، فأكرمه وأدناه ، ثم قال لرجمانه : سلّه ما حاجتك ، فقال له : إنّ أصحابك مرّوا بإبل لي فاستوفوها فأحببت أن تردّها عليّ، قال : فتعجّب من سؤاله إياه ردّ الإبل وقال : هذا الذي زعمتم أنّه عظيم قريش وذكر

تم عقله يدع أن يسألني أن انصرف عن بيته الذي يع بده أما لو سألني أن أنصرف
عن هذه [7] لانصرفت له عنه ، فأخبره الترجمان بمقالة

الملك فقال له عبدالمطلب إن لذلك البيت رباً يمنع وإنما سألتك ردّ إبلي لحاجتي
إليها، فأمر بردّها عليه ومضى عبدالمطلب حتّى لفى الفيل على طرف الحرم ، فقال
له : محمود؛ فحرّك رأسه فقال له : أتدري لما جيء بك ؟ فقال برأسه : لا [8] .

فقال : جاؤوا بك لتهدم بيت ربك أفتفعل ؟ فقال برأسه : لا، قال : فانصرف عنه
عبدالمطلب و جاؤوا بالفيل ليدخل الحرم ، فلما انتهى إلى طرف الحرم امتنع من
الدخول فضربوه فامتنع فأداروا به نواحي الحرم كلّها، كلّ ذلك يمتنع عليهم فلم
يدخل وبعث الله عليهم الطير كالخطاطيف [9] في مناقيرها حجر كالعذسة أو

نحوها فكانت تحاذي برأس الرّجل ، ثم ترسلها على رأسه فتخرج من دبره حتّى لم
يبق منهم أحدٌ إلاّ رجل هرب فجعل يحدث الناس بما رأى إذا طلع عليه طائر منها
فرفع رأسه فقال : هذا الطير منها وجاء الطير حتّى حاذي برأسه ، ثم ألقاها عليه
فخرجت من دبره فمات [10] .

() ١٤ - وفي امالي الطوسي : الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي ، عن شيخه ،
عن والده رضي الله عنهما، قال : أخبرنا أبو عبدالله محمد بن محمد، قال : أخبرنا
ابوالحسن علي بن بلال المهلبي ، قال : حدثنا عبدالواحد بن عبدالله بن يونس الربيعي
، قال : حدثنا الحسين بن محمد بن عامر، قال : حدثنا المعلى بن محمد البصري ،
قال : حدثنا محمد بن جمهور القمي ، قال : حدثنا جعفر بن بشير، قال : حدثني
سليمان بن سماعة ، عن عبدالله بن قاسم ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله
جعفر بن محمد، عن أبيه ، عن جده : قال : لما قصد ابرهة ابن الصباح المك
الحبشة لهدم البيت تسرعت الحبشة فأغاروا عليها، فأخذوا سرحا [11] لعبدالمطلب بن
هاشم ، فجاء عبدالمطلب إلى الملك فاستأذن

عليه ، فأذن له وهو في قبة ديباج على سرير له . فسلم عليه فرد أبرهة السلام ، فجعل ينظر في وجهه فراقه[12] حسنه وجماله وهيئته . فقال له : هل كان في آبائك

مثل هذا النور الذي أراه لك والجمال ؟ قال : نعم ايها الملك كل آبائي كان لهم هذا الجمال والنور والبهاء . فقال له ابرهة : لقد فقتم الملوك فخرا وشرفا ويحق لك ان تكون سيد قومك ، ثم اجلسه معه على سريريه وقال لسائس فيله الأعظم - وكان فيلا ابيض عظيم الخلق له نابان مرصعان بأنواع الدرر والجواهر ، وكان الملك يباهي به ملوك الأرض :- انتني به ، فجاء به سائسه وقد زين بكل زينة حسنة ، فحين قابل وجه عبدالمطلب سجد له ولم يكن يسجد لملكه ، واطلق الله لسانه

بالعربية فسلم على عبدالمطلب ، ولما رأى الملك ذلك ارتاع[13] له وظنه سحرا ،

فقال : ردوا الفيل إلى مكانه ، ثم قال لعبدالمطلب فيم جئت فقد بلغني سخاؤك وكرمك وفضلك ، ورأيت من هيبتك وجمالك وجلالك ما يقتضي ان انظر في حاجتك فاسألني ما شئت وهو يرى انه يسأله في الرجوع عن مكة ، فقال له عبدالمطلب : ان اصحابك غدوا على سرح لي فذهبوا به فمرهم برده على .

قال : فتغيط الحبشي من ذلك وقال لعبدالمطلب ، لقد سقطت من عيني جنتني تسألني في سرحك وانا قد جئت لهدم شرفك وشرف قومك ومكرمتكم التي تتميزون بها من كل جيل[14] ، وهو البيت الذي يحج اليه من كل صقع في

الأرض ، فتركت تسألني في ذلك وسألتني في سرحك .

فقال له عبدالمطلب : لست برب البيت الذي قصدت لهدمه وانا رب سرحي الذي أخذه اصحابك ، فجئت أسألك فيما انا ربه وللبيت رب هو امنع له من الخلق كلهم وأولى به منهم .

فقال الملك : ردوا اليه سرحه وانصرف إلى مكة ، واتبعه الملك بالفيل الاعظم مع الجيش لهدم البيت ، فكانوا اذا حملوه على دخول الحرم اناخ واذا تركوه رجع مُهْرَولاً. فقال عبدالمطلب لغلمانه : ادعوا لي ابني . فجيء بالعباس فقال : ليس هذا أريد. ادعوا لي ابني فجيء بأبي طالب فقال : ليس هذا أريد. ادعوا لي ابني ، فجيء بعبدالله أبيالنبي ٩ ، فلما اقبل إليه قال: اذهب يا بني حتى تصعد أباقيس، ثم اضرب ببصرک ناحية البحر فانظر أي شيء يجيء من هناك وأخبرني به .

فصعد عبدالله أبا قبيس فما لبث ان جاء طير أباييل مثل السيل والليل ، فسقط على ابي قبيس ، لَمَّا صار إلى البيت فطاف به سبعا، ثم صار إلى الصفا والمروة فطاف بهما سبعا، فجاء عبدالله إلى أبيه فأخبره الخبر، فقال : انظر يا بني ما يكون من أمرها بعد فأخبرني به ، فنظرها فاذا هي قد اخذت نحو عسكر الحبشة ، فأخبر عبدالمطلب بذلك ، فخرج عبدالمطلب وهو يقول : يا أهل مكة اخرجوا إلى العسكر فخذوا غنائمكم .

قال : فأتوا العسكر وهم امثال الخشبة النخرة[15] وليس من الطير الا ما معه

ثلاثة احجار في منقاره ورجليه ، يقتل بكل حصة منها واحداً من القوم ، فلما أتوا على جميعهم انصرف الطير ولم ير قبل ذلك ولا بعده ، فلما هلك القوم بأجمعهم جاء عبدالمطلب إلى البيت فتعلق بأستاره وقال :

يا حابس الفيل بذى المغمس حبسته كأنه مكوكس

في مجلس تزهد فيه الانفس

فانصرف وهو يقول في فرار قريش وجزعهم من الحبشة :

طارت قريش اذ رأت خميسا فظلت فردا لا أرى انيسا

ولا احس منهم حسيسا الا اخالي ماجدا نفيسا

مسودا في أهله رئيسا[16]

(١٥ - وفي الفروع : عليّ بن إبراهيم ؛ وغيره بأسانيد مختلفة رفعوه قالوا: إنّما هدمت قريش الكعبة لأنّ السيل كان يأتيهم من أعلا مكة فيدخلها

فانصدعت[17] وسرق من الكعبة غزال من ذهب رجلاه من جوهر وكان حائطها

قصيراً وكان ذلك قبل مبعث النبي ٦ بثلاثين سنة فأرادت قريش أن يهدموا الكعبة وبينوها ويزيدوا في عرصتها، ثم أشفقوا من ذلك وخافوا إن وضعوا فيها المعاول[18] أن تنزل عليهم عقوبة ، فقال الوليد بن المغيرة : دعوني أبداً فإن كان

رضى لم يصبني شيء وإن كان غير ذلك كففنا، فصعد على الكعبة وحرّك منه حجراً فخرجت عليه حيّة وانكسفت الشمس فلما رأوا ذلك بكوا وتضرّعوا وقالوا اللهم إنّنا لا نريد إلاّ الاصلاح ، فغابت عليهم الحيّة فهدموه ونخوا حجارته حوله حتّى بلغوا القواعد التي وضعها إبراهيم ٧ فلما أرادوا أن يزيدوا في عرصته وحرّكوا القواعد التي وضعها إبراهيم ٧ أصابتهم زلزلة شديدة وظلمة فكفّوا عنه وكان بنيان إبراهيم الطّول ثلاثون ذراعاً والعرض اثنان وعشرون ذراعاً والسّمك[19] تسعة أذرع ، فقالت قريش تزيد في سمكها فبنوها فلما بلغ

البناء إلى موضع الحجر الأسود تشاجرت قريش في وضعه فقالت كلُّ قبيلة : نحن أولى به نحن نضعه فلما كثر بينهم تراصوا بقضاء من يدخل من باب بني شيبه فطلع رسول الله ٦ فقالوا: هذا الأمين قد جاء فحكموه فبسط رداءه وقال بعضهم : كساء طارونى[20] كان له ووضع الحجر فيه ، ثمّ قال : يأتي من كل ربع[21]

من قريش رجل فكانوا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم وقيس بن عدى من بني سهم فرفعوه ووضعوا النبي ٦ في موضعه وقد كان بعث ملك الروم بسفينة فيها سقوف وآلات وخشب وقوم من الفعلة إلى الحبشة لبني له هناك بيعة [22]

فطرحتها الرّيح إلى ساحل الشريعة فبطحت [23] فبلغ قريشاً خبرها فخرجوا إلى

السّاحل فوجدوا ما يصلح للكعبة من خشب وزينة وغير ذلك فابتاعوه وصاروا به إلى مكّة فوافق ذرع [24] ذلك الخشب البناء ما خلا الحجر فلما بنوها كسوها

الوصائد [25] وهي الأردية [26].

(١٦ - وفي الدعائم : عن علي ٧ أنه قال : أوحى الله إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض أعبد فيه ، فضاق به ذرعاً [27] ، فبعث الله إليه السكينة وهي

ربح لها رأسان ، يتبع أحدهما صاحبه ، فدارت على أسّ البيت الذي بنته الملائكة فوضع إبراهيم البناء على كلّ شيء استقرت عليه السكينة ، وكان إبراهيم ٧ يبني واسماعيل يناوله الحجر ، ويرفع إليه القواعد ، فلما صار إلى مكان الركن الأسود ، قال إبراهيم لإسماعيل : أعطني الحجر [28] لهذا الموضع ، فلم يجده وتلگأ [29] فقال :

أذهب فاطلبه ، فذهب ليأتيه به ، فأتاه جبرائيل ٧ بالحجر الأسود، فجاء اسماعيل ٧ وقد وضعه إبراهيم موضعه ، فقال : من جاءك بهذا؟ فقال : من لم يتكلم على بنائك ، فمكث البيت حيناً فانهدم فبنته العمالقة ، ثم مكث حيناً فانهدم ، فبنته «جُرْهُمُ» ثم انهدم ، فبنته قريش ورسول الله يومئذ غلام ، وقد نشأ على الطهارة واخلق الأنبياء، وكانوا يدعونه الأمين ، فلما انتهوا [30] إلى موضع

الحجر أن يحكّموا في ذلك أول من يطلع عليهم ، فكان ذلك رسول الله ٦ إزاره [31] ووضع الحجر فيه ، وقال : يأخذ من كلّ بطنٍ من قريش رجل بحاشية الإزار وازفَعُوهُ معاً، فأعجبهم ما حكم به ، وأرضاهم وفعّلوا، حتى إذا صار إلى موضعه وَضَعَهُ فِيهِ رسول الله ٦ [32] .

(١٧ - وفي الفروع : عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد عن ابن أبي عمير، عن أبي عليّ صاحب الأنماط ، عن ابان بن تغلب قال : لما هدم الحجاج الكعبة فرّق الناس ترابها فلما صاروا إلى بنائها فأرادوا أن يبنيوها خرجت عليهم حيّة فمنعت الناس البناء حتى هربوا فاتوا الحجاج فأخبروه فخاف أن يكون قد منع بناءها فصعد المنبر، ثم نشد الناس وقال : أنشد الله عبداً [33] عنده ممّا ابتلينا به

علم لنا أخبرنا به ، قال : فقام إليه شيخ فقال : إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها، ثم مضى فقال الحجاج : من هو؟ قال : عليّ بن الحسين ٨ فقال : معدن ذلك فبعث إلى عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما فأتاه فأخبره ما كان من منع الله إياه البناء، فقال له عليّ بن الحسين ٨ : يا حجاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وانتهبتك كأنك ترى أنّه تراث لك اصعد المنبر وأنشد الناس أن لا يبقى أحدٌ منهم أخذ منه شيئاً إلا ردّه ، قال : ففعل فأنشد الناس أن لا يبقى منهم أحدٌ عنده شيء إلا ردّه قال : فردّوه فلما رأى جمع التراب أنى عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا قال : فتغيّبت عنهم الحيّة وحفروا حتّى انتهوا إلى موضع القواعد، قال لهم عليّ بن الحسين ٨ :

تتحّوا ففتحوا فدنا منها فغطّاهما بثوبه ، ثمّ بكى ، ثم غطّاهما بالتراب بيد نفسه ، ثم دعا الفعلة فقال : ضعوا بناءكم ، فوضعوا البناء فلمّا ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلّب فألقى في جوفه فلذلك صار البيت مرتفعاً يعصد إليه بالدّرج [34] .

(١٨ - وفي الفروع : عن سعيد بن جناح ، عن عدّة من أصحابنا، عن أبي عبدالله ٧ قال : كانت الكعبة على عهد إبراهيم ٧ تسعة أذرع وكان لها بابان فبناها عبدالله بن الزبير فرفعها ثمانية عشر ذراعاً فهدمها الحجّاج فبناها سبعة وعشرين ذراعاً [35] .

(١٩ - وفي الفروع : روي عن ابن أبي نصر، عن أبان بن عثمان ، عن أبي عبدالله ٧ قال : كان طول الكعبة يومئذ تسعة أذرع ولم يكن لها سقف فسقّفها قريش ثمانية عشر ذراعاً فلم تزل ، ثمّ كسرّها الحجّاج على ابن الزبير فبناها وجعلها سبعة وعشرين ذراعاً [36] .

(٢٠ - وفي الفقيه : روي أن الحجّاج لما فرغ من بناء الكعبة سأل علي بن الحسين ٨ أن يضع الحجر في موضعه فأخذه ووضع في موضعه [37] .

(٢١ - وفي الفقيه : روي أنه كان بنيان إبراهيم ٧ الطول ثلاثين ذراعاً والعرض اثنين وعشرين ذراعاً وللسمك تسعة أذرع وإن قريشاً لما بنوها كسوها الأردية [38] .

(٢٢ - وفي المستدرک : سعيد بن هبة الله الراوندي في كتاب الخرائج روى ان الحجّاج بن يوسف لما خرب الكعبة بسبب مقاتلة عبدالله بن الزبير، ثم عمروها فلما

اعيد البيت وارادوا ان ينصبوا الحجر الأسود فكلما نصبه عالم من علمائهم أو قاض من قضااتهم أو زاهد من زهادهم يتزلزل ويضطرب ولا يستقر الحجر في مكانه فجاءه علي بن الحسين ٨ واخذه من ايديهم وسمى الله ونصبه فاستقر في مكانه وكبر الناس ولقد ألهم الفرزدق في قوله :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم[39]

(٢٣ - وفي الأصول : عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة بن مهران قال : سألته عن الايمان والاسلام قلت له : أفرق بين الإسلام والإيمان ؟ قال : فأضرب لك مثله قال : قلت : أورد ذلك ، قال : مثل الإيمان والإسلام مثل الكعبة الحرام من الحرم قد يكون في الحرم ولا يكون في الكعبة ولا يكون في الكعبة حتّى يكون في الحرم وقد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً ولا يكون مؤمناً حتّى يكون مسلماً، قال : قلت : فيخرج من الإيمان شيء؟ قال : نعم ، قلت : فيصيرّه إلى ماذا؟ قال : إلى الإسلام أو الكفر. وقال : لو أنّ رجلاً دخل الكعبة فأقلت منه بوله أخرج من الكعبة ولم يخرج من الحرم فغسل ثوبه وتطهّر، ثمّ لم يمنع أن يدخل الكعبة ولو أنّ رجلاً دخل الكعبة فبال فيها معانداً أخرج من الكعبة ومن الحرم وضربت عنقه[40] .

(٢٤ - وفي تفسير القمي : فحدثني أبي ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن الرضا ٧، قال : قال أمير المؤمنين ٧: ان رسول الله ٦ امرني عن الله ان لا يطوف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد هذا العام وقرأ عليهم (براءة من الله ورسوله إلى الذي نئن عاهدتكم من المشركي نئن (١)

فسي نئخوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافري نئن (41) فأحل الله المشركين الذين حجّوا تلك السنة أربعة أشهر حتى

يرجعوا إلى مأمَنهم ، ثم يقتلون حيث وجدوا[42] .

(٢٥ - وفي تفسير العياشي: عن حكيم بن الحسين، عن عليّ بن الحسين ٧، قال : والله ان لعليّ لاسماء في القرآن ما يعرفه الناس ، قال : قلت : وأيّ شيء تقول

جعلت فداك ؟ فقال لي : (وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ...) [43]

قال : فبعث رسول الله ٦ أمير المؤمنين وكان عليّ هو والله المؤذن ، فأذن بأذان الله ورسوله يوم الحجّ الاكبر من المواقف كلّها؛ فكان ما نادى به أن لا يطوف بعد هذا العام عريان ولا يقرب المسجد الحرام بعد هذا العام مشرك[44] .

(٢٦ - وفي المستدرک : محمد بن إبراهيم النعماني في كتاب الغيبة ، عن محمد بن همام ؛ ومحمد بن الحسن ، عن محمد بن جمهور ، عن احمد بن هلال ، عن محمد بن أبي عمير ، عن سعيد بن غزوان ، عن أبي عبدالله ٧، قال : قال رسول الله ٦: ان الله عزوجل اختار من كل شيء شيئاً اختار من الارض مكة واختار من مكة المسجد واختار من المسجد الموضع الذي فيه الكعبة .. [45] .

(٢٧ - وفي تفسير العياشي : عن جابر الجعفي ، عن ابي جعفر ، عن آبائه : قال : إن الله اختار من الارض جميعاً مكة واختار من مكة بكة[46] فانزل

في بكة سرادقاً[47] محفوفاً بالدر والياقوت ، ثم انزل في وسط السرادق عُمداً

أربعة وجعل بين العُمد الاربعة لؤلؤة بيضاء وكان طولها سبعة اذرع في ترابيع البيت وجعل فيها نوراً من نور السرادق بمنزلة القناديل[48] وكانت العُمد اصلها في

الثرى[49] والرؤوس تحت العرش وكان الربع الأول من زمرد أخضر والربع الثاني

من ياقوت أحمر والربع الثالث من لؤلؤ أبيض والربع الرابع من نور
ساطع[50] وكان

البيت ينزل فيما بينهم مرتفعاً من الأرض وكان نور القناديل يبلغ إلى موضع الحرم .
وكان اكبر القناديل مقام ابراهيم ٧ فكانت القناديل ثلاثمائة وستين قنديلا فالركن
الاسود باب الرحمة إلى الركن الشامي فهو باب الانابة ، وباب الركن الشامي باب
التوسل ، وباب الركن اليماني باب التوبة وهو باب آل محمد : وشيعتهم إلى الحجر ،
فهذا البيت حجة الله في أرضه على خلقه .

فلما هبط آدم إلى الأرض هبط إلى الصفا ولذلك اشتق الله له اسماً من اسم آدم لقول
الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ...) [51] ونزلت حواء على المروة فاشتق الله

له اسماً من اسم المرأة وكان آدم نزل بمرأة من الجنة فلما لم يخلق آدم المرأة إلى
جنب المقام وكان يركن اليه سأل ربه ان يهبط البيت إلى الأرض فاهبط فصار على
وجه الأرض فكان آدم ٧ يركن اليه .

وكان ارتفاعها من الأرض سبعة أذرع وكانت له اربعة ابواب وكان عرضها خمسة
وعشرين ذراعاً في خمسة وعشرين ذراعاً ترابيعه ، وكانت السرادق مائتي ذراع
في مائتي ذراع[52] .

(٢٨ - وفي المستدرک : الشيخ ابو الفتوح الرازي في تفسيره عن وهب بن منبه أنه
قال : مكتوب في التوراة ان الله تعالى يبعث يوم القيامة سبعمائة الف ملك ومعهم
سلاسل من الذهب ليأتون بالكعبة إلى عرصات القيامة فيأتون بها بسلاسل الذهب إلى

موقف القيامة فيقول لها ملك : يا كعبة الله سيرى فنقول : لا اذهب حتى تقضي حاجتي فيقول : ما حاجتك ؟ فنقول : تقبل شفاعتي في الذين دفنوا في اطرافي فيقول الله تعالى : قضيت حاجتك .

فبيعت الاموات من قبورهم وجوههم بيض وعليهم الاحرام فيحتوشون الكعبة[53] وينادون لبيك إلى ان قال فيقول : يا كعبة الله سيرى فنقول : لا اذهب

حتى يقضي حاجتي فيقول : ما حاجتك سلي حتى تعطي ؟ فنقول : الهي عباد الله العصاة أتوا إلي من كل فج عميق شعناً[54] غبراء و[55] خلفوا اهلهم واولادهم

وبيوتهم وودعوا اُحبارهم وأصحابهم لزيارتي واداء المناسك كما أمرت ، الهي فاشفع لي لتأمنهم من الفزع الأكبر فأقبل شفاعتي واجعلهم في كني . فينادي ملك : ان فيهم أصحاب الكبائر والمصرين على الذنوب المستحقين للنار فنقول الكعبة : انا أشفع في أهل الكبائر ، فيقول الله تعالى : قبلت شفاعتك وقضيت حاجتك فينادي ملك : ألا من كان اهل الكعبة فليخرج من بين الجمع فيخرج جميع الحاج من بينهم ويحتوشون الكعبة بيض الوجوه آمنون من الجحيم يطوفون حول الكعبة وينادون لبيك ، فينادي ملك يا كعبة الله سيرى فتسير الكعبة وتنادي «لبيك اللهم لبيك ، لبيك ان الحمد والملك والنعمة لك لبيك » وأهلها يتبعونها[56] .

() ٢٩ - وفي الفقيه : روى أبو بصير عن أبي عبدالله ٧ قال : إن آدم ٧ هو الذي بنى البيت ووضع أساسه وأول من كساه «الشعر» وأول من حج اليه ، ثم كساه «تبع» بعد آدم ٧ «الانطاع»[57] ثم كساه ابراهيم ٧ «الخصف»[58] وأول

من كساه الثياب سليمان بن داود ٨ كساه «القباطي» .

(٣٠ - وفي الفروع : علي بن ابراهيم ، عن أبيه ؛ ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن ابان ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر ٧ قال : لم يزل بنو اسماعيل ولاية البيت [٥٩] يقيمون للناس حجهم وأمر دينهم يتوارثونه كابر عن كابر حتى كان زمن عدنان بن أدد ، فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وأفسدوا وأحدثوا في دينهم وأخرج بعضهم بعضاً ، فمنهم من خرج في طلب المعيشة ومنهم من خرج كراهية القتال وفي أيديهم أشياء كثيرة من الحنيفية من تحريم الامهات والبنات وما حرم الله في النكاح الا انهم كانوا يستحلون امرأة الأب وابنة الأخت والجمع بين الأختين ، وكان في أيديهم الحج والتلبية والغسل من الجنابة الا ما أحدثوا في تلبيتهم وفي حجهم من الشرك وكان فيما بين اسماعيل وعدنان بن أدد موسى ٧ [59] .

(٣١ - وفي الفروع : روى أن معد بن عدنان خاف أن يدرس الحرم فوضع أنصابه وكان أول من وضعها ، ثم غلبت «جرهم» [60] على ولاية البيت

فكان يلي منهم كابر عن كابر حتى بغت «جرهم» بمكة واستحلوا حرمتها واكلوا مال الكعبة وظلموا من دخل مكة وعتوا وبغوا وكانت مكة في الجاهلية لا يظلم ولا يبغى فيها ولا يستحل حرمتها ملك الا هلك مكانه ، وكانت تسمى «بكة» لانها تبت أعنان الباغين اذا بغوا فيها ، وتسمى «بساسة» [61] كانوا اذا ظلموا فيها

بستهم وأهلكتهم وتسمى «أم رحم» [62] كانوا اذا لزموها رحموا فلما بغت

«جرهم» واستحلوا فيها بعث الله عزوجلّ عليهم الزعاف [63] والنمل [64] وأفناهم

فغلبت «خزاعة» واجتمعت ليجلوا من بقي من «جرهم» عن الحرم ، ورئيس خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ورئيس جرهم عمرو بن الحارث بن مصاص الجرهمي فهزمت «خزاعة» جرهم وخرج من بقي من جرهم إلى أرض من أرض جهينة ، فجاءهم سيل أتى [65] فذهب بهم ، ووليت خزاعة البيت فلم يزل في أيديهم حتى جاء قصي ابن كلاب وأخرج خزاعة من الحرم وولى البيت وغلب عليه [66] .

(٣٢ - وفي تفسير العياشي : عن عبدالصمد بن سعد قال : طلب أبو جعفر ان يشتري من اهل مكة بيوتهم أن يزيده في المسجد فأبوا فأرغبهم فامتنعوا

فضاق بذلك ، فاني أبا عبد الله ٧ فقال له : اني سألت هؤلاء شيئاً من منازلهم وأفنيتهم [67] لنزيد في المسجد وقد منعوني ذلك فقد غمّني غمّاً شديداً فقال

أبو عبد الله ٧: أيغمك ذلك وججتك عليهم فيه ظاهرة؟! فقال : وبما احتج عليهم ؟ فقال : بكتاب الله، فقال : في أي موضع ؟ فقال : قول الله: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًىً لِلْعَالَمِينَ) [68] قد أخبرك الله ان اول بيت وضع

للناس هو الذي ببكة فان كانوا هم تولا قبل البيت فلهم افنيتهم ، وان كان البيت قديماً قبلهم فله فناؤه : فدعاهم ابو جعفر فاحتج عليهم بهذا فقالوا له : اصنع ما أحببت [69] .

(٣٣ - وفي تفسير العياشي : عن الحسن بن علي بن النعمان قال : لما بني المهدي في المسجد الحرام بقيت دار في تربييع المسجد فطلبها من أربابها فامتنعوا، فسأل عن ذلك الفقهاء فكل قال له : انه لا ينبغي ان يدخل شيئاً في المسجد الحرام غصباً، فقال له علي بن يقطين : يا أمير المؤمنين لو (اني خ ل) كتبت إلى موسى بن جعفر ٧

لأخبرك بوجه الأمر في ذلك ، فكتب إلى وإلى المدينة ان يسأل موسى بن جعفر عن دار أردنا ان ندخلها في المسجد الحرام فامتنع علينا صاحبها فكيف المخرج من ذلك ؟ فقال : ذلك لأبي الحسن ٧ فقال أبو الحسن ٧: ولا بد من الجواب في هذا؟ فقال له : الأمر لابدّ منه ، فقال له : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ان كانت الكعبة هي النازلة بالناس بالناس فالناس أولى

بفنائها، وان كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها فلما أتى الكتاب إلى المهدي اخذ الكتاب فقبله ، ثم أمر بهدم الدار فأتى اهل الدار أبا الحسن ٧ فسألوه ان يكتب لهم إلى المهدي كتاباً في ثمن دار هم فكتب اليه ان أرضخ لهم [70] شيئاً فأرضاهم [71].

(٣٤ - وفي الفقيه : قال الصادق ٧: أساس البيت من الأرض السابعة السفلى إلى الأرض السابعة العليا [72].

(٣٥ - وفي تفسير الميزان : عن ابن شهر آشوب ، عن أمير المؤمنين ٧ في قوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ...) [73] فقال له رجل : أهو أول بيت ؟

قال : لا قد كان قبله بيوت ، ولكنه أول بيت وضع للناس مباركاً: فيه الهدى والرحمة والبركة ، وأول من بناه ابراهيم ، ثم بناه قوم من العرب من جرهم ، ثم هدم فبنته العمالقة ، ثم هدم فبناه قريش [74].

(٣٦ - وفي تفسير الميزان : نقلاً عن الدر المنثور، اخرج ابن المنذر : وابن ابي حاتم من طريق الشعبي عن علي بن ابي طالب ٧ في قوله : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) [75] قال : كانت البيوت قبله ولكنه كان اول بيت وضع لعبادة الله [76] .

(٣٧ - وفي تفسير القمي : قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِي نَنَّا كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِي اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِحَادٍ يظلم نذقه من عذاب ألي) [77] قال : نزلت في قريش حين صدوا رسول الله ٦ عن مكة وقوله : (...سواء العاكف في فيه والباد...) [78] قال أهل مكة ومن جاء اليهم من البلدان فهم فيه سواء لا يمنع النزول ودخول الحرم [79] .

(٣٨ - وفي الفروع : عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم ، عن الحسين بن أبي العلاء قال : قال أبو عبدالله ٧ : ان معاوية اول من علق على باب مصر اعين بمكة فممنع حاج بيت الله ما قال الله عزوجل : (...سواء العاكف في فيه والباد...) [80] وكان الناس اذا قدموا مكة نزل البادي على الحاضر حتى يقضي حجه وكان معاوية صاحب السلسلة التي قال الله تعالى : (في سلسلة دزغها سبوعون ذراعاً فاسئلوه * إنه كان لا يؤمن بالله العظي) [81] وكان فرعون هذه الأمة [82] .

(٣٩ - وفي العلل : أبي ٢ قال : حدثنا سعد بن عبدالله، عن احمد؛ وعبدالله ابني محمد بن عيسى ، عن محمد بن ابي عمير، عن حماد بن عثمان الناب ، عن عبيدالله

بن علي الحلبي ، عن أبي عبدالله ٧ قال : سألته عن قول الله تعالى : (...سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيئِهِ وَالْبَادِ...) [83] فقال : لم يكن ينبغي ان يصنع علي دور

مكة أبواب لان للحجاج ان ينزلوا معهم في دورهم في ساحة الدار حتى يقضوا مناسكهم وان اول من جعل لدور مكة أبواباً معاوية [84] .

(٤٠ - وفي قرب الاسناد: الحسن بن ظريف ، عن الحسين بن علوان ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن علي : ان رسول الله ٦ نهى أهل مكة ان يواجروا دورهم وان يغلقوا عليها أبواباً وقال : (...سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيئِهِ وَالْبَادِ...) [85] قال : وفعل ذلك أبوبكر وعمر وعثمان وعلي ٧ حتى كان في زمن معاوية [86] .

(٤١ - وفي الفروع : علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن محبوب ، عن ابن سنان قال : سألت أبا عبدالله ٧ عن قول الله عزوجل : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيئِهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ...) [87] ما هذه الآيات البيئات ؟ قال : مقام ابراهيم ، حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه ، والحجر الأسود، ومنزل اسماعيل ٧ [88] .

(٤٢ - الطواف يعني الانقطاع إلى المحبوب وهو الله سبحانه وتعالى ، فإنه أحقّ بالحبّ لبقاءه وسعة رحمته وصمديته وغيره كان من الآفلين ، واني لا أحبّ الآفلين فالطواف حول المحبوب من أحبه أكبر آية لاطهار الحق والعشق

والشوق ، وأنه كالفراش تحوم حول الشمع لتحترق بنور المحبوب ونار حبه .

(٤٣ - الطواف علاقة الخوف والرجاء، وهما نوران في قلب المؤمن ، لو وزن هذا على هذا لم يزد أحدهما على الآخر، فان العبد يخاف ذنبه (وإذا نظرت إلى ذنوبي آيست) ويرجو ربه (وإذا نظرت إلى رحمة الله رجوت) فخيره إليّ نازل وشرّي إليه صاعد، فالطائف في طواف بين خوف عن ماضيه ومن ذنوبه وبين رجاء وأمل بمستقبله ورحمة ربه ، ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب .

(٤٤ - الطواف مع الجميع ومن دون الجميع ، كما ورد في الخبر الشريف : كن مع الناس ولا تكن معهم ، فيكون الطائف بجسده مع الناس يطوف حول البيت سبعة أشواط يذكر الله كثيراً مع الذاكرين والطائفين ، إلا أنه بروحه قد تعلّق بالملا الأعلى وانقطع إليه كما الانقطاع ، يدعو ربه خالصاً (البيت بيتك والحرم حرمك والعبد عبدك وأنا ضيفك في بيتك) ولكلّ ضيف قرىّ فاجعل قراري جوارك مع أحبّاءك وأوليائك ، ممّن أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين .

(٤٥ - الطواف نقطة وصال الموحدين على مدى التاريخ الانساني من آدم إلى يوم القيامة ، فان الموحّدين في الأرض يطوفون حول بيت الله الحرام ، فالطائف يستشعر هذا المعنى العالمي والانسان في وجوده عند طوافه فيشهد في حضوره حضور الأنبياء والأوصياء والأولياء وملائكة الأرض والسماء.

قال الامام الصادق ٧: «جعلته محل أنبيائه ، وقبلة للمصلّين إليه ، فهو شعبة من رضوانه» [89] .

(٤٦ - الطواف محل الإختبار والإبتلاء الالهي ، فان الكعبة ليست إلا أحجار يطوف حوله بازدحام وتعبد ونصب ليختبر الأولين والآخرين بتسليمهم لله سبحانه والرضا بقضائه وأحكامه (هذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه .

(٤٧ - الطواف رمز وحدة المسلمين : فأنه بكلّ أطيافهم وعرقيّاتهم وهويّاتهم الشخصية الدولية والاقليميّة يطوفون حول البيت بشعار الموحدين من التلبية وذكر

الله سبحانه . فالطائف في طوافه لا يحسّ بالغرابة والوحدة والعزلة ، بل في سيل بشرى عارم بجهة واحدة ومقصود واحد، وهذا ما يوجب القاء الرّعب في قلوب أعداء الاسلام .

(٤٨ - الطواف يعني رعاية الحدود الالهية والتمرين عليها، فلا يستصغر العبد حكم ربّه (وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ * ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ) [90] .

(٤٩ - في عصرنا هذا براءة من المشركين ومن الشيطان الأكبر في بيته الأبيض فأطوف حول بيت الله الأسود بنوايا بيضاء، وأرمي البيت الأبيض الامريكي بأحجار سوداء، فله بيت في الأرض الكعبة المشرفة ، وللشيطان بيض في الأرض القصر الأبيض والقصر الأحمر، والأمم والشعوب والجماهير في طوافين حول البيتين ، والله هدى السبيل لكلّ الأجيال إلى يوم القيامة ، فامّا أن يكون المرء شاكراً لنعم الله سبحانه وإمّا كفوراً وكافراً، وإلى الله المصير.

(٥٠ - إن القرآن الكريم يُلفت أنظار الناس إلى آيات الله تعالى في هذا الكون الرحب الواسع فيريهم الآيات الافاقية والانفسية ليستدلّوا بها على اثبات الخالق والصانع ووجدانيته وعلى رحمته الواسعة ، وليزدادوا إيماناً ويقيناً أنّ هذا الكون من تدبير عزيز حكيم قادر عليم حيّ قيوم ، وإن كلّ ذرّة فيه يسير وفق نظام بديع ينسجم مع بقية ذرّات الكون في السماوات والأرضين وما بينهما.

قال سبحانه وتعالى : (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) [91] .

فكلّ الخلق مسخّر بتقدير الله وتدبيره ، وكلّ يؤدّي دوره في الوجود وفق نظام دقيق ، وإنّ الانسان أشرف المخلوقات قد أعطاه الله الارادة والاختيار والحريّة في دائرة محدّدة في طول ارادته سبحانه ، وأعطاه مع ذلك التشريعات التي جاء بها الأنبياء

بوحى من السماء كي تنسجم الارادة التشريعية مع الارادة التكوينية في ارادة واحدة ، وفي خط واحد وفي نظام منسجم واحد، يصير إلى الكمال المطلق ومطلق الكمال وهو الله سبحانه ، فاليه تصير الأمور ، فلا تفاوت ولا إختلاف في خلق الله ولا في سننه التكاملية، فما من شيء إلا ويسبح بحمد ربه .

ومن عجائب خلقة الانسان كما أخبرنا علماء الأجنّة : أن كلّ قذفة من مني الرجل تنزل في الرحم تحتوي على عدد من الحيامن الذكورية يتراوح ما بين ٢٠٠ مليون إلى ٤٠٠ مليون حيمن ، وإذا قلّ عدد الحيامن يكون هناك قصر في الانجاب ، وهذا الجيش المليونى من شباب الحيامن يسلك طريقه بكل شوق في قناة فالوب متجهاً نحو المعشوقة (البويضة الانثوية) وهي هدفه في مسيرته في تلك الظلمات .

الا إن هذا العدد الهائل من الحيامن كلّها تموت في الطريق والسير والسلوك باستثناء ما يقارب خمسمائة حيمن ، فانها تنجو عن الموت وتصل إلى جدار البويضة وتحيط بها كالاكليل .

ومن المعلوم ان حيماً واحداً فقط هو الذي يفوز ويفتح له جدار الرحم ، أما بقية الحيامن فتموت أيضاً، ولا يفتح لها الجدار، وتبقى حركة البويضة السابحة في فضاء الرحم وهي قوة الحركة غير مقيدة داخل الرحم بأيّ تعلق ، وأما الحيامن التي يتراوح عددها الخمسمائة حين تصل إلى البويضة وتحيط بها كالاكليل ، تبدء تتحرّك بحركة دائرية ، تتجه فيها من الغرب إلى الشرق عكس عقارب الساعة ، وهذه الحركة مصوّرة وممكن رؤيتها بوضوح ، وإنها لآية عظيمة من آيات الله تبارك وتعالى لأنها تنتظم في حركات الكون ووحدة حركته ، وهذه الحركة ثابتة ومحددة الاتجاه في كلّ الأرحام ، ولم تقتصر على رحم دون رحم .

فالحركة هذه تعني الحركة من الموت إلى الحياة ، ومن العدم إلى الوجود، ومما سوى الله إلى الله سبحانه .

ومن الملفت للنظر ان الالكترونات لها دورتان ، دورة حول نفسها، ودورة حول نواة الذرة ، وهي تنتج بهاتين الدورتين الطاقة الكهربائية والجاذبية ، وهي بمنزلة الحياة ،

وهي تدور بنفس الاتجاه أيضاً، أي عكس عقارب الساعة حول النواة المكوّنة من البروتونات والنترونات .

كما أن الأرض تدور حول نفسها في حركة وضعية بنفس الاتجاه من المغرب إلى الشرق ، وكذلك في حركتها الانتقاليّة وفي دورتها حول الشمس فإنها أيضاً تدور عكس عقارب الساعة .

وكذلك الكلام في دورة الشمس حول نفسها وضمن دائرة مجرّة درب التبانة ، وكذلك الكواكب في المجموعة الشمسيّة ، فإنّها تدور حول الشمس عكس عقارب الساعة .

الكلّ يدور باتجاه واحد، وهذه الدورات كلّها دورات تكوينيّة مسخّرة لبارئها وخالقها وصانعها سبحانه وتعالى ، إلا ان هناك دورة تشريعيّة حول الكعبة المعظمة قبله المسلمين ، وهي بنفس الإتجاه حيث إن حركة الطائف حول الكعبة أيضاً عكس عقارب الساعة .

فاتفقت الحركة التشريعيّة في الأرض مع الحركة التكوينيّة في الكون كلّ ، فإنك تجد الطائفين حول الكعبة كلّهم ينتظمون بحركة واحدة ، وباتجاه واحد ينسجم مع تلك الحركات في الكون من الذرّة إلى المجرة ، ومن حركة البويضة السابحة في فضاء الرحم ، إلى حركة الطائف حول الكعبة .

وكأنّ الله سبحانه وتعالى يريد من عباده أن ينسجموا مع حركة الكون والتكوين ، وأن تكون حركة المخلوقات في الحركات التكوينيّة والتشريعيّة باتجاه واحد، لأنّها جميعاً تدلّ وبكلّ وضوح على محرّك واحد وربّ واحد، ومصدرها إله واحد لا إله غيره .

فسبحان الله الذي دلّ على ذاته بذاته ، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته ، وسبحان الله الذي لا تفاوت في خلقه ، ولا إختلاف في وحدة هدفهم وسببهم وتسبيحهم للواحد الأحد الفرد الصمد .

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) [92] .

- [١] () الزمر: ٧٥.
- [٢] () العطل : : ٤٠٢ ٢.
- [٣] () تفسير العياشي : : ٣١ ١.
- [٤] () الوافي : : ٥٩ ٢ كتاب الحجّ .
- [٥] () التهذيب : : ٤٧ ٥.
- [٦] () الفقيه : : ١٦٢ ٢.
- [٧] () هَدَّ وَهَدَّاً وَهُدُوداً الْبِنَاءُ: هدمه شديداً وكسره بشدة صوت .
- [٨] () أي أشار برأسه .
- [٩] () الخَطَّافُ : طائر يشبه السنونو من فصيلة السنونيات ، طويل الجناحين ، قصير الرجلين ، أسود اللون ويسمى بالخطّاف وجمعه خطاطيف .
- [١٠] () الفروع : ج: ٤ ص ٢١٦.
- [١١] () السرح - جمعه سُروح -: الماشية .
- [١٢] () راقَهُ الشيء رَوْقاً: أعجبه وسرّه .
- [١٣] () راعه الأمر: أعجبه .
- [١٤] () الجيل - جمعه آجبال وجيلان -: الصنف من الناس .
- [١٥] () نَخِرَ العود أو العظم ونحوه : بلى وتفكّنت . الناخر (فاعل) وجمعه نُخْر: البالي والمفتّت .
- [١٦] () امالي الطوسي : ج: ١ ص ٧٨ - ٨٠؛ الأمالي للمفيد: ص ٣١٢ - ٣١٥.
- [١٧] () انصدع الشيء: إنشق .
- [١٨] () المَعُول - جمعه معاول -: أداة لحفر الأرض .
- [١٩] () الرَّوْع : الفَرْع . الرَّوْع : العقل والقلب ، مجمع البحرين : ج: ٤ ص ٣٤٠.
- [٢٠] () الطرن : الخزّ. والطاروني ضرب منه .
- [٢١] () الرّيع : الدار، ما حول الدار، المحلة ، المنزل ، جماعة من الناس .
- [٢٢] () البيعة - جمعها بَيْعٌ وبَيْعَاتٌ وبَيْعَاتٌ -: المعبد للنصارى واليهود.
- [٢٣] () بطحه وبتحاً: بسطة . تَبَطَحَ وانبطح الوادي : انبسط ، استوسع .

- [٢٤] () ذرعه كذا: طوله كذا ذرع .
- [٢٥] () وصدّ الثوب : نسجه .
- [٢٦] () الفروع : ج: ٤ ص ٢١٨ .
- [٢٧] () ضاق به ذرعاً: شقّ عليه .
- [٢٨] () وفي بعض النسخ : «حجراً» .
- [٢٩] () تلكأ وتلکوا عن الأمر: ابطأ وتوقف .
- [٣٠] () انتهى الشيء: بلغ نهايته . وانتهى بفلان إلى موضع كذا: بلغ .
- [٣١] () الإزار - جمعه ازره وأزر - : كل ما سترک .
- [٣٢] () دعائم الاسلام : ج: ١ ص ٢٩٣ .
- [٣٣] () في بعض النسخ : «رحم الله عبداً» .
- [٣٤] () الفروع : ج: ٤ ص ٢٢٢؛ العلل : ج: ٢ ص ٤٤٩ .
- [٣٥] () الفروع : ج: ٤ ص ٢٠٧ .
- [٣٦] () نفس المصدر. الفقيه : ج: ٢ ص ١٦٠ .
- [٣٧] () الفقيه : ج: ٢ ص ١٦١ .
- [٣٨] () نفس المصدر.
- [٣٩] () المستدرک : ج: ٢ ص ١٣٨ .
- [٤٠] () الأصول : ج: ٢ ص ٢٨ .
- [٤١] () التوبة : ١ - ٢ .
- [٤٢] () تفسير القمي : ص ٢٥٨ .
- [٤٣] () التوبة : ٣ .
- [٤٤] () تفسير العياشي : ج: ٢ ص ٧٦ .
- [٤٥] () المستدرک : ج: ٢ ص ١٤٢ .
- [٤٦] () راجع الهامش : ١ ص ٢٣ .
- [٤٧] () السرادق : الفسطاط الذي يمدّ فوق صحن البيت ، الخيمة .
- [٤٨] () القنديل - جمعه قناديل -: المصباح (لا تينية) .

- [٤٩] () الثرى : التراب النَّدي .
- [٥٠] () سطح النور: ارتفع وانتشر.
- [٥١] () آل عمران : ٣٣ .
- [٥٢] () تفسير العياشي : ج: ١ ص ٤٠ .
- [٥٣] () إحتوش القوم الرجل وعليه : احد قوا به وجعلوه في وسطهم .
- [٥٤] () راجع الهامش : ٩ ص ٣٤ .
- [٥٥] () راجع الهامش : ١٠ ص ٣٤ .
- [٥٦] () المستدرک : ج: ٢ ص ٨ .
- [٥٧] () راجع الهامش : ٤ ص ٥٥ .
- [٥٨] () الخَصْفَةُ : جمعها خَصَفَ وخَصَاف :- الفُفَّةُ تعمل من الخوص للثمر ونحوه . الثوب الغليظ .
- [٥٩] () الفقيه : ج: ٢ ص ١٥٢ .
- [٦٠] () جُرْهُم : قبيلة عربية قديمة . قيل انها جاءت من اليمن وأقامت في مكة وهلكت كما هلك أهل عادوثمود .
- [٦١] () البُس : الحطم ومنه سميت مكة الباسية لأنها تحطم من اخطأ فيها وتسمى البَسَّاسَة لأنهم كانوا اذا ظلموا بَسُّهُمْ أي أهلكتهم . وروي بالنون من النَّس وهو الطرد . مجمع البحرين : ج: ٤ ص ٥٣ .
- [٦٢] () الرَّحْم : الرَّحْمَة ومن أسماء مكة أم رُحْم أي أصل الرحمة .
- [٦٣] () الرَّعَاف : القتل السريع والموت السريع . الوافي : ج: ٢ كتاب الحج : ص ٢٩ .
- [٦٤] () النمل : بثور صغار مع ورم يسير، ثم يتقرح فينسع ويبتسع وبسميها الأطباء الذباب ليجلوا منالأجلاء . نفس المصدر .
- [٦٥] () سيل أتى على وزن فعيل : اذا جاءك ولم يصبك مطره . والسيل الآتي ايضاً: الغريب . نفس المصدر .
- [٦٦] () الفروع : ج: ٤ ص ٢١١ .
- [٦٧] () الفناه - جمعه أفنيّة وفني :- الساحة أمام البيت .
- [٦٨] () آل عمران : ٩٦ .
- [٦٩] () تفسير العياشي : ج: ١ ص ١٨٥ .
- [٧٠] () أرضخ للرجل : أعطاه قليلاً من كثير .
- [٧١] () تفسير العياشي : ج: ١ ص ١٨٦ .

- [٧٢] () الفقيه : ج:٢ ص ١٦٠ .
- [٧٣] () آل عمران : ٩٦ .
- [٧٤] () الميزان : ج:٣ ص ٣٩١ .
- [٧٥] () آل عمران : ٩٦ .
- [٧٦] () الميزان : ج:٣ ص ٣٩٢ .
- [٧٧] () الحج : ٢٥ .
- [٧٨] () الحج : ٢٥ .
- [٧٩] () تفسير القمي : ص ٤٣٩ .
- [٨٠] () الحج : ٢٥ .
- [٨١] () الحاقة : ٣٢ - ٣٣ .
- [٨٢] () الفروع : ج:٤ ص ٢٤٣ .
- [٨٣] () الحج : ٢٥ .
- [٨٤] () العلل : ج:٢ ص ٣٩٦ .
- [٨٥] () الحج : ٢٥ .
- [٨٦] () قرب الاسناد: ص ٥٢ .
- [٨٧] () الحج : ٩٦ - ٩٧ .
- [٨٨] () الفروع : ج:٤ ص ٢٢٣ .
- [٨٩] () أسرار ومعارف حج : ١٨ عن الحجّ والعمرة في الكتاب والسنة : ١٩٦ الحديث ٢٨٣ .
- [٩٠] () الحجّ : ٢٩ - ٣٠ .
- [٩١] () الملك : ٣ - ٤ .
- [٩٢] () الملك : ١ - ٢ .

من أسرار السعي

(إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ) [1] .

(١ - إن السعي بين الصفا والمروة علامة التواضع والتذلل لله سبحانه وتعالى في مقام العبودية والطاعة .

عن الامام الصادق ٧: ما من بقعة أحب إلى الله تعالى من السعي ، لأنه يذل فيه كل جبار .

والسعي بمنزلة الطواف ، لما فيه من الدوران والذهاب والاياب ، فان الطواف بمعنى الحركة حول شيء سواء أكان على سبيل الدوران والإحاطة الظاهرية ، أو الحركة اليه متداوماً على سبيل التكرار ، ولا بد من كسر قيود التكبر والإستكبار فان ذلك من الشيطان ، ولا يكفي المرّة بل لا بد من التكرار .

(٢ - إن جبل (صفا) يرمز إلى الأبوة ، فأنه هبط عليه آدم صفي الله فسمي به ، وجبل (مروة) يرمز إلى الامومة بنزول حواء الام والمرأة عليها فسمي به ، وهذان يرمزان إلى سعي الأولاد في خدمة الآباء والأمهات والبرّ بهما، وإن الولد يركض في خدمتهما ويهرول كما يهرول الحاج بين الصفا والمروة .

(٣ - سعت هاجر بين الجبلين تبحث عن الماء لولدها إسماعيل ، فربما ليرمز ذلك إلى سعي الآباء والأمهات في تربية الأولاد وتعليمهم ، وإن الأم المدرسة الأولى إن أعدتها أعددت جيلاً طاهر الأعراق .

(٤ - إن السعي من شعائر الله فمن العلامة التي تذكر الانسان برّبّه ، وأنه يسعي إليه وبين يديه ، فمنه واليه ، ومن الصفا والمحبة إلى المروة والفتوة ، وبالعكس ، تكراراً ومراراً .

(٥ - إنَّ السعي بين الصفا والمروة تاريخ مجسّد لما جرى فيه بين الجبلين ، فيعيش الانسان أجواء تلك الظروف وتلك البيئة التي ترمز إلى التوحيد، والالتجاء إلى الله سبحانه ، فمن يحضر ساحة الحادثة والواقعة كساحة الحروب ، فإنه ينتاب به إحساس وشعور خاص بانه يعيش لحظات تلك الوقائع والحوادث ويلمسها من قريب ، فإنّه يختلف فيما لو قرء ذلك في كتاب أو سمع ذلك من خطيب أو محاضر ، فيكون من التصديق لا من التصور، ومن العينيّة الخارجيّة لا الوجود الذهني .

(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) [2] .

فمن حجّ البيت وطاف فلا جناح ولا اشكال عليه بل عليه أن يسعى ويطوف بصفا ومروة أي يسعى بينهما، فمن تطوّع وسلّم أمره الله سبحانه فذلك من الخير، وان الله يشكره على سعيه ، فإنّه الشاكر العليم .

(٦ - إن هاجر كانت في سعيها لرفع العطش ، فأفاض الله عليها بزمزم تنبع آلاف السنين ، وتسقى الخلائق بماء معين ، فالسعي بين الصفا والمروة تجديد الخواطر الإيمانيّة والصور التوحيدية ، فمن وصل إنما يصل بسعيه وجهده ، لا بالكسل والخمول .

(٧ - السعي بين الصفا والمروة يرمز إلى حالتي الخوف والرجاء في العبد، فان الساعي من جهة يرجو رحمة ربّه ، ومن جهة أخرى يخاف من ذنبه ومن عذاب ربّه . «أدعوك يا ربّ راهباً راغباً راجياً خائفاً، إذا رأيت مولاي ذنوبي فزعتُ ، وإذا رأيتُ كرمك طمعتُ ، فان عفوت فخير راحم ، وان عدّبت فغير ظالم» [3] .

وتكرار السعي عسى أن يراه صاحب الدار، فربما لم يتوقف في المرّة الاولى فيطرق الباب سبعاً بسبع السموات والأرضين ، وبإغلاق سبع أبواب الجحيم والخلص من

طبقاتها السبع ، وبتحجيم سبع منافذ المعاصي في الانسان ، فيتخلص من الشهوات المحرّمة وبكلّ ما يقال في عدد السبع من أسرار وحكم ، كما ذكر في الطواف ، وبكلّ شوط يرفع ألفاً من الحجب .

وربما تكرر له ليعني أنه لا بدّ من السعي المتواصل والدؤوب في حلّ المشاكل ورفع الصعاب والتاعب .

(٨ - لا يمنعكم ما يفعله الجهّال في سعيكم إلى الله سبحانه ، فأنه في عصر الجاهليّة ، وضع على جبل الصفا صنماً سمّي (أساف) وعلى المروة آخراً باسم (نائلة) وكان المسلمون آنذاك من أجلهما في أذى من السعي حتّى تصوّر البعض أن يترك سعيه لوجود الصنمين ، فنزلت الآية في سورة البقرة (١٥٨) (ان الصفا والمروة من شعائر الله) حتّى ولو كان عليهما الأصنام ، فلا يترك ما فيه الايجاب كالسعي ، لما يفعله الجاهلون من المنفيات كوضع الأصنام على الجبلين ، وكان سبب النزول في عمرة القضاء في السنة السابعة بعد الهجرة النبويّة .

(٩ - ورد في الحديث : إنّ الشيطان أراد أن يهجم على إبراهيم ٧ فهرول منه فارّاً كي لا يلتقي به ، فكانت الهرولة سنّة للطانفين ليفروا من الشياطين من الجنّ والانس ، ويحذرونهم في إغوائهم وتسويلاتهم وخطّطهم وحزبهم .

(١٠ - الأمل في الحياة من أهمّ العوامل لتقدّم والكمال ، فلا يأس ولا فتور ولا جمود، كما لم تياس هاجر، فأنّها بسعيها أفاض الله عليها بنعمة بئر زمزم ، وفتح عليها الآفاق بنور الأبدية ، لتكون رمزاً للبطولة والتضحية والسعي الدؤوب والعمل المتواصل ، والأمل الحيّ والمعقول .

(١١ - ربما (الهرولة) للرجال يعني الفرار من هوى النفس إلى صفاء الروح ومرورة القلب ، ويسقط عن النساء ربما لعدم إثارة الرغبات للرجال في هرولتهن ورعايةً للحشمة والعفة والحياء .

(١٢ - انّ الصفا يعني رجوع الانسان إلى الصفا الروحي والعقلي والقلبي ، ولا بدّ من تصفية الروح من الرذائل ، ثمّ تحليلتها بالمرّة والفتوة والفضائل ، فالانسانية في تكاملها بين الصفاء الروحي والمرّة والفتوة والمحبة .

(١٣ - قيل يستشعر الساعي بين الصفا والمرّة أنّه بين كفتي الميزان يوم القيامة ، فكفة فيها الحسنات ، وأخرى فيها السيئات ، فكثير من الناس من يخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، كأبي لبابة ، فلا بدّ من توبة نصوح حتّى يتوب الله عليه .

(١٤ - في تفسير العياشي عن بعض أصحابنا عن الصادق ٧ سألته عن السعي بين الصفا والمرّة فريضة هي أم سنّة؟ قال : فريضة ، قلت : أليس الله يقول : فلا جناح عليه أن يطوّف بهما؟ قال : كان ذلك في عمرة القضاء، وذلك انّ رسول الله كان شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام حتّى يسعى من دونها، فتشاغل رجل من أصحابه حتّى أُعيدت الأصنام ، فقال قد ردت الأصنام بين الصفا والمرّة ولم أسع ، فانزل الله إن الصفا والمرّة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما، أي والأصنام عليها أو فيهما[4] .

(١٥ - وفي الكافي أيضاً عن الصادق ٧ في حديث حجّ النبي ٦ بعد ما كان بالبيت وصلّى ركعتيه قال ٦: إن الصفا والمرّة من شعائر الله، فابدء بما بدء الله عزّ وجلّ ، وإنّ المسلمين كانوا يظنّون أنّ السعي بين الصفا والمرّة شيء صنعه المشركون ، فانزل الله: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) [5] .

وفي الدرّ المنثور عن عامر الشعبي قال : كان وثن بالصفا يدعى (إساف) ووثن بالمرّة يدعى (نائلة) فكان أهل الجاهليّة إذا كانوا بالبيت يسعون بينهما ويمسحون الوثنيين ، فلما قدم رسول الله ٦ قالوا: يا رسول الله انّ الصفا والمرّة إنّما كان يطاف بهما من أجل الوثنيين ، وليس الطواف بهما من الشعائر، فانزل الله (إن الصفا

والمروة) الآية ، فذكر الصفا من أجل الوثن الذي كان عليه ، وأثبت المروة من جهة الصنم الذي كان عليه موثقاً.

فالآية الكريمة نزلت في تشريع أصل السعي في سنة حجّ فيها المسلمون .
(١٦ - عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين ^{هـ} قال : قلت : لأيّ علّة صار الطواف سبعة أشواط ؟ فقال : إنّ الله قال للملائكة (اني جاعل في الأرض خليفة) فردّوا عليه وقالوا: (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فقال : (اني أعلم ما لا تعلمون) وكان لا يحجبهم عن نوره ، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام ، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة ، فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور في السماء الرابعة ، وجعله مثابة - أي مرجعاً - وجعل البيت الحرام تحت البيت المعمور ، وجعله مثابة للناس وأمناً، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد، لكلّ ألف سنة شوطاً واحداً [6] .

[١] (البقرة : ١٥٨ .

[٢] (البقرة : ١٥٨ .

[٣] (من دعاء أبي حمزة الثمالي : مفاتيح الجنان : ٣٠٠ .

[٤] (البحار : ٩٦ : ٢٣٥ .

[٥] (البقرة : ١٥٨ .

[٦] (وسائل الشيعة : ١٣ : ٣٣٢ الحديث ١٧٨٧٤ .

من أسرار التقصير والحلق

(١ - من واجبات مناسك الحجّ التقصير، وهو أخذ بعض الأظفار أو شيء من الشعر بعد عمرة التمتع، والحلق إزالة شعر الرأس بالموسى بعد حج التمتع للرجال في حجهم الصلوة (حجّة الاسلام) للخروج من الاحرام، وعلى النساء التقصير مطلقاً.

قال الله تعالى : (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُخَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ) [1].

(٢ - حلق الرأس طهارة من الذنوب وإزالة الصفات الذميمة والخروج من الظلمات إلى النور، وربما من هذا المنطلق يقول الحاج عند حلق رأسه : (اللهم أعطني بكل شعرة نوراً يوم القيامة) [2] وتشمله الرحمة الالهية الواسعة كما

دعا رسول الله ﷺ بقوله (اللهم اغفر للمخلقين) كان رسول الله يوم النحر يحلق رأسه ويقلم أظفاره و...).

(٣ - عن سليمان بن مهران قلت لأبي جعفر ٧: فكيف صار الحلق على من كان عليه حج ضرورة واجباً دون من قد حجّ؟ فقال ٧: ليصير بذلك موسماً بسمة الأمنين، ألا تسمع الله عز وجل يقول : (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُخَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ) وبهذا الخبر أوجب صاحب الجواهر ١ الحلق لمن كان حجّه حج ضرورة. فالحلق أمان وشعار العبدوية والرقية والتخلص من المظاهر الدنيوية، ليعرج إلى ربه بقلب طاهر وروح خاضعة ونفس عابدة.

(٤ - يستحب لمن يحلق رأسه أن يدفن شعره في منى ليشهد له يوم القيامة بالحج وتلبى بالحج [3]، كما يشهد الشعر بوحدانية الله (شهد...

وشعري ... أن لا إله إلا الله) [4] قال الصادق ٧: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَلَقَ رَأْسَهُ

بمنى ثم دفنه جاء يوم القيامة وكلّ شعرة لها لسان مطلق تلبي باسم صاحبها».

(٥ - حلق آدم رأسه تواضعاً لله تبارك وتعالى (ثم أفضى إلى منى وأمره جبرئيل أن يحلق الشعر الذي عليه فحلقه) فأول الحالقين آدم ٧ .

(٦ - الحلق يوجب الطهارة الظاهريّة والباطنيّة والتخلّص من العيوب ، والتغلّب على النفس الأمارة والشيطان الداخلي بعد أن يرمي الشياطين في الخارج برمي الجمرات .

قال الامام الصادق ٧ : «وإحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق رأسك» [5] .

(٧ - الحلق يكسب النور، وإن بكلّ شعرة حسنة يوم القيامة ما دمت حيّاً .

قال الصادق ٧ : «إنّ العبد المؤمن إذا حلق رأسه لم يسقط شعره إلا جعل الله له بها نوراً يوم القيامة» .

(٨ - إستغفر رسول الله ٦ للمحلقين ثلاث مرّات وللمقصرين مرّة [6] .

(٩ - في الحديث الشريف : «يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّة» [7] .

[١] () الفتح : ٢٧ .

[٢] () الوسائل : : ١٠ ١٩٠ .

[٣] () الوسائل : : ١٠ ١٨٤ .

[٤] () البحار : : ٤٥ ١٣٩ .

[٥] () مصباح الشريعة : ٧٦ .

[٦] () الفقيه : : ٢ ٢٧٦ .

[٧] () المصدر : : ٣٩ .

من أسرار التروية

(١ - يوم التروية اليوم الثامن من ذي الحجة ، سمّي بذلك لتروي الناس - في الأيام الماضية - من الماء إلى المشاعر الحرام .

(٢ - عن الامام الصادق ٧: إنّ إبراهيم أتاه جبرئيل عند زوال الشمس من يوم التروية فقال : يا إبراهيم إرتو من الماء لك ولأهلك ، ولم يكن بين مكة وعرفات يومئذ ماء فسمّيت التروية لذلك [1] .

(٣ - لقد رأى إبراهيم في المنام أنّه يذبح ولده وكان في اليوم الثامن من ذي الحجة ، فتروى في ذبحه فتكررت رؤياه في عرفات ، فسمّي الثامن من يوم التروية والتاسع يوم عرفة .

من أسرار عرفات

قال الله سبحانه وتعالى : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [1].

(١ - من المشاعر الحرام عرفات وهي بقعة وسيدة تقع بين مكة ومنى بحدود ٢٢ كيلومتر في الجنوب الشرقي من مكة بسعة ١٨ كيلومتر مربع تقريباً يجتمع فيها الحجاج في اليوم التاسع من ذي الحجة من الظهر الشرعي إلى الغروب الشرعي ، ويسمى بوقوف عرفات ، وأنه من أركان الحج .

(٢ - ورد في الحديث المعتبر عن النبي ٦ : «الحجّ عرفة ليدلّ على عظمة يوم عرفة وكأنّه هو الحجّ بتمامه ، فمن تركه متعمداً بطل حجّه .

(٣ - سمّي بعرفة لكون أرضها أعلى من غيرها من المشاعر الأخرى ، أي مزدلفة ومنى والحرم الشريف .

(٤ - سمّي بذلك لقول جبرئيل لآدم ولابراهيم وللرسول الأعظم محمد ٦ (إعرف مناسكك).

(٥ - في عرفات جبل عرف بجبل الرحمة وجبل عرفات ، وفي قمته (نصب أبيض) ليرمز إلى ما ورد في بعض الأخبار من لقاء آدم وحواء بعد هبوطهما على الأرض ، وافتراقهما زمناً طويلاً يسيحان في الأرض يبكيان على خطيئتهما، فاستجاب الله وغفر لهما، فالتقيا في هذه البقعة المباركة ، فسمّي بذلك ، والله العالم .

(٦ - صحراء عرفات يرمز في يوم عرفة إلى الوحدة والمحبة تحت خيمة الله، وإلى صحراء يوم القيامة ، وحشر الناس وخروجهم من الأجداث إلى ربهم ينسلون بدعاء ونحيب وبكاء والتجاء إلى الله عزوجل .

(٧ - عرفة أرض الغفران ، فإنه كثير من الذنوب لا تغفر إلا في عرفة ، كما ورد في فضيلة شهر رمضان إنه شهر الغفران ، فمن حرم من غفرانه ، لا يغفر له إلا في قابل أي شهر رمضان من السنة القابلة - أو يدرك عرفة وأعظم ذنب لأهل عرفة من يخرج منها وهو آيس من رحمة الله في غفران ذنوبه ، فلا يوم كيوم عرفة في النجاة من الذنوب ، ومن نار الله المؤصدة ، فيغفر لمن وقف في عرفة ، بل ولأهله ومن يلوذ به في بلده .

(٨ - عرفة ليعرف الحاج إن الله أحاط به علماً، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ وأخفى ، فعرف ان الله يرى ويسمع ويعلم وقادر على كلّ شيء (وعرفت قبض الله على صحيفتك وإطاعه على سريرتك وقلبك) [2] .

(٩ - في عرفة يذلّ الشيطان إذلالاً، لما يرى من سعة رحمة الله لمن حجّ وإعتمر، وإنه لا تشمله هذه الرحمة لكونه لعن إلى يوم القيامة .

(١٠ - في عرفة يتكامل الانسان في معارفه وعلومه ، ويكسب الكمال من جوار الكملين الحاضرين في عرفة ، لاسيما من أمير الحاج صاحب العصر والزمان الامام المهدي الموعود المنتظر ٧، الذي بوجوده ثبت الأرض والسماء، وبوجوده رزق الورى ، وأي رزق أعظم من أن يكون في بقعة طاهرة يتنفس فيها سيّد الطاهرين في عصره ، فتكون صلاته ودعائه وأعماله قرين صلاة مولاه ودعائه وأعماله ، فيكون شفيعه في عروجه وبلوغه قمّة الكمال من الجلال والجمال .

(١١ - عرفة تذكّار ليوم الحشر في يوم القيامة ، فالكلّ في خضوع وخشوع وبكاء والتجاء إلى الله سبحانه .

(١٢ - في عرفة حضور أولياء الله جلّ جلاله ، وكما في القوس النزولي الأولياء هم واسطة في الفيض الالهي ونزوله ، كذا واسطة فيض وفي القوس الصعودي والعروج إلى الله سبحانه وتعالى .

(١٣ - الوقوف القصير في عرفة تذكرنا وقفنا في الدنيا الدنيّة ، فما أقصرها، إن هي إلا لحظة واحدة من العمر الأبدي .

(١٤ - عرفة موقف الإنتظار للدخول في الحرم الالهي ، ولطواف الزيارة والحبّ والشوق ، فإنّ من يريد أن يدخل البيت والدار يقف على بابيهما منتظراً إذن الدخول . والدار ما يعم الغرف والحجرات ، وانه مشتق من الدائرة ، والاحاطة ما عليه الحائط ، والبيت مشتق من البيوتة فيطلق في الروايات على الغرفة والحجرة التي يبيت فيها المرء .

(١٥ - عرفة أرض الطهارة والقداسة ، عن الامام الصادق ٧: «لا يصلح الوقوف بعرفة على غير طهارة» فيستحب فيها ليوم عرفة الغسل كما يستحب الوضوء، فينبغي أن يطهر ظاهره بالغسل والوضوء، وباطنه بدموع التوبة والندم والاستغفار والدعاء، فان أفضل الأعمال في عرفة الدعاء.

(١٦ - عرفة موضع الولاية ، فان آية إكمال الدين والولاية لأمير المؤمنين علي ٧ (اليوم أكملت لكم دينكم) [3] نزلت بعد أن نزل قوله

تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [4] التي نزلت في يوم عرفة .

وفي عرفة في كلّ سنة يحضر الامام المعصوم صاحب الزمان ٧، عن الامام الصادق ٧ قال : «يفقد الناس إمامهم ، يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه» [5] .

وعن السفير الخاص بالامام ٧ محمّد بن عثمان العمري قال : والله انّ صاحب هذا الأمر ليحضر كلّ سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه[6] .

(١٧ - عرفة أرض الدعاء والانتطاع إلى الله، فأنه من أفضل الأعمال في عرفة وما أكثر الأدعية المأثورة في مدرسة أهل البيت : كدعاء الامام السجّاد في الصحيفة السجّاديّة ، ودعاء الامام الحسين ٧ في يوم عرفة - في مفاتيح الجنان - وغيرهما الكثير.

(١٨ - عرفة من أجمل وأروع صور الوحدة الاسلاميّة ففي مكان واحد وفي زمان واحد بكلّ الأطياف والطوائف والشعوب والجماهير والعرقيات واللغات والألوان والهويّات الشخصيّة والبلدان القاصية والدانية ، وهذا ما يبهر المشاهد المعترف والمتأمل ، ثم بعد الاجتماع الحركة العامّة المليونيّة إلى المشعر الحرام .

[١] () البقرة : ١٩٨ - ١٩٩ .

[٢] () أسرار ومعارف حج : ١٩٨ .

[٣] () المائدة : ٣ .

[٤] () المائدة : ٦٧ .

[٥] () الكافي : : ١ : ٣٢٧ .

[٦] () الفقيه : : ٢ : ٥٢٠ .

من أسرار المشعر الحرام

(١ - سمي المشعر الحرام بالمزدلفة مشتقاً من الزلفي ، والازدلاف بمعنى القرب والاجتماع ، فيتقرب العبد بعد معرفته بالله سبحانه ويزداد شعوراً بالمسؤولية ، ويشعر بقلبه رضا الله سبحانه ، كما يجتمع مع المحرمين في المشعر ، وأنه قريب من مكة المكرمة .

(٢ - قال جبرئيل لابراهيم ٧: إزدلف إلى المشعر الحرام فسميت المزدلفة .

(٣ - بعد إفاضة الحجاج من عرفات إلى المشعر في ليلة العاشر من ذي الحجة يبيتون في المشعر ، ويستحب لهم أن يجمعوا منها حصاة الرمي ، ليرمز أنك في الليل تعد العدة ، وتجمع أسلحتك وعتادك لتحارب بها شياطينك في وضوح النهار ، فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة .

(٤ - يجمع الحاج ٤٨ حصاة أو حجراً صغيراً يرمى الشياطين ، ويستحب أن يزيد في جمعه إلى ٧٠ حصاة ، ومن الكرامات أنه أكثر من ألف سنة يجمع منه ولم يقل في سنة من السنين . واستحباب زيادة الحصى ربما ليرمز إلى الاستعداد الأكثر في جميع الأسلحة في مجابهة الأعداء .

(٥ - تسمى الأرض المقدسة بجمع أيضاً، لجمع آدم بين صلاة المغرب والعشاء فيها كما هو السنة [1] .

(٦ - مشعر الحرام بقعة مباركة تبعد عن عرفات ١٢ كيلومتر تقريباً في طريق مكة تقع بين جبلين ، عرفا بالمأزمين والوقوف فيها من أركان الحج ، سميت بالمشعر من شعار الله أي المكان الذي يطلب فيه الله بوضوح ، كما أنه شعار واضح في مناسك الحج .

(٧ - في ليلة المشعر لا تغلق أبواب السماء على المؤمنين فيستحب مؤكداً إحياءها بالدعاء والعبادة وذكر الله سبحانه ، وإن الله ليستجيب الدعاء في هذه الليلة المباركة ، وفي هذا المكان المبارك .

(٨ - الوقوف في المشعر لرفع الحجب حتى تؤذن للحاج أن يأتي بقربانه في يوم العيد والحج الأكبر .

(٩ - في عرفة تعرف عدوك - النفس الامارة والشياطين من الجن والانس - وفي مشعر الحرام تحمل السلاح وتستعد للمحاربة والجهاد والنضال ، وفي منى في ثلاث أيام ترمي الشياطين وتحارب أعداء الدين والعقيدة والأخلاق ، وفي يوم الانتصار تدخل مكة المكرمة منتصراً لتطوف حول البيت زائراً وعاشقاً وفائزاً فرحاً مسروراً بنصرة الله وتوفيقه وتسديده .

(١٠ - تنال الرحمة الالهية ونزولها في مشعر الحرام .

(١١ - المشعر أرض الذكر الالهي والشكر على هدايته وتوفيقه (فَأذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ) [2] .

(١٢ - المشعر لكسب التقوى والفضيلة ، فان كل واحد عليه أن يشعر بقلبه تقوى الله والورع عن محارمه ويكسب الفضائل ويتجنب الرذائل ، وخير زاد التقوى ، وأنه المطلوب في كل مناسك الحج ، إلا أنه يتجلى أكثر فأكثر في مشعر الحرام .

(١٣ - المشعر أرض الخضوع والخشوع وحب الناس كما ورد عن الامام الصادق ٧ :

(١٤ - إن من ذكر الله في المشعر الحرام أن تذكر جماله في أسمائه في سرّ الخفي ، وتشهد ذلك في واقع وجودك وتشعر به بكل أحاسيسك ومشاعرك ، فلا جاهلية بعد اليوم ، بل سيرك وسلوك إلى الله سبحانه على ضوء المعرفة والشعور والعلم والفهم والحكمة والشهود في الملك والملكوت في الغيب والشهادة .

(١٥ - الوقوف في المشعر يعني إنّ الحاكم في الحياة هو شعار الله سبحانه لا شعار أرباب الدنيا وأصحاب الجاه والمال والرئاسة ، فتعيش على أرض الواقع بلا دور ، ولا خيام ولا سقوف ولا مناظر جلّابة ، ولا حدائق وبساتين ، ولا أنانية وحبّ الذات ، بل بنفسك تجمع الحصى لترمي عدوك في النهار بكلّ وعي وإنتباه .

(١٦ - إنّ في الأدعية لأسرار وحكم تفوق تصور البشر ، فمن تأمل في أدعية الحجّ ومناسكه يقف على خزائن من المعارف والأسرار ، فانه يستحب في مشعر الحرام أن تقول في دعائك (فك رقبتني من النار) أي خلّصني من الشقاء فان الذين شقوا هم في النار ، خالدون فيها مادامت السموات والأرض ، فلا بدّ أولاً أن اتخلّص من البؤس والحرمان والشقاء لأدخل في وادي السعداء في جنّة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين السعداء (وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ) [3] .

[١] () البحار: ٩٦: ٢٦٦ .

[٢] () البقرة : ١٩٨ .

[٣] () هود: ١٠٨ .

من أسرار منى

(١ - في اليوم العاشر من ذي الحجة يدخل الحجاج منى - واد بين وادي محسر بعد مشعر الحرام وبين مكة المكرمة يبعد عنها بستة كيلومتر بين جبلين ، وحدودها ٣/٥ طولاً وخمساً متر عرضاً - لرمي جمرة العقبة (الشیطان الأكبر) ثم الذبح ثم الحلق ، ويبقى فيها إلى يوم الثاني عشر والبعض إلى الثالث عشر، فيها البيوتة ورمي الجمار الثلاث يوم الحادي عشر والثاني عشر وربما الثالث عشر لمن بقي ليلته .

(٢ - سميت (منى) لأن الله سبحانه عند ما غفر لآدم وعرف ما عرف في عرفة وعرفات ، وإقترب من ربه في مزدلفة ، أراد أن يتمنى عليه ، فنزل جبرئيل وقال : تمنّ على الله يا آدم ، فقال : ما أتمناه ؟ فقال : تمنّ الجنة ، فطلب من ربه الجنة ، فأجابه الله عزّوجلّ .

(٣ - عن الصادق ٧: إن جبرئيل ٧ أتى إبراهيم ٧ فقال له تمنّ يا إبراهيم وكانت أمنيته أن يبدل ذبح اسماعيل بكبش ، فأجابه الله سبحانه .

(٤ - سميت أيضاً بـ(منى) يُمنى ويراق فيها الدماء (دماء الذبائح) .

(٥ - في أرض منى المقدّسة الجمار الثلاث (الصغرى والوسطى والكبرى) وفيها المسلخ ، ومسجد الخيف الذي صلّى فيه سبعة نبيّ، وسمّي بالخيف لكونه على سفح الجبل ، أو لارتفاعه عن سطح الأرض .

(٦ - من أسرار منى أن يد الله مع الجماعة ويتجلى الجمع الغفير في نفر الحجاج من عرفات إلى مشعر الحرام ، ثم إلى منى ، وفي هذا النفير العظيم، تتبلور الأنانيات (أنا وأنا) إلى (نحن) ونكون كالسيل والفيضان العارم بإفاضتنا مع الناس، لنحقق آمالنا وأمنياتنا في أرض منى المقدّسة (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم * فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً فمن الناس من يقول ربّنا آتينا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق) [1] .

ونقول : (رَبَّنَا اتِّقَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [2] .

(٧ - منى أرض الذكر الالهي : فكان المشركون في أيام الجاهليّة الاولى يتفاخرون بأبائهم وأجدادهم في أيام التشريق (١١ و ١٢ و ١٣ من ذي الحجة) في منى ، فأمر الله المسلمين أن يتركوا ذلك ويذكروا الله ذكراً كثيراً كذاكرهم لابائهم أو أشدّ ذكراً ، ومن الذكر في منى بعد رمي جمرة العقبة في يوم العيد ما ورد في الأثر (الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وله الحمد ، الله أكبر على ما هدانا ، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام) [3] ورد تكرار هذه التكبيرات بعد الصلوات في منى .

(٨ - منى أرض الولادة الجديدة : فأنه ورد في الأخبار الشريفة عند خروج الحاج من منى ، فأنه يغفر له جميع ذنوبه ويكون كيوم ولدته أمّه ، وعليه أن يستأنف العمل باطاعة الله ولرسوله وللأئمة الأطهار ..

(٩ - منى لكسب الرحمة الالهية وإطمئنان القلب وسكونه ، فبعد أن ذكر الله كثيراً في عرفات ومشعر الحرام ، فانه يطمئن قلبه فيسكن في منى ثلاثة أيام - العاشر والحادي عشر والثاني عشر - إلى بعد الزوال ويخرج منها قبل الغروب وإن بقي ، فعليه أن يأتي برمي الجمرات في اليوم الثالث عشر.

(١٠ - منى أرض الأمانى الحقة والصادقة ، والتي توجب السعادة في الدنيا والآخرة ، فان الله ضمن لأدم الجنة بعد أن تمنّاها ، والجنة دار السلام السعادة (أمّا الذين سعدوا ففي الجنة) ثم إختلاف الأمانى تنبأ عن إختلاف ومراتب الايمان والمعرفة والثقافة ، فمن الناس من يتمنى الدنيا وحطامها ، ومنهم من يتمنى الآخرة ونعيمها.

(١١ - منى أرض تحقّق الأمانى الواقعيّة ، فإنّ الانسان بغرائزه يحبّ الخلود والأبديّة ، ويتحقّق ذلك في الجنّة ، فالمؤمن العاقل والحكيم يتمنى من الله في منى الجنّة ونعيمها، ولا يتمنى الأمانى الكاذبة والباطلة والتي تبنتي على الخيال والأوهام .

[١] () البقرة : ١٩٩ - ٢٠٠ .

[٢] () البقرة : ٢٠١ .

[٣] () الكافي : : ٥١٦ .

من أسرار رمي الجمرات

(١ -) إنّه من سنّة آدم ٧، فإنّه بعد أن طاف بالبيت ووقف في عرفات والمشعر الحرام ومنى ، فأمره الله أن يطوف مرّة أخرى بطواف الزيارة والحبّ ، فتوجّه آدم إلى الكعبة المشرفة ، إلّا إن إبليس الرجيم ناداه : يا آدم إلى أين تريد؟ فالتفت إليه ، فنزل جبرئيل وقال له : هذا هو الشيطان فأرماه ، فرماه وحدث ذلك لثلاث مرّات في ثلاث مواضع التي هي اليوم مواضع رمي الجمار الثلاث .

إن العاشق لا يلتفت إلى غير معشوقه ، فكان المرتجى لمثل آدم ٧ وفي مثل تلك اللحظات التي قصد فيها بيت الله الحرام شوقاً وعشاقاً وحبّاً، أن لا يلتفت إلى غيره ، فأراد الشيطان أن يصرف وجهه فناداه ، فأمر جبرئيل أن يرميه فرماه فابتعد عنه .

(٢ -) أنّه من سنّة إبراهيم الخليل فإنّه عند أخذ ولده إلى المذبح ، تمثّل له إبليس قائلاً: كيف للوالد أن يذبح ولده؟! فأمر جبرئيل أن يرميه حتّى لا يثبّطه في عزيمته .

(٣ -) إن الجمار الثلاث مواضع قبور لثلاثة طواغيت من طغاة التاريخ .

(٤ -) أنّه مواضع لثلاثة أصنام من أصنام قريش وغيرهم .

(٥ -) رمي سبع حصيات يعني رمي الشيطان ومنع نفوذه من منافذه السبعة : الحواس الخمسة الظاهريّة : الباصرة والسامعة واللامسة والشامّة والذائقة ، وقوتي الغضب والشهوة .

(٦ -) رمي الجمار يعني محاربة الشياطين من الجن والانس ومحاربة الطغاة والجبابرة والأصنام ، بكلّ أشكالها وألوانها وأطيافها وآليّاتها.

(٧ -) رمي الجمار بسبعة حصيات يعني رمي الشيطان في أطوار الانسان السبعة : الطبع والنفس والعقل والقلب والسرّ والخفي والأخفى .

(٨ - رمي الجمار يرمز إلى رمي الشياطين من الجنّ والانس ، فمن كان الشيطان قرينه ، أو كان يوسوس في صدره فكيف يرميه؟! فلا بدّ التخلّص من الصفات الشيطانيّة ودفعها ورفعها، حتّى يستعد لتلقى الروح الملاكي .

(٩ - كلّ ما فيه الحياة في الطبيعة من النباتات والحيوانات والانسان ، فإنه يمتلك قوتي الجذب والدفع (الجاذبيّة والدافعيّة) ويتبلور في الانسان تارة بقوتي الشهوة والغضب ، وأخرى بالمحبّة والعداء، وثالثة بالإرادة والكرهه ، وغيرها والجامع بين هذه المظاهر هو التولي والتّبري ، ومن أبرز ما في الحجّ في مناسكه وأحكامه ومعالمه وعوالمه ، هو إثبات التوحيد ونفي الشرك ، ويتصفان بالولاء والبراءة ، والايان بالله والكفر بالطاغوت .

ورمز الأوّل الطواف حول البيت في بداية المسير إلى الله، كما رمز الثاني رمي الجمار والخلاص من الشيطان والتّبري منه ومن أعوانه ومظاهره من الطواغيت والأصنام .

(١٠ - ويستحب له أن يتطهر بغسل أو وضوء، وكأنّه يرمز إلى أن الطاهر في باطنه من الخبائث والأرجاس يتوفّق لرمي الشياطين والأبالسة من الجن والانس .

ولا يخفى ان الظاهر عنوان الباطن ، فمن تمكن من رمي الشيطان في باطنه ، قبل منه رمي الشيطان والجمار في الظاهر، وانما يحمى المؤمن نفسه من شرّ الشيطان بالاستعاذة بالله (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) [1] .

(١١ - من السنن العربيّة في الأيام القديمة أنّه من كان مبعوضاً، فإنّه يُرمى سواء أكان حيّاً أو ميتاً، ومن هذا المنطلق كان يرمون قبر أبي زغال قائد جيش (أبرهة) صاحب قصّة أصحاب الفيل وطير الأبايل ، يقول جرير في هجو فرزدق :

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي زغال

(١٢) - رمي الجمار يوجب نورانية الباطن ، وهذا يعني أن الجهاد والمبارزة الدائمة والمتوالية بالعدّة والعدد يكسب منه الحياة النورية ، وأن يعيش الانسان على ضوء الأنوار ، ولا يعيش الظلام والظلمات والظلم ، فينحرف عن الصراط ، أو يقع في هاوية الخطايا والذنوب ومهالك المعاصي والآثام ، ويصطدم بصخور الرذائل والمساوي الأخلاقية .

(١٣) - يستحب التكبير عند كل رمي أو بعده ، ويدلّ ذلك على عظمة الله سبحانه وعزّة وذلّة الشيطان وضعفه ، فالعظمة والعزّة لله جميعاً، وإنّ المحاربة مع الشيطان وجنوده وحزبه إنّما هو الله سبحانه ، وباسمه وكبريائه .

(١٤) - ترمي الجمار الثلاث في ثلاثة أيّام ليدلّ على استمرار الصراع والمقاومة في طريق الحق ، وأنّه كلّما أراد أن يقترب من بيت الله ليطوف حوله طواف الحب والزيارة فإن الشيطان يعيقه بنصب أحجار في مساره ، فلا بدّ من رميه وتجاوزه العقبات والعوائق مهما كلف الأمر ، ولو بسبع حصيات وبأيّام متوالية .

(١٥) - وربما السرّ في إستقبال الشيطان في رمي الجمرة العقبة وأن تكون الكعبة خلف الرامي ليدلّ على أنّه برميه يمنع دخول الشيطان في الحرم ويستقبله في مبارزته ، وإنّه مادام لم يحارب الشيطان الأكبر ويتخلّص منه كيف يتوجّه إلى كعبة ربّه وقبلته في عروجه وصلاته .

(١٦) - لا بدّ في رمي الشياطين من وحدة الصفوف والاجتماع الموحد كما كان في عرفات والمشعر ، ليدلّ على وحدة المسلمين في صراعهم مع أعداء الاسلام كالصهاينة والاستكبار والاستعمار والماسونية والشيوعية والكفر والشرك والالحاد ، وأصحاب البذع والضال والمضل ، وكلّ ما عليه اسم الشيطان وكان مظهراً له .

(١٧) - إن الطواف الواجب في الحجّ (٢١) شوطاً والسعي (١٤) شوطاً ولكن رمي الحصيات (٤٩) حصة ، وهذا يدلّ على زيادة النضال ضدّ العدوّ وضدّ الشيطان ومادام لم يكن كذلك كيف يصل الانسان إلى قرب ربّه وطواف كعبته؟!!

(١٨ - لعدد السبعة رموز وأسرار فالطواف سبعة أشواط ، والسعي سبعة

أشواط ، والرمي سبع مرّات ، وكلّ مرّة سبع حصيات ، ربما اشارة إلى الجهد
والجهاد في مراحل الحياة السبع منذ انعقاد النطفة (وشاركهم في الأموال والأولاد)
إلى ساعة الاحتضار والممات .

(١٩ - قال رسول الله ﷺ : «رمي الجمار ذخر يوم القيامة ، والحاج إذا رمى الجمار
خرج من ذنوبه» وقال الصادق ﷺ : «من رمى الجمار حُطّ عنه بكلّ حصاة كبيرة
موبقة ، وإذا رماها المؤمن التقفها الملك ، وإذا رماها الكافر قال الشيطان
بأسّتك [2] ما رميت» [3] .

لا يخفى إن اطلاق الكافر يعم الكافر بالتوحيد والنبوة والإمامة ، فمن كفر بالإمامة
ولم يعرف إمام زمانه ، فانه اذا رمى الجمار انما يقول له الشيطان بإسّتك ما رميت
- كناية عن عدم انتفاعه بهذا الرمي ، لأنّه يبتني صحّته وقبوله على صحّة العقيدة
وقبول ولاية الامام المعصوم وطاعته .

(٢٠ - عن أبي عبدالله ﷺ في حديث : قال : ثمّ أخذ جبرئيل بيد آدم ﷺ فانطلق به إلى
البيت فعرض له إبليس عند الجمرة فقال له إبليس لعنه الله: يا آدم أين تريد؟ فقال له
جبرئيل ﷺ : يا آدم ارمه بسبع حصيات وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة ففعل ذلك آدم ﷺ
فذهب إبليس ثمّ عرض له عند الجمرة الثانية فقال : يا آدم أين تريد؟ فقال له
جبرئيل ﷺ : ارمه بسبع حصيات وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة ففعل ذلك آدم ، وكان
كذلك في الجمرة الثالثة فقال له جبرئيل : أنّك لن تراه بعد مقامك هذا أبداً .
(فبهدهم إقتده)

[١] () الأعراف : ٢٠٠.

[٢] () الأُست : موضع خروج الغائط .

[٣] () من لا يحضره الفقيه : ٢ : ٢١٤.

من أسرار الهدى

(١ - قال الله تعالى : (وَلَا تَخْلِفُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ) [1] .

(لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ) [2] .

(٢ - إن قصة إبراهيم الخليل وأمره بذبح ولده في الرؤيا، وإبداله بالكبش من الجنة .
مذكورة في التفاسير والأحاديث وقصص الأنبياء وتاريخهم فراجع ، فإنّ لكم في
إبراهيم أسوة حسنة .

(٣ - من فلسفة الهدى في اليوم العاشر من ذي الحجة في منى أن يتخلّص الإنسان
من علائق الدنيا والشهوات والملاذ من باب (اقتلوا أنفسكم) قال الامام الصادق ٧:
«وانذبح حنجرتي الهوى والطمع عند الذبيحة».

(٤ - وإن لم يستطع من الهدى فصيام عشرة أيام ، ليرمز إلى إضعاف الشهوانية
والملاذ الانسانية .

(٥ - لابدّ من ملاحظة شرائط الذبيحة من سلامتها وبلوغها، وكذلك الشرائط في
ذبح النفس ، أي مخالفة الهوى والنفس الامارة بالسوء بأن لا تكون

طفلة ولا عند ضعفها، ولا كونها معيوبة ، فان قتلها كذلك لو كان لكان لا قيمة له ،
بل يخالف النفس الامارة عند شبابيتها ونشاطها، أي في أيام شبابه (موتوا قبل أن
تموتوا).

(٦ - تقسم الأضحية يوم العيد في منى ثلاثة أقسام لتأكل منه ويأكل منه ، الفقراء والمؤمنون ، وكذلك المؤمن في حياته ، فإنه ليس لنفسه وحسب ، بل خير الناس من نفع الناس .

(٧ - قال الله تعالى : (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) [3]

فيقبل من الذبيحة ما كان من التقوى ، وبالتقوى ، وإلى التقوى (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [4]).

(٨ - كان الذبح والنحر للهدى في الجاهلية ، إلا أنه مشوب بالشرك ، فكان يُلطخ دمه بالكعبة ، كما يضعون من لحمه عليها ليتقبل الله منهم حجهم ، وجاء الإسلام ليقر بالهدى أيضاً ، إلا أنه مطهر من الشرك ، فصار ذا حرمة خاصة ، وإن ما يصل إلى الله سبحانه ليس اللحم والشحم ، بل المقصود روح العمل وهو التقوى ، فإنه بالتقوى يتقرب العبد إلى ربه ، ويقبل من الحاج والحاجة حجها ، وبهذا يسمى يوم الهدى بالحج الأكبر .

(٩ - كلّ **عمل** مع قصد القربة إلى الله يكون من القربان المقبول ، كما ورد في الحديث الشريف : «إنّ الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام» .

(١٠ - والحاج والحاجة بذبحهما الهدى يذبحان عفاريت الطمع والهوى والملاذ المحرمة في أنفسهما .

(١١ - عن الامام الباقر ٧ : «ان الله يحب إطعام الطعام وإراقة الدماء» أي يذبح الأنعام في سبيل الله ليطعم بها الفقراء والمساكين .

(١٢ - من مقاصد الأضحية ذكر الله (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) [5] .

(١٣ - ان للقربان تاريخاً يرجع إلى ولدي آدم ، فان كلّ منهما قدّم قرباناً، إلا أن الله سبحانه تقبل من هابيل الصالح دون قابيل الطالح ، فان الله إنما يتقبل من المتقين ، الذين يقدمون الأفضل والأحبّ عندهم دائماً، ثمّ قدّم إبراهيم الخليل ولده إسماعيل قرباناً، ثمّ الرسول الأعظم محمّد ٦ قدّم ٦٦ بغيراً عن نفسه و ٢٤ عن أمير المؤمنين في حجة الوداع .

(١٤ - القربان تجلّي الإيثار ورمز التسليم لله سبحانه وتعالى ، ومن دعاء الذبيحة :
بسم الله وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين).

(١٥ - الذبح في منى خلاص من النار .

قال الامام السجّاد ٧: «إذا ذبح الحاج كان فداه من النار».

فالذبيحة لها ظاهر وهو الحيوان بصفاته المذكورة في الفقه الاسلامي ،

وباطن وهو النفس الحيوانية ، فانه في يوم عيد عليه أن يذبحها قرباناً لله سبحانه .

(١٦ - الذبيحة من آيات الشكر ، فان المحرم بذبيحته يشكر نعمة ربّه وإنصاره على الهوى والنفس الأمارة بالسوء ، فبذبح الذبيحة يذبح نفسه الأمارة ، فيشكر الله على ذلك (وَأَلْبُدُنْ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [6] .

فهذه الذبيحة شكراً لله على هدايته وتوفيقه وتسديده كما إنّ الله سبحانه أمر نبيّه لشكر نعمة الكوثر بأن ينحر (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ) [7] .

(١٧ - بالذبيحة تتذكّر قصة ابراهيم وتسليمه وصبر اسماعيل وإيمانه (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) [8] وإلى هذا المعنى أشار

الامام السجاد ٧ بقوله : «فَعِنْدَ مَا ذَبَحْتَ هَدِيكَ نَوَيْتَ أَنَّكَ اتَّبَعْتَ سُنَّةَ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِ وَلَدِهِ وَثَمَرَةِ فُؤَادِهِ وَرِيحَانِ قَلْبِهِ وَحِجَّةِ سُنَّتِهِ لِمَنْ بَعْدَهُ ، وَقَرَّبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ خَلَقَهُ « فالحاج كإبراهيم وإسماعيل في معرض الابتلاء الإلهي والاختبار والامتحان في دار الدنيا، ولن ينال الله لحومها ولا دمائها ولكن يناله التقوى منكم ، فيقبل قربان ما كان مثل قربان هابيل وإبراهيم الخليل ٨.

(١٨ - قال رسول الله ٦: «إِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ هَذَا الْأُضْحَى لِنَتْسَعِ مَسَاكِينِكُمْ مِنَ اللَّحْمِ فَأَطْعَمُوهُمْ» [9] .

(١٩ - الذبيحة والقربان من تعظيم شعائر الله فيها الخير الكثير (وَالْبُذْنُ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ) (وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) [10] .

قال الامام الصادق ٧: «إِذَا رَمَيْتَ الْجَمْرَةَ فَاشْتَرِ هَدِيكَ إِنْ كَانَ مِنْ الْبَدَنِ وَالْبَقْرِ... وَعَظَّمِ شَعَائِرَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ» [11] .

(٢٠ - الذبيحة توجب غفران الذنوب .

قال رسول الله ٦: «كَانَتْ أَوَّلَ قَطْرَةٍ لَهُ كَفَّارَةٌ لِكُلِّ ذَنْبٍ» .

قال الامام الصادق ٧: «أَنَّهُ يَغْفِرُ لِصَاحِبِهَا عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا إِلَى الْأَرْضِ» .

(٢١ - الذبيحة ذكر الله سبحانه .

قال الله تعالى : (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) [12].

فذكر بدل الذبيحة إنّما هو من ذكر الله سبحانه ، ليدل على أنّ المقصود من (التضحية (التسمية) وذكر الله الحسن على كلّ حال ، فذكر الله سبحانه نعمة على عباده ، وإنّما المقصود من الحياة الدنيويّة هو التقرب إليه بالعبادة والشكر له خالصاً مخلصاً، فإن الدنيا مزرعة الآخرة ومتجر أولياء الله.

فالمقصود من مناسك الحجّ بصورة عامّة أن يذكر الله في السرّ والعلن ، ما في

الظاهر والباطن ، في اللسان والقلب ، في الجوانح والجوارح ، فيضحى بذبيحة في الظاهر، ويذكر الله بقلبه في الباطن ، وكذلك الأمر في كلّ معلم من معالم الحجّ ، وفي كلّ شعيرة من شعائر الله سبحانه وتعالى ، وان الحجّ ليجسد لنا الايمان بالمبدء والمعاد وما بينهما من المعتقدات والسلوك والأعمال الصالحة في الاسلام ، وفي كلّ منسك ومعلم سر - كما مرّت الاشارة إلى البعض مجملاً - ومن باب النموذج أختم هذا الفصل بما ورد عن أمير المؤمنين علي ٧ ليستوحي القاري الكريم بنباهته وبما عنده من الخزين العلمي والثقافي من وراء ذلك بعض الأسرار والحكم .

إنّ أمير المؤمنين ٧ سئل عن الوقوف بالجبل - عرفات - لِمَ لَمْ يكن في الحرم ؟ فقال : لأنّ الكعبة بيته ، والحرم ببابه . فلما قصدوه وافدين وقفهم بالباب يتضرّعون .

قيل له : فالمشعر الحرام لِمَ صار في الحرم ؟ قال : لأنّه لَمَّا أُذن لهم بالدخول وقفهم بالباب الثاني ، فلَمَّا كان تضرّعهم بها أُذن لهم لتقريب قربانهم ، فلَمَّا قضوا تفثهم تطهّروا بها من الذنوب التي كانت حجاباً بينهم وبينه ، أُذن لهم بالزيارة على الطهارة

، قيل له : فلم حرم الصيام أيام التشريق ؟ قال : لأن القوم زوّار الله، وهم في ضيافته ولا يجمل بمضيف أن يصوم أضيافه .

قيل له : فالتعلق بأستار الكعبة لأي معنى هو؟ قال : مثل رجل له عند آخر جناية وذنب ، فهو يتعلّق بثوبه يتضرّع إليه ويخضع له ، أن يتجافى عن ذنبه[13] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

[١] () البقرة : ١٩٦ .

[٢] () المائدة : ١٢ .

[٣] () الحجّ : ٣٧ .

[٤] () المائدة : ٢٧ .

[٥] () الحجّ : ٢٨ .

[٦] () الحجّ : ٣٦ .

[٧] () الكوثر: ١ - ٢ .

[٨] () الصافات : ١٠٢ .

[٩] () الفقيه : : ٢٠٤ ٢١٤ .

[١٠] () الحجّ : ٣٢ .

[١١] () الوسائل : أبواب الذبح .

[١٢] () الحجّ : ٢٨ .

[١٣] () الكافي : : ٤٠٤ ٢٢٤ .

الفصل السادس

أتموا الحجّ والعمرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - قال الله تعالى في كتابه الكريم : (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) [1] .

إنَّ الإِتْمَامَ تارة يكون بلحاظ الامتداد الزماني كما في قوله تعالى : (ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الْتَّيْلِ) [2] وأخرى بلحاظ إجتماع الشرائط والأجزاء وعدم الموانع

كما في آية إتمام الحج والعمرة ، ومن ثمَّ من إتمام الحج والعمرة الاحرام من الميقات [3] .

(٢ - كما من اتمامهما في الباطن وما وراء المناسك هو لقاء الامام المعصوم ٧ كما ورد في الحديث المعتبر: «من تمام الحج لقاء الامام» أي الايمان بطاعته وولايته ومعرفته ، فإنه من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة ، ميتة كفر وضلال .

(٣ - ومن تمام الحج عدم الفسوق والرفث والجدال .

عن الإمام الصادق ٧ : «إتمامهما أن لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج» [4] .

(٤ - ومن إتمامهما كما عن الامام الصادق ٧ : «إذا أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله كثيراً، وقلة الكلام إلا بخير، فان من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلا من خير» [5] .

(٥ - في الحديث الشريف قال سليمان للامام الصادق ٧: فقلت فكيف صار التكبير يذهب بالضغوط هناك ؟ - أي ما يكون فيه الازدحام والتدافع فعند ما يكبر الانسان فانه تحصل فرجة ويزول الضغط والمزاحمة - قال : لأن قول العبد الله أكبر معناه : الله أكبر من أن يكون مثل الأصنام المنحوتة والآلهة المعبودة دونه ، وإن إبليس في شياطينه يضيق على الحاج مسلکهم في ذلك الموضع ، فاذا سمع التكبير طار مع شياطينه ، وتبعته الملائكة حتى يقعوا في اللجة الخضراء .

أقول : ورد في الأحاديث المعتبرة أنّ الصلاة على محمد وآله بصوت عال يطرد النفاق ويبعده ، كما يطرد الشياطين ، وفي أي ازدحام لاسيما في الأماكن المقدسة كالطواف والسعي والإفاضة من عرفات والمشعر وفي رمي الجمار ، وكذلك العتبات المقدسة والمشاهد المشرفة ، إذا صلى الناس على النبي وآله ، ولاسيما بصوت عال فانه يذهب بالضغوط ، ويزيل الازدحام بهدوء وسلامة وفرجة ، وهذا ما لمسناه وجربناه تكراراً ومراراً ، والحمد لله على نعمة الولاية وجسيم الهداية .

(٦ - يستحب لمن حجّ البيت لأول مرة ، ويسمى بالحج الصرورة ، أن يدخل الكعبة المشرفة والسرّ في ذلك : عن سليمان قلت للامام الصادق ٧ : وكيف صار الصرورة يستحب له دخول الكعبة دون من قد حجّ ؟ فقال : لأن الصرورة قاض فرض مدعو إلى حجّ بيت الله ، فيجب أن يدخل البيت الذي دُعي إليه ليكرم فيه .

فقلت : وكيف صار الحلق عليه واجباً دون من قد حجّ ؟ فقال : ليصير بذلك موسماً بسملة الآمنين ، ألا تسمع قول الله عزوجل يقول : (لَتَنخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُخَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ) [6] .

فقلت له فكيف صار وطء المشعر الحرام عليه فريضة ؟ قال : ليستوجب بذلك وطء بحبوحة الجنة .

(٧ - روى عن إرشاد القلوب ومشارق الأنوار في حديث طويل أنّه سئل أمير المؤمنين ٧ فيما سئل : (أين بكّة من مكّة ؟) فقال : مكّة أكناف الحرم ، وبكّة

مكان البيت ، قال السائل : ولم سمّيت مكّة ؟ قال : لأنّ الله مكّ الأرض من تحتها ،
أي دحاها، قال : فلم سمّيت بكّة ؟ قال : لأنّها بكّت عيون الجبارين والمذنبين [7] .

قال : صدقت .

وفي الارشاد: لأنّها بكّت رقاب الجبارين وأعناق المذنبين .

(٨ - توبة آدم : عن أبي عبدالله ٧ قال : فمكث آدم ٧ بذلك ما شاء الله أن يمكث لا
يكلمه الله، ولا يرسل إليه رسولاً، والربّ سبحانه يباهى بصبره الملائكة ، فلمّا بلغ
الوقت الذي يريد الله عزّوجلّ أن يتوب على آدم ٧ فيه ، أرسل الله جبرئيل ٧ فقال :
السلام عليك يا آدم الصابر لبليته التائب عن خطيئته ، انّ الله عزّوجلّ بعثني إليك
لأعلمك المناسك التي يريد الله أن يتوب عليك بها.

[١] () البقرة : ١٩٦ .

[٢] () البقرة : ١٨٧ .

[٣] () الوسائل : ٨ : ٢٣٤ - المصدر : ٩ : ١١٠ .

[٤] () من لا يحضره الفقيه : ٢ : ٢٣٨ .

[٥] () الكافي : ٤ : ٣٣٨ .

[٦] () الفتح : ٢٧ .

طواف الوداع وآدابه

(١ - من المستحبات المؤكدة وقيل بوجوبه طواف الوداع ، فعند رحيله وخروجه من مكة المكرمة يطوف الحاج والحاجة بطواف الوداع .

(٢ - يرمز طواف الوداع إلى ان الحجّ بدايته ونهايته باسم الله سبحانه ، فإنه في البداية يلبي (لبيك اللهم لبيك) وفي النهاية يطوف بطواف الوداع ، فسبحانه هو الأول وهو الآخر ، هو الظاهر هو الباطن ، ذو الجلال والاکرام ، وله الأسماء الحسنى .

(٣ - من الأدب الدعاء ودعاء طواف الوداع : (اللهم إقلني مفلحاً منجماً مستجاباً لي بأفضل ما يرجع به أحد من وفدك من المغفرة والبركة والرضوان والعافية ممّا يسعني أن أطلب ... [1] .

(٤ - عند الخروج عن الحرم الشريف في آخر وداع يضع الحاج يده على بيت الله ويقول : المسكين على بابك فتصدّق عليه بالجنّة .

(٥ - وفي الفروع : عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ ومحمّد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ؛ وابن أبي عمير ، عن معاوية بن عمّار ، عن أبي عبد الله ٧ قال : إذا أردت أن تخرج من مكة وتأتي أهلَكَ فودّع البيت وطف بالبيت أسبوعاً وإن استطعت ان تستلم الحجر الأسود والركن اليماني في كلّ شوط فافعل ، وإلا فافتتح به واختم به ، فإن لم تستطع ذلك فموسّع عليك ، ثم تأتي المستجار فتصنع عنده كما صنعت يوم قدمت مكة وتخيّر لنفسك من الدعاء ، ثم استلم الحجر الأسود ، ثم ألصق بطنك بالبيت تضع يدك على الحجر والأخرى ممّا يلي الباب واحمد الله وأثن عليه وصلّ على النبيّ ٦ ثم قل : «اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك ونبيّك وأمينك وحبيبك ونجيبك وخيرتك من خلقك اللهم كما بلغ

رسالاتك وجاهد في سبيلك وصدع بأمرك وأوذني في جنبك وعبدك حتى أتاه
اليقين ، اللهم اقلبني مفلحاً منجماً مستجاباً لي بأفضل ما يرجع به أحد من وفدك من
المغفرة والبركة والرّحمة والرّضوان والعافية ، اللهم إن أمتني فاغفر لي وإن
أحييتني فارزقنيه من قابل ، اللهم لا تجعله آخر العهد من بيتك ، اللهم إني عبدك
وابن عبدك وابن أمتك ، حملتني على دوابك وسيّرتني في بلادك حتى أقدمتني
حرمك وأمنك وقد كان في حسن ظني بك أن تغفر لي ذنوبي فإن كنت قد غفرت
لي ذنوبي فازدد عني رضاً وقربني إليك زلفاً ولا تباعدني وإن كنت لم تغفر لي فمن
الآن فاغفر لي قبل أن تنأى [2] عن بيتك

داري فهذا أو ان إنصرافي إن كنت أذنت لي غير راغب عنك ولا عن بيتك ولا
مستبدل بك ولا به ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي
حتى تبلغني أهلي ، فإذا بلغتني أهلي فاكفني مؤونة عبادك وعبالي فإنك ولي ذلك
من خلقك ومني . ثم أنت زمزم فاشرب من مائها، ثم اخرج وقل : «أنبون تائبون
عابدون لرّبنا حامدون إلى ربنا راغبون إلى الله راجعون إن شاء الله» : قال : وإن
أبا عبد الله ٧ لما ودّعها وأراد أن يخرج من المسجد الحرام خرّ ساجداً عند باب المسجد
طويلاً، ثم قام فخرج [3] .

(٦ - وفي الفروع : محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد، عن إبراهيم بن أبي
محمود قال : رأيت أبا الحسن ٧ ودّع البيت فلما أراد أن يخرج من باب المسجد خرّ
ساجداً، ثم قام فاستقبل الكعبة فقال : «اللهم إني أنقلب على ألى إله إلا أنت» [4] .

(٧ - وفي الفروع : عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد؛ وأبو عليّ الأشعريّ، عن
الحسن بن عليّ الكوفيّ، عن علي بن مهزيار قال : رأيت أبا جعفر الثاني ٧ في سنة
خمس وعشرين ومائتين ودّع البيت بعد ارتفاع الشمس وطاف بالبيت ، يستلم الرّكن
اليمني في كلّ شوط ، فلما كان في الشوط السابع استلمه واستلم الحجر ومسح بيده ،

ثم مسح وجهه بيده ، ثم أتى المقام فصلّى خلفه ركعتين ، ثم خرج إلى دبر الكعبة إلى الملتزم فالتزم البيت وكشف الثوب على بطنه ، ثم وقف عليه طويلاً يدعو ، ثم خرج من باب الحنّاطين وتوجّه : قال : فرأيته في سنة سبع عشرة ومائتين ودّع البيت ليلاً يستلم الركن اليماني والحجر الأسود في كلّ شوط فلما كان في الشوط السابع التزم البيت في دبر الكعبة قريباً من الركن اليماني وفوق الحجر المستطيل وكشف الثوب عن بطنه ، ثم أتى الحجر فقبله ومسحه وخرج إلى المقام فصلّى خلفه ، ثم مضى ولم يعد إلى البيت وكان وقوعه على الملتزم بقدر ما طاف بعض أصحابنا سبعة أشواط وبعضهم ثمانية [5] .

(٨ - وفي الفروع : الحسين بن محمد ، عن محمد بن أحمد النهديّ ، عن يعقوب بن يزيد ، عن عبدالله بن جبلة ، عن قثم بن كعب قال : قال أبو عبدالله ٧ : إنك لتدمن الحجّ ؟ قلت : أجل ، قال : فليكن آخر عهدك بالبيت أن تضع يدك على الباب وتقول : «المسكين على بابك فتصدّق عليه بالجنّة» [6] .

(٩ - وفي العيون : حدثنا ابي ٢ ، قال : حدثنا احمد بن ادريس ، عن محمد بن احمد بن يحيى بن عمران الاشعري ، قال : حدثني محمد بن احمد ، عن الحسن بن علي بن كيسان ، عن موسى بن سلام ، قال : اعتمر ابو الحسن الرضا ٧ فلما ودّع البيت وصار إلى باب الحنّاطين ليخرج منه وقف في صحن المسجد في ظهر الكعبة ، ثم رفع يديه فدعا ، ثم التفت إلينا فقال : نعم المطلوب به الحاجة اليه ، الصلاة فيه أفضل من الصلاة في غيره ستين سنة أو شهراً ، فلما صار عند الباب قال : «اللهم إني خرجت على أن لا إله إلا أنت» [7] .

[١] () الوسائل : : ١٠ ٣٣١ .

[٢] () تنأى : تبعد .

[٣] () الفروع : ج: ٤ ص ٥٣١ .

[٤] () نفس المصدر؛ عيون اخبار الرضا ٧ : ج ٢ ، ص ١٨ .

[٥] () الفروع : ج:٤ ص٥٣٢.

[٦] () الفروع : ج:٤ ص٥٣٢.

[٧] () عيون اخبار الرضا ٧: ج:٢ ص١٨.

قبول الحجّ ونوره

لكلّ شيء علامة وآية (وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) [1] ، ومن آيات قبول

الحجّ وعلاماته أن لا يرجع الحاج أو الحاجة إلى معصية الله سبحانه .

(١ - قال الامام الصادق ٧: قال رسول الله ٦: من علامة قبول الحجّ اذا رجع الرجل

عمّا كان عليه من المعاصي ، هذا علامة قبول الحجّ ، وإن رجع من الحجّ ، ثمّ

إنهمك فيما كان عليه من زنا وخيانة أو معصية ، فقد رُدّ عليه حجّه .

(٢ - وقال ٧: الحاج لا يزال عليه نور الحجّ ما لم يلمّ بذنب [2] .

فلا نضيع أتعاب الحجّ وصعوباته بشهوة فانية ، أو غيبة أو كذبة ، أو أي ذنب صغير

أو كبير ، بل نحافظ على النور الذي كسبناه في أيّام الحجّ من مناسكه وعباداته وآدابه

المعنويّة وأسراره الخفيّة ، ونستعين بالله وبالصبر والصلاة . ويكون ذلك لنا نوراً

يسعى بين أيدينا يوم القيامة .

(٣ - عن الحسين بن خالد قال : كتبت لأبي الحسن ٧ كيف صار الحاج لا يكتب

عليه ذنب أربعة أشهر من يوم يحلق رأسه ؟ فقال : ان الله أباح للمشركين

الحرم أربعة أشهر ، إذ يقول : فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، فأباح للمؤمنين اذا

زاروه حلاً من الذنوب أربعة أشهر . وكانوا أحقّ بذلك من المشركين [3] .

ولا يخفى إنّ المراد من الذنوب التي لا تكتب على الحاج أربعة أشهر هي الذنوب الصغار المسمّى باللمم ، ففي خير الامام الصادق ٧: ولما تكتب عليه الذنوب أربعة أشهر وتكتب له الحسنات ، إلا أن يأتي بكبيرة .

[١] () النحل : ١٦ .

[٢] () الوسائل : ٨ : ٦٨ .

[٣] () البحار: ١٦٦: ١٠ ح ٢٩ .

حج النبي ٦ وعمراته

لقد حجَّ النبيُّ الرسولُ الأعظمُ محمَّدٌ ٦ طيلة حياته الشريفة واحداً وعشرين مرّةً ،
واحدة منها كانت بعد الهجرة إلى المدينة المنورة .

وفي ذي القعدة إعتمر ٦ في السنة السادسة من الهجرة ، وعرفت بعمره الحديبية ،
وإعتمر في السنة السابعة وعرفت بعمره القضاء، وإعتمر في الثامنة أيضاً .

وأما حجّه بعد الهجرة فكانت في السنة العاشرة من الهجرة ، وعرفت بحجّة الوداع ،
كما سمّيت بحجّة الاسلام وحجّة البلاغ .

قال ٦: خذوا عني مناسككم [1] .

وفي حجّة الوداع خطب بخطبته المشهورة التي تحتوي على أسرار الحجّ أيضاً
(فليبلغ الشاهد منكم الغائب) [2] .

في حجّة الوداع وفي غدیر خم نصب رسول الله محمّد ٦، بأمر من الله سبحانه (بَلِّغْ مَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ) إمام المسلمين علي بن أبي طالب أميراً على الناس

وخليفته من بعده وقال : «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهمّ وال من والاه ،
وعاد من عاداه ، وأنصر من نصره ، وأخذل من خذله» [3] .

[١] () عوالي اللئالي : : ٢١٥ ١.

[٢] () البحار: : ٣٨٠ ٢١ والكافي : : ٤٠٣ ١.

[٣] () تاريخ اليعقوبي : : ١١٢ ٢ والكافي : : ٢٥٩ ١.

حجّ الأنبياء :

ان الجن كانت تسكن الأرض قبل هبوط آدم اليها، ففسقوا عن أمر ربهم وأفسدوا في الأرض ، فأمر الله ملائكته أن يحاربونهم ، فنزلت الملائكة أفواجا، ودار الحرب الظروس بينهم وبين الجن ، وإنتصرت الملائكة وأخذوا إبليس أسيراً إلى السماء، اذ كان من علماء الجن فتكريماً لعلمه لم يقتل ، بل أخذ أسيراً إلى السماء، فعبد الله في ركوع وسجود بسنة آلاف حتى صار بعبادته طاووس الملائكة ، وعلم إبليس أن الله علماً خاصاً لا يعلمه إلا لخاصة خلقه فعبد الله ليصل إلى ذلك العلم إلا ان الحكمة الالهية اقتضت أن يخلق من التراب بشراً سوياً، فخلق آدم ٧ - بعد أن أرسل عزرائيل ليأخذ من اديم الأرض - ليعلمه فأمر الملائكة أن يخضعوا له ويسجدوا بعد أن علمه فسجدوا له إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وحسد آدم على علمه ، وأراد أجر عبادته من ربه بأن يبقى إلى يوم يبعثون ليضلّ بني آدم كما أراد أن يتسلط على آدم وولده بأن يدخل في جوارحه وجوانحه ، فأذن الله له ذلك ، فكان يدخل في عينه ويخرج من انفه وهكذا حتى جرى في كلّ عروقه وأعضائه في الظاهر والباطن إلى أن وصل إلى قلبه فأراد أن يدخل فيه ، فمنعه الله فان قلب المؤمن حرم الله وعرشه ، وان هذا بيتي ، كما أنظره إلى يوم معلوم وذلك إلى يوم ظهور صاحب الزمان ٧ كما ورد في الأخبار الشريفة عن أهل البيت :، ثم أخرج من الجنة (أخرج فانك رجيم) وأسكن آدم وزوجه الجنة ونهاهما عن إقتراب شجرة ، فوسوس لهما إبليس ليقتربا من الشجرة المنهية عنها بانها شجرة الخلد، فأكلا منها وبدت سوءاتهما، وأخذا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وأمرهما الله مع الشيطان أن يهبطوا جميعاً إلى الأرض بعضهم لبعض عدو، فكانت الأرض مهبط آدم وإبليس ، وبدء الصراع منذ اليوم الأوّل بين الرحمن المتمثل بآدم ٧ والشيطان المتمثل بإبليس لعنه الله.

(١ - وفي تفسير العياشي : عليّ بن الحسين في قوله : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

الْأَرْضِ خَلِيْفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ...)[1] ردّوا على الله فقالوا:

(... أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ...)[2]

وانما قالوا ذلك بخلق مضى يعني الجان بن الجنّ (... وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ

...) [3] فمَنّوا على الله بعبادتهم ايّاه ، فأعرض عنهم ، ثم (... عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ

كُلَّهَا...) ثم قال للملائكة : (أُنَبِّئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ...) [4] قالوا: (لا عَلَّمْنَا...) [5]

(قال يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ...) [6] فأنبأهم ، ثم قال لهم : (... اسْجُدُوا لِآدَمَ

فَسَجَدُوا...) [7] وقالوا في سجودهم في أنفسهم : ما كنا نظنُّ ان يخلق الله خلقاً أكرم

عليه منّا نحن خزّان الله وجيرانه . وأقرب الخلق اليه فلما رفعوا رؤوسهم قال : الله

يعلم (... ما تُبْدُونَ...) [8] من ردكم عليّ (وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) [9] ظناً ان لا يخلق الله

خلقاً أكرم عليه منّا، فلما عرفت الملائكة أنّها وقعت في خطيئة لاذوا بالعرش وانّها كانت عصابة من الملائكة ، وهم الذين كانوا حول العرش ، لم يكن جميع الملائكة الذين قالوا ما ظننّا أن يخلق خلقاً أكرم عليه منّا وهم الذين امروا بالسجود، فلاذوا بالعرش وقالوا بايديهم وأشار باصبعه يديرها فهم يلوذون حول العرش إلى يوم القيامة ، فلما أصاب آدم الخطيئة جعل الله هذا البيت لمن اصاب من ولده خطيئة أتاه فلاذبه من ولد آدم كما لاذوا اولئك بالعرش ، فلما هبط آدم إلى الأرض طاف بالبيت ، فلما كان عند المستجار دنا من البيت فرفع يديه إلى السماء فقال : يا ربّ اغفر لي فنودي : اني قد غفرت لك ، قال : يا ربّ ولولدي قال : فنودي : يا آدم من جاءني من ولدك فبأذني بذيته [10] بهذا المكان غفرت له [11] .

(٢ - وفي المستدرک : سعيد بن هبة الله الراوندي في قصص الانبياء باسناده إلى الصدوق باسناده إلى وهب قال : كان مهبط آدم ٧ على جبل في شرقي أرض الهند يقال له : باسم ، ثم امره ان يسير إلى مكة فطوى [12] له الأرض

فصار على كل مفازة [13] يمرّ به خطوة ، لم يقع قدمه على شيء من الأرض الآثار عمر انا وبكى على الجنة مائتي سنة فعزاه الله [14] بخيمة من خيام الجنة فوضعها له بمكة في موضع الكعبة .

وتلك الخيمة من ياقوتة حمراء لها بابان شرقي وغربي من ذهب معلق فيها ثلاث قناديل من تبر [15] الجنة تلتهب نوراً ونزل الركن وهو ياقوتة بيضاء من

ياقوت الجنة وكان كرسيّاً لآدم ٧ يجلس عليه وان خيمة آدم لم تنزل في مكانها حتى قبضه الله تعالى اليه ، ثم رفعها الله تعالى اليه وبني بنو آدم في موضعها بيتا من الطين والحجارة ولم يزل معموراً واعتق من الغرق ولم يخربه حتى انبعث الله ابراهيم ٧ [16] .

(٣ - وفي تفسير العياشي : عن أبي سلمة ، عن أبي عبدالله ٧ انّ الله انزل الحجر الاسود من الجنة لآدم وكان البيت درّة بيضاء فرفعه الله إلى السماء وبقي أساسه فهو حيال هذا البيت وقال : يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون اليه أبداً ، فامر الله ابراهيم واسماعيل بينيا البيت على القواعد [17] .

(٤ - وفي تفسير العياشي : عن أبي الوراق قال : قلت لعلي بن أبي طالب ٧ : أول شيء نزل من السماء ما هو؟ قال : أول شيء نزل من السماء إلى الأرض فهو البيت الذي بمكة ، أنزله الله ياقوتة حمراء ، ففسق قوم نوح في الأرض فرفعه حيث يقول : (وَأِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [18] . [19]

قصة إبراهيم الخليل إجمالاً: كان إبراهيم الخليل ٧ مع زوجته سارة في كنعان ، وهي من بيت النبوة من النساء المؤمنات . فأراد أن يزور بيت الله الحرام ويسكن في الشام (فلسطين) وكان إبراهيم رجلاً غيوراً يضع زوجته في هودج كالصندوق ويقفل بابه ، فلما وصل إلى بوابة فلسطين ، وكان - أنذاك - يحكمها والياً وحاكماً ظالماً، فمنعه رجال الحكومة من الدخول حتى يروا ما في الصندوق . فأخبرهم بأنها زوجته سارة ولم يفتح لهم الباب ، فأصرّوا ووصل الخبير إلى الحاكم فجاء بنفسه ، وأمر إبراهيم الخليل ٧ - وهو لا يعرفه - أن يفتح الباب وقهره ففتح ، فرأى جمال سارة فوسوس له الشيطان ، فأراد يده عليها فغضب إبراهيم ونظر إلى السماء، فأبى الله يد الظالم ، وعلم أنّ ذلك من بركة هذا العبد الصالح ، فطلب منه أن يعفو عنه فعفى فرجعت يده إلى حالتها الطبيعيّة ، إلا ان الشيطان وسوس له مرّة أخرى ، فمدّ يده ثانية فبيست مرّة أخرى ، فتضرّع لإبراهيم كي يعفو عنه ، فعفى ورجعت يده كما كانت ، إلا أنّه مدّها ثالثة وحدث كالمرة الأولى إلا أنّه تاب ، وأراد أن يعتذر من إبراهيم الخليل ٧ فاهدى إلى زوجته جارية فاضلة تسمى بهاجر، وكانت تخدم سارة ، فطلبت سارة من إبراهيم بعد برهة من الزمن أن يتزوّجها عسى أن يكون منها مولوداً على شريطة أن يكون أمرها بيدها، فقبل إبراهيم ٧ وتزوّجها، فولدت له اسماعيل ٧، فطلبت سارة أن تخرج مع ولدها من بيتها، فأخذها الخليل بأمر من الله حتى أسكنها بوادٍ غير ذي زرع ، وكان ما كان من قصة هاجر وإسماعيل وعمارّة الكعبة المشرفة ، وإسكان مكة المكرّمة .

[١] () البقرة : ٣٠ .

[٢] () نفس المصدر .

- [٣] () البقرة : ٣٠ .
- [٤] () نفس المصدر .
- [٥] () البقرة / ٣٢ .
- [٦] () البقرة : ٣٣ .
- [٧] () البقرة : ٣٤ .
- [٨] () البقرة : ٣٣ .
- [٩] () نفس المصدر .
- [١٠] () راجع الهامش : ٣ ص ٢٣ .
- [١١] () تفسير العياشي : ج: ١ ص ٣١ .
- [١٢] () طوى ، طيّاً الثوب : نقيض نشره .
- [١٣] () المفازة - جمعها مفازات ومفاوز: - الفلاة لا ماء فيها .
- [١٤] () حمله على التصبر والتسلي . ويحتمل أن يكون «فعزه» يعني كرمه وجعله عزيزاً .
- [١٥] () التبر - الواحدة تبرة :- ما كان من الذهب غير مضروب أو غير مصوغ أو في تراب معدنه .
- [١٦] () المستدرک : ج: ٢ ص ١٣٨ .
- [١٧] () تفسير العياشي : ج: ١ ص ٦٠ .
- [١٨] () البقرة : ١٢٧ .
- [١٩] () تفسير العياشي : ج: ١ ص ٦٠ .

اسكان ابراهيم ٧ ابنه وزوجته في مكة

قال الله تبارك وتعالى : (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيئُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) [1] .

(١ - وفي تفسير العياشي : عن الفضل بن موسى الكاتب عن أبي الحسن موسى بن جعفر ٧ قال : انّ ابراهيم صلوات الله عليه لما اسكن اسماعيل صلوات الله عليه وهاجر مكة ودّعهما لينصرف عنهما بكيا، فقال لهما ابراهيم : ما يبكيكما فقد خلفتكما في أحبّ الأرض إلى الله وفي حرم الله؟ فقالت له هاجر: يا ابراهيم ما كنت أرى انّ نبيّاً مثلك يفعل ما فعلت؟ قال : ما فعلت؟ فقالت : انك خلفت امرأة ضعيفة وولداً ضعيفاً لا حيلة لهما بلا أنيس من بشر ولا ماء يظهر، ولا زرع قد بلغ ، ولا ضرع[2] ي حلب؟ قال : فرق ابراهيم ودمعت عيناه عند ما

سمع منها فأقبل حتّى انتهى إلى باب بيت الله الحرام فأخذ بعضادتي[3] الكعبة ، ثم

قال : (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيئُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) [4] .

قال أبو الحسن : فأوحى الله إلى ابراهيم ان اصعد اباقييس فنادى في الناس : يا معشر الخلائق انّ الله يأمركم بحجّ هذا البيت الذي بمكة محرماً (... مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيّاً...) [5] فريضة من الله: قال : فصعد ابراهيم اباقييس فنادى في الناس

بأعلى صوته يا معشر الخلائق إنّ الله يأمركم بحجّ هذا البيت الذي بمكّة محرماً (...)
مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيًّا... فريضة من الله، قال : فمدّ الله لإبراهيم في صوته حتى أسمع
تبه أهل المشرق والمغرب وما بينهما من جميع ما قدر الله وقضى في أصلاب
الرجال من النطف وجميع ما قدر الله وقضى في أرحام النساء إلى يوم القيامة ؛
فهناك يا فضل وجب الحجّ على جميع الخلائق ، فالتلبية من الحاجّ في أيام الحجّ هي
اجابة لنداء ابراهيم ٧ يومئذ بالحجّ عن الله [6] .

(٢ - وفي المحاسن : احمد بن أبي عبدالله البرقي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ،
عن بعض أصحابه ، قال : سألته عن السعي بين الصفا والمروة فقال : إنّ هاجر لما
ولدت إسماعيل ٧ دخلت سارة غير شديدة فامر الله إبراهيم ٧ أن يطيعها، فقال : يا
إبراهيم احمل هاجر حتّى تضعها ببلاد ليس فيها زرع ولا ضرع ، فأتى بها البيت
وليس بمكّة اذ ذاك زرع ولا ضرع ولا ماء ولا أحد، فخلفها عند البيت وانصرف
عنها إبراهيم ٧ فبكى [7] .

(٣ - وفي الفروع : عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ والحسين بن محمّد، عن عبدويه
بن عامر ؛ وغيره ؛ ومحمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد جميعاً، عن أحمد بن محمّد
بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان ، عن أبي العباس ، عن أبي عبدالله ٧ قال : لما ولد
إسماعيل ، حمله إبراهيم وأمّه على حمار وأقبل معه جبرائيل حتّى وضعه في موضع
الجبر ومعه شيء من زاد وسقاء فيه شيء من ماء، والبيت يومئذ ربوة [8] حمراء
من مدر [9] ، فقال إبراهيم لجبرائيل ٧ : ههنا

أمرت ؟ قال : نعم ، قال : ومكّة يومئذ سلم [10] وسمر [11] وحول مكّة يومئذ ناس
من

(٤ - وفي حديث آخر عن ابي عبدالله ٧ أيضاً قال : فلما ولي ابراهيم قالت هاجر: يا ابراهيم إلى من تدعنا؟ قال : أدعكما إلى ربّ هذه البنية قال : فلما نفذ الماء وعطش الغلام ، خرجت حتّى صعدت على الصفا فنادت : هل بالبوادي من أنيس ؟ ثمّ انحدرت حتّى أتت المروة فنادت : مثل ذلك ، ثمّ أقبلت راجعة إلى ابنها فإذا عقبه يفحص في ماء فجمعته فساخ[14] ولو تركته لساخ[15] [16].

(٥ - وفي الفروع : عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله ٧ قال : إنّ إبراهيم ٧ لما خلف إسماعيل بمكة عطش الصبيّ [17] فكان فيما بين الصّفا والمروة شجر، فخرجت أمّه حتّى

قامت على الصّفا فقالت : هل بالبوادي من أنيس ؟ فلم يجبها احد، فمضت حتى انتهت إلى المروة فقالت : هل بالوادي من انيس ؟ فلم تجب ، ثمّ رجعت إلى الصّفا وقالت ذلك حتّى صنعت ذلك سبعاً، فأجرى الله ذلك سنّة وأتاها جبرائيل فقال لها: من أنت ؟ فقالت : أنا أمّ ولد إبراهيم ، قال لها: إلى من ترككم ؟ فقالت : أما لئن قلت ذاك لقد قلت له حيث أراد الذّهاب : يا إبراهيم إلى من تركتنا؟ فقال : إلى الله عزوجلّ ، فقال جبرائيل ٧: لقد وكلكم إلى كاف ، قال : وكان النّاس يجتنبون الممرّ إلى مكة لمكانت الماء ففحص الصبي برجله فنبتت زمزم ، قال : فرجعت من المروة إلى الصبي وقد نبع الماء، فأقبلت تجمع التّراب حوله مخافة أن يسيح الماء ولو تركته لكان سبيحاً، قال : فلما رأّت الطير الماء حلقت عليه فمرّ ركب من اليمن يريد السفر فلما رأوا الطير قالوا: ما حلقت الطير إلّا على ماء فأتوهم فسقوهم من الماء

فأطعموهم الركب من الطعام ، وأجرى الله عزوجلّ لهم بذلك رزقاً، وكان النَّاس يَمْرُونَ بِمَكَّةَ فَيَطْعَمُونَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَيَسْقُونَهُمْ مِنَ الْمَاءِ [18] .

(٦ - وفي المحاسن : عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا ٧ قال : سمعته يقول : أنّ ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه سأل ربه حين أسكن ذريته الحرم قال : (إِنَّهُمْ وَأَرْزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) [19] فأمر الله تبارك وتعالى قطعة من الأردن حتى جاءت فطافت بالبيت سبعاً، ثم أمر الله ان تقول الطائف فسميت الطائف لطوافها بالبيت [20] .

-
- [١] () ابراهيم : ٣٧ .
- [٢] () الضرع - جمعه ضروع - : مدّ اللبن للشاة والبقر ونحوها وهو كالندي للمرأة .
- [٣] () عضادتا الباب : خشبناه من جانبيه .
- [٤] () ابراهيم : ٣٧ .
- [٥] () آل عمران : ٩٧ .
- [٦] () تفسير العياشي : ج: ٢ ص ٢٣٢ .
- [٧] () المحاسن : ج: ٢ ص ٣٣٨ .
- [٨] () راجع الهامش : ١ ص ٢٦ .
- [٩] () المدر: الطين العلك الذي لا يخالطه رمل .
- [١٠] () السلم جنس شجر أو جنبات شائك من فصيلة القطنيات . ينمو في البلدان الحارة . ثمره اصغر يحويحبة خضراء يستعمل ورقه في الدبغ .
- [١١] () السمر: شجر من العضاة . والعضاة كل شجر يعظم وله شوكة وليس في العضاة أجود خشباً منه .
- [١٢] () العماليق والعمالقة : قوم من ولد عمليق - كقنديل - ابن لاوذبن ارم بن سام بن نوح وهم أمم تفرقوا فيالبلاد. مجمع البحرين : ج: ٥ ص ٢١٨ .
- [١٣] () الفروع : ج: ٤ ص ٢٠١ .
- [١٤] () فساخ : أي وقف في الأرض .

[١٥] () السیح : الماء الجاری تسميته بالمصدر. وساح : سال وجرى .

[١٦] () الفروع : ج:٤ ص ٢٠١.

[١٧] () الفروع : ج:٤ ص ٢٠١.

[١٨] () الفروع : ج:٤ ص ٢٠٢؛ المحاسن : ج:٢ ص ٣٣٨.

[١٩] () ابراهيم : ٣٧.

[٢٠] () المحاسن : ج:٢ ص ٣٣٨.

رفع القواعد البيت بيد ابراهيم واسماعيل ٨

قال الله تبارك وتعالى : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [1] .

(١ - وفي تفسير القمي ... حدثني أبي ، عن النضر بن سويد، عن هشام ، عن أبي عبدالله ٧ قال : إنّ إبراهيم ٧ كان نازلاً في بادية الشام فلماً ولد له من هاجر، اسماعيل اغتمت سارة من ذلك غمّاً شديداً لأنه لم يكن منها ولد وكانت تؤذي ابراهيم في هاجر وتغمّه فشكى ابراهيم ذلك إلى الله عزّوجلّ ، فأوحى الله اليه أنّما مثل المرأة مثل الضلع العوجاء ان تركتها استمعت بها وان اقمته كسرتها، ثم أمره ان يخرج اسماعيل وامه عنها فقال : يا ربّ إلى ايّ مكان ؟ قال : إلى حرمي وأمني وأول بقعة خلقتها من الارض وهي مكة ، فانزل الله عليه جبرائيل بالبراق فحمل هاجر واسماعيل وابراهيم : وكان ابراهيم لا يمرّ بموضع حسنٍ فيه شجر ونخل وزرع إلا قال : يا جبرائيل إلى ههنا؟ فيقول جبرائيل : لا، امض حتى وافا بمكة . فوضعه في موضع البيت وقد كان ابراهيم ٧ عاهد سارة ان لا ينزل حتى يرجع اليها، فلماً نزلوا في ذلك المكان ، كان فيه شجر فالقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلوا تحته فلماً أسرحهم [2] ابراهيم ٧

ووضعهم واراد الإنصراف عنهم إلى سارة ، قالت له هاجر: يا ابراهيم لمّ تدعنا في موضع ليس فيه انيس ولا ماء ولا زرع ؟ فقال ابراهيم : الله الذي أمرني ان اضعكم في هذا المكان ، هو يكفيكم ، ثم انصرف عنهم ، فلماً بلغ كذا وهو جبل بذى طوى ، التفت اليهم ابراهيم فقال : (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيئُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) [3] ثم مضى وبقيت هاجر فلماً ارتفع النهار عطش

اسماعيل وطلب الماء فقامت هاجر في الوادي في موضع المسعى فنادت : هل في الوادي من انيس ؟ فغاب عنها اسماعيل فصعدت على الصفا ولمع [4] لها

السراب [5] في الوادي فظنّت أنّه ماء فنزلت في بطن الوادي وسعت ، فلمّا بلغت

المسعى غاب عنها اسماعيل ، ثم لمع لها السراب في ناحية الصفا فهبطت إلى الوادي وسعت تطلب الماء فلمّا غاب عنها اسماعيل عادّت حتى بلغت الصفا، فنظرت حتى فعلت ذلك سبع مرّات ، فلمّا كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت إلى اسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه قعدت حتى جمعت حوله رملاً فأنّه كان سائلاً فزمته [6] بما جعلت حوله فلذلك سمّيت زمزم وكانت

«جرهم» نازلة بذي المجاز وعرفات ، فلمّا ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحش على الماء فنظرت «جرهم» إلى تعكف الطير والوحش على ذلك المكان واتبعوها حتى نظروا إلى امرأة وصبيّ نازلين في ذلك الموضع قد استظلا بشجرة وقد ظهر الماء لهما، فقالوا لهاجر: من أنت وما شأنك وشأن هذا الصبيّ؟ قالت : انا امّ ولد ابراهيم ٧ خليل الرحمن وهذا ابنه ، أمره الله ان ينزلنا ههنا فقالوا لها: فتأذنين لنا ان نكون بالقرب منكم فقالت لهم : حتى يأتي ابراهيم فلمّا زارهم ابراهيم يوم الثالث قالت هاجر: يا خليل الله ان ههنا قوماً من «جرهم» يسألونك ان تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منّا افتأذن لهم في ذلك ؟ فقال ابراهيم : نعم ، فاذنت هاجر! «جرهم» فنزلوا بالقرب منهم و ضربوا خيامهم فأنست هاجر واسماعيل بهم فلمّا رأهم ابراهيم ٧ في المرة الثالثة نظر إلى كثرة الناس حولهم فسرّ بذلك سروراً شديداً، فلمّا تحرّك اسماعيل وكانت «جرهم» قد وهبوا لأسماعيل كل واحدٍ منهم شاة وشاتين وكانت هاجر واسماعيل يعيشان بها، فلمّا بلغ اسماعيل مبلغ الرجال امر الله ابراهيم ٧ ان يبني البيت فقال : يا ربّ في أيّ بقعة ؟ قال : في البقعة التي انزلت على آدم القبّة [7] فاضاء لها الحرم ، فلم تنزل القبّة

التي انزلها الله على آدم قائمة حتى كأن ايام الطوفان ايام نوح صلوات الله عليه ، فلمّا غرقت الدنيا رفع الله تلك القبّة وغرقت الدنيا الا موضع البيت فسّميت البيت العتيق لأنه اعتق من الغرق ، فلمّا امر الله عزوجلّ ابراهيم ٧ ان يبني البيت لم يدر في ايّ

مكان بينيه ، فبعث الله جبرائيل ٧ فخط له موضع البيت فانزل الله عليه القواعد من الجنة ، وكان الحجر الذي أنزله الله على آدم اشدّ بياضاً من الثلج ، فلما مسّه أيدي الكفار ، إسودّ، فبني ابراهيم ٧ البيت ونقل اسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه إلى السماء تسعة اذرع ، ثم دلّه على موضع الحجر فاستخرجه ابراهيم ٧ ووضع في موضعه الذي هو فيه الاول فلما بني ، جعل له بابين باباً إلى المشرق وباباً إلى المغرب . والباب الذي إلى المغرب يسمّى المستجار ، ثم القى عليه الشجر والاذخر . وعلقت هاجر على بابه كساءً كان معها ، وكانوا يكونون تحته فلما بناه وفرغ عنه ابراهيم واسماعيل ونزل جبرائيل يوم التروية لثمان من ذي الحجة فقال : يا ابراهيم قم فارتو من الماء لأنه لم يكن بمنى وعرفات ماءً فسميت التروية لذلك ، ثم اخرجه إلى منى فبات بها ففعل به ما فعل بآدم ٧ فقال ابراهيم لما فرغ من بناء البيت : (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) [8] ليستأنسوا [9] .

(٢ - وفي الفروع : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال قال : قال أبو الحسن ٧ - يعني الرضا - للحسن بن الجهم : أي شيء السكينة عندكم ؟ فقال : لا أدري جعلت فداك وأي شيء هي ؟ قال : ريح تخرج من الجنة طيبة لها صورة كصورة وجه الانسان فتكون مع الأنبياء وهي التي نزلت على ابراهيم ٧ حيث بني الكعبة فجعلت تأخذ كذا وكذا فبنى الأساس عليها [10] .

(٣ - وفي العلل : أبي ؛ قال : حدثنا سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء ، عن احمد بن عائذ ، عن أبي خديجة ، عن أبي عبدالله ٧ ، قال : قلت له : لم سمي البيت العتيق ؟ قال : ان الله عزوجل أنزل الحجر الأسود لآدم من الجنة وكان البيت درة بيضاء فرفعه الله إلى السماء ، وبقي أسه فهو بحيال هذا البيت يدخله

كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه ابداً فامر الله ابراهيم واسماعيل بينيان على القواعد، وإنما سمي البيت العتيق لانه اعتق من الغرق [11].

(٤ - وفي الفقيه : قد روي أن إبراهيم ٧ خط ما بين الحزورة [12] إلى

المسعى ، وأول من كسا البيت إبراهيم ٧ [13].

(٥ - وفي الفروع : محمد بن يحيى ؛ وأحمد بن إدريس ، عن عيسى بن محمد بن أبي أيوب ، عن علي بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن علي بن منصور، عن كلثوم بن عبدالمؤمن الحرّاني ، عن أبي عبدالله ٧ قال : أمر الله عزّوجلّ إبراهيم ٧ أن يحجّ ويحجّ إسماعيل معه ويسكنه الحرم ، فحجّ على جمل أحمر وما معهما إلاّ جبرائيل ٧ فلمّا بلغا الحرم قال له جبرائيل : يا ابراهيم أنزلا فاغتسلا قبل أن تدخلوا الحرم ، فنزلا فاغتسلا وأراهما كيف يتهيّئان للحرام ففعلا، ثمّ أمرهما فأهلاً بالحجّ [14] وأمرهما بالتلبّيات الأربع [15] التي لبّي بها

المرسلون ، ثمّ صار بهما إلى الصفا فنزلا وقام جبرائيل بينهما واستقبل البيت ، فكبّر الله وكبّر ، أو هلّل الله وهلّلا، وحمد الله وحمدا، ومجّد الله ومجّدا، وأثنى عليه وفعلا مثل ذلك ، وتقدّم جبرائيل وتقدّما يثنيان على الله عزّوجلّ ويمجّدانه حتّى انتهى بهما إلى موضع الحجّ فاستلم جبرائيل الحجر [16] وأمرهما أن

يستلما وطاف بهما اسبوعاً. ثمّ قام بهما في موضع مقام إبراهيم ٧ فصلّى ركعتين وصلّيا، ثمّ آراهما المناسك وما يعملان به فلمّا قضيا مناسكهما أمر الله إبراهيم ٧ بالإنصراف وأقام إسماعيل وحده ما معه أحدٌ غير أمّه ، فلمّا كان من قابل أذن الله لابراهيم ٧ وفي الحج وبناء الكعبة وكانت العرب تحجّ إليه وإنّما كان ردماً [17] إلاّ أنّ قواعده معروفة فلمّا صدر الناس جمع إسماعيل الحجارة

وطرحها في جوف الكعبة فلما أذن الله له في البناء قدم إبراهيم ٧ فقال : يا بني قد أمرنا الله ببناء الكعبة وكشفا عنها، فإذا هو حَجْر واحد أحمر فأوحى الله عزوجلّ إليه : ضع بناءها عليه وأنزل الله عزوجلّ أربعة أملاك يجمعون إليه الحجارة فكان إبراهيم وإسماعيل ٨ يضعان الحجارة والملائكة تناولهما حتى تمت اثني عشر ذراعاً وهيئاً له بابين : باباً يدخل منه وباباً يخرج منه ووضعاً عليه عتياً [18] وشرجاً [19] من حديد على أبوابه وكانت الكعبة عريانه ، فصدر إبراهيم وقد

سوى البيت وأقام إسماعيل فلما ورد عليه الناس نظر إلى امرأة من حمير أعجبه جمالها فسأل الله عزوجلّ أن يزوجه إياها وكان لها بعل فقضى الله على بعلها بالموت ، وأقامت بمكة حزناً على بعلها فأسلى الله ذلك عنها [20] وزوجه إسماعيل

وقدم إبراهيم الحجّ وكانت امرأة موفقة وخرج إسماعيل إلى الطائف يمتار لأهله طعاماً [21] فنظرت إلى شيخ شعث [22] فسألها عن حالهم فأخبرته بحسن حال ،

فسألها عنه خاصة [23] فأخبرته بحسن الدين وسألها ممّن أنت ؟ فقالت : امرأة من

حمير فسار إبراهيم ولم يلق إسماعيل وقد كتب إبراهيم كتاباً فقال : ادفعي هذا إلى بعلك ، إذا أتى إن شاء الله، فقدم عليها إسماعيل فدفعت إليه الكتاب فقراه فقال : أتدريين من هذا الشيخ ؟ فقالت : لقد رأيته جميلاً فيه مشابهة منك ، قال : ذاك إبراهيم فقالت : واسوءتاه منه فقال : ولم نظر إلى شيء من محاسنك ؟ فقالت : لا ولكن خفت أن أكون قد قصرت وقالت له المرأة وكانت عاقلة : فهلاًّ تعلّق على هذين البابين سترين سترأ من ههنا وسترأ من ههنا؟ فقال لها: نعم فعملا لهما سترين طولهما اثني عشر ذراعاً فعلقا هما على البابين فاعجبهما ذلك ، فقالت : فهلاًّ احوك [24] للكعبة ثياباً فتسترها كلها فإنّ هذه الحجارة سمجة [25] ؟ فقال لها

إسماعيل : بلى فأسرعت في ذلك وبعثت إلى قومها بصوف كثير تستغزلهم .

قال أبو عبدالله ٧: وإنما وقع استغزال النساء من ذلك بعضهن لبعض لذلك ، قال :
فأسرعت واستعانت في ذلك فكُلما فرغت من شقّة [26] علّقتها فجاء الموسم

وقد بقي وجه من وجوه الكعبة فقالت لإسماعيل : كيف تصنع بهذا الوجه الذي لم
تدركه الكسوة فكسوه خصفاً [27] فجاء الموسم وجاءته العرب على حال ما كانت

تأتيه فنظروا إلى أمر أعجبهم ، فقالوا: ينبغي لعامل هذا البيت أن يهدي إليه ، فمن ثمّ
وقع الهدى ، فأتى كلّ فخذ من العرب [28] بشيء يحمله من ورق ومن أشياء غير

ذلك حتّى اجتمع شيء كثير فنزعوا ذلك الخصف وأنموا كسوة البيت وعلّقوا عليها
بابين وكانت الكعبة ليست بمسقفّة فوضع إسماعيل فيها أعمدة مثل هذه الأعمدة التي
ترون من خشب وسقفها إسماعيل بالجرائد وسواها بالطين ، فجاءت العرب من
الحول فدخلوا الكعبة ورأوا عمارتها فقالوا: ينبغي لعامل هذا البيت أن يزداد فلما كان
من قابل جاءه الهدى ، فلم يدر إسماعيل كيف يصنع

فأوحى الله عزوجلّ إليه ان انحره وأطعمه الحاجّ قال : وشكا إسماعيل إلى إبراهيم
قلّة الماء فأوحى الله عزوجلّ إلى إبراهيم أن احتفر بئراً يكون منها شراب الحاجّ
فنزل جبرائيل ٧ فاحتفر قليبهم يعني زمزم حتّى ظهر ماؤها، ثمّ قال جبرائيل ٧: أنزل
يا إبراهيم فنزل بعد جبرائيل فقال : يا إبراهيم اضرب في أربع زوايا البر، وقل :
بسم الله، قال : فضرب إبراهيم ٧ في الزاوية التي تلي البيت وقال : بسم الله فانفجرت
عين ، ثمّ ضرب في الزاوية الثانية وقال : بسم الله فانفجرت عين [29] ، ثمّ ضرب في
الثالثة قال : بسم الله فانفجرت عين ، ثمّ ضرب

في الرابعة وقال : بسم الله فانفجرت عين وقال له جبرائيل : اشرب يا إبراهيم وادع
لولدك فيها بالبركة وخرج إبراهيم ٧ وجبرائيل جميعاً من البئر فقال له : افض عليك

يا إبراهيم وطف حول البيت فهذه سقياً سقاها الله وله إسماعيل فسار إبراهيم وشيخه إسماعيل حتى خرج من الحرم فذهب إبراهيم ورجع إسماعيل إلى الحرم[30] .

(٦ - وفي الفروع : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ والحسين بن محمد ، عن عبدويه بن عامر ؛ ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبان بن عثمان ، عن عقبة بن بشير ، عن أحدهما ٨ قال : إن الله عزوجل أمر إبراهيم ببناء الكعبة وأن يرفع قواعدها ويرى الناس مناسكهم

فبني إبراهيم وإسماعيل البيت كل يوم سافراً[31] حتى انتهى إلى موضع الحجر

الاسود . قال : أبو جعفر ٧ فنأدى أبو قبيس إبراهيم ٧ : إن لك عندي وديعة فأعطاه الحجر فوضعه موضعه ، ثم إن إبراهيم ٧ أذن الناس بالحج فقال : أيها الناس إني إبراهيم خليل الله إن الله يأمركم أن تحجوا هذا البيت فحجوه ، فأجابه من يحج إلى يوم القيامة وكان أول من أجابه من أهل اليمن ... [32] .

ومن هنا كان الحج الإبراهيمي الذي سنة الله سبحانه للشرائع الثلاثة : الشريعة الموسوية (اليهود) والشريعة العيسوية (النصارى) والشريعة المحمدية (المسلمون) وجعل أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس ، فأكمل دينه ، وأتم نعمته ، وضى للناس الإسلام ديناً ، فمن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، فالحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد ٦ وأكرمنا بالإسلام المحمدي الأصيل ، متمسكين بالثقلين (كتاب الله وعترته النبي محمد ٦) قلباً وقالباً ، دنياً وآخرة ، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب . اللهم أرزقنا حج بيتك الحرام في عامنا هذا وفي كل عام بمحمد وآله الطاهرين .

[١] (البقرة : ١٢٧ .

[٢] (سرح القوم : أرسلهم واطلقهم .

- [٣] () ابراهيم : ٣٧ .
- [٤] () لمع البرق وغيره : أضاء .
- [٥] () السراب : ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحرّ كأنه ماء تنعكس فيه البيوت والأشجار وغيرها. ويضرب به المثل في الكذب والخداع ، يقال «هو أخذع من السراب» .
- [٦] () زمّاً القربة : ملأها. زمّت القربة : امتلأت . زمّمه : جمّعه وردّ اطراف ما انتشر منه .
- [٧] () القبة - جمعها قباب وقُباب -: بناء سقفه مستدير مقعر .
- [٨] () البقرة : ١٢٦ .
- [٩] () تفسير القمي : ج ٥١ إلى ٥٣ .
- [١٠] () الفروع : ج: ٤ ص ٢٠٦ .
- [١١] () العلل : ج: ٢ ص ٣٩٩ .
- [١٢] () الحزورة وزاق قسورة : موضع كان به سوق مكة بين الصفا والمروة قريب من موضع النخاسين معروف . مجمع البحرين : ج: ٣ ص ٢٦٥ .
- [١٣] () الفقيه : ج: ٢ ص ١٤٩ .
- [١٤] () فأهلا بالحج : رفعا صوتهما بالتلبية لعقد الاحرام بالحج . الوافي : ج: ٢ كتاب الحج : ص ٢٥ .
- [١٥] () وقوله : «بالتلبيات الأربع» اتيانها جميعاً في أهلا لهما . الوافي : ج: ٢ كتاب الحج : ص ٢٥ .
- [١٦] () فاستلم جبرائيل يعني موضع الحجر . لما يأتي ان : الحجر كان على ابي قيس في ذلك الوقت . نفس المصدر .
- [١٧] () الردم - مصدر -: ما يسقط من الحائط المنهدم .
- [١٨] () العنّبة - جمعها عَنّب وعتبات -: أسكفة الباب . الأسكفة : خشبة الباب التي يوطأ عليها .
- [١٩] () والشرح في أكثر نسخ الكافي بالسین المهملة ولم نجد له معنىً محصلاً وهو بالمعجمة والراء والجيم : العروة وكأنه أريد به الحلقة . وفي الفقيه : «شربجاً» من جريد كما يأتي . والشريح ما يعمل من الحبلو القصب أو جرائد النخل لباب الدكان وحفظه متاعه . الوافي : ج: ٢ كتاب الحج : ص ٢٥ .
- [٢٠] () أسلى الله ذلك عنها: أزال حزنها . نفس المصدر .
- [٢١] () يمتار لأهله : يجلب لهم . الوافي : ج: ٢ كتاب الحج : ص ٢٥ .
- [٢٢] () راجع الهامش : ٩ ص ٣٤ .
- [٢٣] () فسألها عنه خاصة : يعني عن اسماعيل . الوافي : ج: ٢ كتاب الحج : ص ٢٥ .
- [٢٤] () حاك حوكاً الثوب : نسجه .

[٢٥] () سمج الشيء سماجة : قبح وسمح مثل خشن فهو خشن . وحجارة سمجة : تكرهها النفس لقبحها. مجمع البحرين : ج:٢ ص ٣١٠.

[٢٦] () الشقة من الثوب : ما شق مستطيلاً. الوافي : ج:٢ كتاب الحج : ص ٢٥.

[٢٧] () فكسوه خصفاً: سترأ من ليف النخل . نفس المصدر.

[٢٨] () كل فخذ من العرب : كل قبيلة وحيّ منهم . نفس المصدر.

[٢٩] () لعل ماء زمزم كان أول ظهوره بتحريك اسماعيل ٧ رجليه على وجه الأرض ، ثم ببس فحفر إبراهيم ٧ في ذلك المكان حتى ظهر الماء. ويحتمل أن يكون الحفر لإزدياد الماء فيكون المراد بقله ٧: «حتى ظهر ماؤها» أي ظهر ظهوراً بيئاً بمعنى كثر ومنهم من قرأ ظهّر على بناء التفعيل منقبيل مؤنت الابل . مرآة العقول : ج:٣ ص ٢٥٦.

[٣٠] () الفروع : ج:٤ ص ٢٠٣.

[٣١] () الساف : كل عرق من الحائط ويقال بالفارسية : چينه . الوافي : ج:٢ كتاب الحج : ص ٢٥.

[٣٢] () الفروع : ج:٤ ص ٢٠٥.

قصة ذبح إبراهيم ابنه اسماعيل ٨

قال الله تبارك وتعالى : (رَبِّ هَبْ لِي نِإً مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلَى * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عِظِيمٍ) [1] .

(١ - وفي الفروع : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ؛ والحسين بن محمد ، عن عبدويه بن عامر جميعاً ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبان بن عثمان ، عن أبي بصير أنه سمع أبا جعفر وأبا عبد الله ٨ يذكران أنه لما كان يوم التروية قال جبرائيل لابراهيم ٨ : تروءه [2]

من الماء فسميت التروية ، ثم أتى مني فأباته بها ، ثم غداه إلى عرفات فضرب خباه [3] بنمرة [4] دون عرفة [5] فبني مسجداً بأحجار بيض وكان يعرف أثر مسجد

إبراهيم حتى أدخل في هذا المسجد الذي بنمرة حيث يصلي الإمام يوم عرفة فصلى بها الظهر والعصر ، ثم عمد به إلى عرفات فقال : هذه عرفات فاعرف بها مناسك واعترف بذنبك فسمي عرفات ، ثم أفاض إلى المزدلفة فسميت المزدلفة لأنه ازدلف [6] إليها ، ثم قام على المشعر الحرام فأمره الله أن يذبح ابنه وقد

رأى فيه شمائله وخلائقه وأنس ما كان إليه[7] فلما أصبح أفاض من المشعر إلى

منى فقال لأمه : زوري البيت أنت وأحتبس الغلام : فقال : يا بني هات الحمار
والسكّين حتّى أقرب للقربان فقال : أبان : فقلت لأبي بصير: ما أراد بالحمار والسكّين
؟ قال : أراد أن يذبحه ، ثمّ يحمله فيجهرّه ويدفنه قال : فجاء الغلام بالحمار والسكّين
فقال : يا أبت أين القربان ؟ قال : ربك يعلم أين هو. يا بني أنت والله هو إنّ الله قد
أمرني بذبحك (... فأنظر ما ذا ترى ...) قال (يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني) ii إنّ شاء الله من
الصّابريين) [8] قال : فلما عزم على الذبح قال : يا أبت

خمر[9] وجهي وشد وثاقي قال : يا بني الوثاق مع الذبح والله لا أجمعهما عليك

اليوم ؛ قال أبو جعفر ٧: فطرح له قرطان[10] الحمار، ثمّ اضجعه عليه وأخذ

المديّة[11] فوضعها على حلقه قال : فأقبل شيخ فقال : ما تريد من هذا الغلام ؟ قال :

أريد أن أذبحه ، فقال : سبحان الله غلام لم يعص الله طرفة عين تذبحه؟! فقال : نعم
، إنّ الله قد أمرني بذبحه ، فقال : بل ربك نهاك عن ذبحه وإنّما أمرك بهذا
الشیطان في منامك قال : ويلك الكلام الذي سمعت هو الذي بلغ بي ماترى لا والله
لا أكلمك ، ثمّ عزم على الذبح فقال الشيخ : يا إبراهيم إنك أمام يقتدى بك فإن
ذبحت ولدك ذبح الناس أولادهم فمهلاً، فأبى أن يكلمه . قال : أبو بصير سمعت
أبا جعفر ٧ يقول : فأضجعه عند الجمرّة الوسطى ، ثمّ أخذ المديّة فوضعها على حلقه ،
ثمّ رفع رأسه إلى السّماء، ثمّ انتحى[12] عليه فقلّبها جبرائيل ٧ عن حلقه

فنظر إبراهيم فإذا هي مقلوبة فقلّبها إبراهيم على خدّها وقلّبها جبرائيل على قفاها
ففعل ذلك مراراً، ثمّ نودي من ميسرة مسجد الخيف : يا إبراهيم قد صدقت الرّویا
واجترّ الغلام من تحته وتناول جبرائيل الكبش من قلّة ثبير[13] فوضعه تحته ،

وخرج الشيخ الخبيث حتّى لحق بالعجوز حين نظرت إلى البيت والبيت في وسط
الوادي فقال : ما شيخ رأيته بمنى ؟ فنعت نعت إبراهيم قالت : ذاك بعلي قال : فما
وصيف[14] رأيته معه ونعت نعتة ؟ قالت : ذاك ابني قال : فإنّي رأيته أضجعه وأخذ

المدينة ليذبحه ، قالت : كلاً ما رأيت إبراهيم إلا أرحم الناس وكيف رأيت يذبح ابنه قال : وربّ السماء والأرض وربّ هذه البنية لقد رأيتّه أضجعه وأخذ المدينة ليذبحه ، قالت : لمّ؟ قال : زعم أنّ ربّه أمره بذبحة ، قالت : فحقّ له أن يطيع ربّه قال : فلمّا قضت مناسكها فرقت أن يكون قد نزل في ابنها شيء فكأنّي أنظر إليها

مسرعة في الوادي واضعة يدها على رأسها وهي تقول : ربّ لا تؤاخذني بما عملت بأمر إسماعيل قال : فلمّا جاءت سارة فأخبرت الخبر قامت إلى ابنها تنتظر فإذا أثر السكين خدوشاً في حلقه ففزعت واشتكت وكان بدء مرضها الذي هلكت فيه [15].

(٢ - وفي الفروع : ذكر أبان ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر ٧ قال : أراد أن يذبحه في الموضع الذي حملت أمّ رسول الله ٦ عند الجمرة الوسطى فلم يزل مضربهم يتوارثون به كابر عن كابر حتّى كان آخر من ارتحل منه عليّ بن الحسين ٧ في شيء كان بين بني هاشم وبين بنيامية فارتحل فضرب بالعرين [16] [17].

(٣ - وفي الفروع : عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمّد؛ والحسن بن محبوب ، عن العلاء بن رزين ، عن محمّد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر ٧ أين أراد إبراهيم ٧ أن يذبح ابنه؟ قال : على الجمرة الوسطى ؛ وسألته عن كبش إبراهيم ٧ ما كان لونه وأين نزل؟ فقال : أملك [18] وكان أقرن

ونزل من السماء على الجبل الأيمن من مسجد منى وكان يمشي في سواد ويأكل

في سواد وينظر ويبعر ويبول في سواد [19] [20] .

(٤ - وفي الفقيه : سئل الصادق ٧ عن الذبيح من كان ؟ فقال : إسماعيل لأن الله عزوجل ذكر قصته في كتابه ثم قال : (وَبَشِّرْنَا هُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) [21] .

وقد اختلفت الروايات في الذبيح فمنها ما ورد بأنه إسماعيل ومنها ما ورد بأنه إسحاق ولا سبيل إلى رد الأخبار متى صح طرقها. وكان الذبيح إسماعيل لكن إسحاق لما ولد بعد ذلك تمنى أن يكون هو الذي أمر أبوه بذبحه ، وكان يصبر لأمر الله عزوجل ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه فينال بذلك درجته في الثواب ، فعلم الله عزوجل ذلك من قلبه فسماه الله بين ملائكته ذبيحاً لتمنيه لذلك وقد ذكرت إسناد ذلك في كتاب النبوة متصلاً بالصادق ٧ [22] .

[١] () الصافات : ١٠٠ - ١٠٧ .

[٢] () الهاء للسكت .

[٣] () الخباء - جمعه اخبية - : ما يعمل من وبر أو صوف للسكن .

[٤] () الجبل الذي عليه أنصاب الحرم بعرفات . الوافي : ج: ٢ كتاب الحج : ص ٢٧ .

[٥] () العرفة : موضع عند الموقف بعرفات . نفس المصدر .

[٦] () الازدلاف : التقرب . نفس المصدر .

[٧] () قوله : «أنس ما كان اليه » أي لم يكن يأنس إلى واحد مثل : ما كان يأنس إلى ابنه . نفس المصدر .

[٨] () الصافات : ١٠٢ .

[٩] () خمره خمرأً: ستره . خمر وجهه : غطاء .

[١٠] () القرطان وقرطاط : البردعة . مجمع البحرين : ج:٤ ص٢٦٧ .

[١١] () المدية والمدية : الشفرة الكبيرة . الشفرة : السكين العظيمة .

[١٢] () الإنتحاء: الاعتماد والميل على الشيء. يقال انتحى على سيفه اذا اعتمد عليه . الوافي : ج:٢ كتابالحج : ص٢٧ .

[١٣] () جبل بالمزدلفة . نفس المصدر .

[١٤] () الوصيف : الخادم غلاماً كان أو جارية . نفس المصدر .

[١٥] () الفروع : ج:٤ ص٢٠٧ - ٢٠٨؛ تفسير علي بن إبراهيم القمي : ص٥٥٧ إلى ٥٥٩ .

[١٦] () العرين : الفناء والساحة . الوافي : ج:٢ كتاب الحج : ص٢٧ .

[١٧] () الفروع : ج:٤ ص٢٠٩ .

[١٨] () ملح الرجل وغيره ملحا - من باب تعب -؛ اشتدت زرقتة وهو يضرب إلى البياض فهو أملح والانشمحاء مثل ؛ أحمر وحمراء. مجمع البحرين : ج:٢ ص٤١٥ .

[١٩] () قال ابن الأثير في نهايته : وفيه انه ضحى بكبش يطأ في سواد وينظر في سواد ويبرك في سواد أياسود القوائم والمرابض والمجاز أي الأوساط فان الحجرة مقعد الازار انتهى . وقيل السواد كناية عنالمرعى والنبت فالمعنى حينئذ كان يرعى وينظر ويبرك في خضرة . وقيل كان من عظمه ينظر فيشحمه ويمشي في فيئه ويبرك في ظلّ شحمه . الوافي : ج:٢ كتاب الحج : ص٢٧ .

[٢٠] () الفروع : ج:٤ ص٢٠٩؛ الفقيه : ج:٢ ص١٤٩ .

[٢١] () الصافات : ١١٢ .

[٢٢] () الفقيه : ج:٢ ص١٤٨ . ولا يخفى ان هذه الروايات المسندة مع الهوامش نقلتها من كتاب (الحج فيالكتاب والسنة) إصدار: مركز الحج للدراسات والنشر، الطبعة الأولى : ١٤٠٧ هـ ق ، المطبعة : شركةأوفست (المساهمة).

الخاتمة

في زيارة النبي الأعظم محمد وآله الطاهرين

من آداب المدينة المنورة

(١ - قال رسول الله ٦: «المدينة قبة الاسلام ، ودار الايمان ، وأرض الهجرة ومبوء الحلال والحرام».

(٢ - قال الامام الصادق ٧: «إن مكة حرم إبراهيم وحرم الله، والمدينة حرم رسول الله».

(٣ - في الحديث الشريف عن رسول الله ٦: «اللهم بارك لنا في مدينتنا».

(٤ - قال الامام الصادق ٧: «إذا دخلت المدينة فاغتسل ، قبل أن تدخلها أو حين تدخلها» وهذا يعني الطهارة من الحدث والخبث .

(٥ - كما يستحب الغسل لزيارة رسول الله ٦ وفاطمة الزهراء ٣ وأئمة البقيع .:

(٦ - ولا تشد الرحال إلى المساجد، اذ في كل بلد مسجد يمتاز بالفضل كباقي المساجد، فلا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد وذلك لزيادة فضلها، وهي كما ورد في الخبر الشريف : المسجد الحرام والمسجد النبوي وبيت المقدس في فلسطين المحتلة بيد الصهاينة خذلهم الله تعالى .

(٧ - الصلاة في المسجد الحرام كل ركعة بمائة ألف ركعة ، وفي المسجد النبوي الشريف كل ركعة بعشرة آلاف ركعة .

(٨ - وفي المدينة المنورة مساجد تاريخية كما انها تمتاز بالفضل والزيارة فيقصدتها الزائرون كمسجد قبا.

عن رسول الله: الصلاة في مسجد قبا كعمرة .

إنَّ أوَّلَ مسجدٍ أُسِّسَ على التقوى هو مسجد قبا فهو أحقُّ أن يُقام فيه .

(٩ - قال الامام الصادق ٧: «لا تدع إتيان المشاهد كلَّها: مسجد قبا فإنَّه المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى من أوَّل يوم ، ومشربة أمِّ إبراهيم ، ومسجد الفُضَيْخ ، وقبور الشهداء ومسجد الأحزاب مع المساجد السبعة المعروفة ، والمساجد الأخرى ويصلِّي في كلِّ مسجد ركعتين تحيةً للمسجد، لمن لم يصلِّي فيها الصلاة المفروضة .

(١٠ - في المسجد النبوي الشريف آثار تاريخيةٌ تذكِّر الزائرين بأحداث ووقائع إسلامية ، وقعت في عصر الرسول ٦ .

منها: الروضة الشريفة بين بيت الرسول ومنبره (بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة) ومنبري على ترعة من ترع الجنَّة [1] .

إسطوانات معروفة كإسطوانة التوبة أو أبي لبابة ، واسطوانة المخلِّق ، وحنَّانة والمعروف اليوم باسطوانة عائشة ، وإسطوانات السرير والمخرس والوفود، كما في المسجد (الصفَّة) وبيت فاطمة الزهراء ٣ ومحراب النبي ، ومحراب التهجد، ومنبر النبي ٦ وموضع أذان بلال ، وغير ذلك

من فضل الزيارة وأسرارها

قال الله سبحانه وتعالى : (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) [1] .

إنّ من تمام الحجّ والعمرة زيارة النبي وسيّدة النساء فاطمة الزهراء ٣ والأئمّة في البقيع : ففي حياتهم بحضور مجالسهم ومحافلهم ، وبعد رحلتهم بزيارة قبورهم ، والسلام عليهم ، والدعاء والبكاء عند أضرحتهم المقدّسة ، ليعلن الحاج والحاجة ولائهما لله ولرسوله ولعترته الأطهار .:

(١ - قال رسول الله ٦ : «من حجّ فزار قبري بعد موتي كمن زارني في حياتي» .

(٢ - قال ٦ : «من حجّ ولم يزرني فقد جفاني» .

(٣ - وقال ٦ : «من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إليّ في حياتي ، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إليّ بالسلام فإنّه يبلغني» .

(٤ - وقال ٦ : «من زارني فقد زار الله» .

فإنّه كما لو أطاع رسول الله وباعه ونصره وتولّاه ، فقد أطاع الله وباعه ونصره وتولّاه ، إذ النبوّة خلاصة التوحيد، فكذلك من زاره فقد زار الله، فإنّه في زيارته ٦ يتجلّى الله للزائر والزائرة ، فإنّ حضور النبي ٦ من حضور الله، فمن كان في محضر النبي كان في حضرة الله عزّوجلّ ، إذ ان النبي وكذلك الوصي والولي مرآة لجمال الله وجلاله ، فإنّهم مظهر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وخلفائه في الخلق والطبيعة ، وما وراء الطبيعة من المجرّدات والمثل في عالم الملكوت والجبروت .

(٤ - قال أمير المؤمنين علي ٧ : «أتمّوا برسول الله حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله، فان تركه جفاء، وبذلك أمرتم ، وأتمّوا بالقبور التي ألزمكم الله عزوجل حقّها وزيارتها وأطلبوا الرزق عندها.

انّ المشاهد المشرّفة والأضرحة المقدّسة من الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء، كما يستجاب في الأيام والليالي المباركة كليالي الجمع وأيامها، وليالي القدر وأيام شهر رمضان وما شابه من الأزمنة والأمكنة التي يحب الله أن يدعى فيها.

فاعلم ان لقبور الأنبياء والأوصياء والأولياء والصلحاء حقوقاً قد ألزمتنا الله بها، ولا بدّ من أدائها، والتي منها زيارتها وإعمارها معنوياً بالحضور المتكرّر والمتكثّف ، ومادياً بتشييد بنيانها وتجديد أعمارها وتوسعتها، وما شابه ذلك .

(٥ - عن يحيى بن يسار: حججنا فمررنا بأبي عبدالله الصادق ٧ فقال : حاج بيت الله وزوّار قبر نبيّه وشيعة آل محمّد هنيئاً لكم .

(٦ - عن عامر بن عبدالله قال : قلت لأبي عبدالله ٧: إنّي زدت جمالي دينارين أو ثلاثة على أن يمرّ بي إلى المدينة فقال : قد أحسنت ما أيسر هذا تأتي قبر رسول الله وتسلمّ عليه ، أما أنه يسمعك من قريب ، ويبلغه عنك من بعيد.

(٧ - عن رسول الله ٦: من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة ، وكتبت له حجّتان مبرورتان مع رسول الله ٦، وكان في جواره ودرجته في الجنّة يوم القيامة ، ويخلصه من الذنوب ، وكذلك من زار أمير المؤمنين علي وفاطمة الزهراء وأولادهم الأئمّة الأطهار :.

(٨ - عن الامام الباقر ٧: إنّما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثمّ يأتونا ويخبرونا بولايتهم ، ويعرضوا علينا نصرهم[2] .

(٩ - وعنه ٧: تمام الحجّ لقاء الإمام .

(١٠) - لما سئل الباقر ٧ بما نبدء بمكة أو المدينة ؟ قال : إبدء بمكة وإختم بالمدينة فإنه أفضل .

ولا يخفى انّ لمن يزور المدينة أوّلاً يصيبه فضل الاحرام من ميقات الشجرة والتي أحرم فيها رسول الله ٦ .

(١١) - قال الامام الباقر ٧: ابدؤوا بمكة وإختموا بنا.

(١٢) - إنّ الرسول الأعظم هو الحقيقة المحمّديّة الكبرى ، وانه الانسان الكامل ، ومن ثمّ أمير المؤمنين علي ٧ وفاطمة الزهراء ٣ والأئمّة الاثنى عشر: فانهم مظهر اسم الله الأعظم ، ولما كان سبحانه لا يدركه بُعد الهمم . ولا يناله غوص الفطن ، كذلك مظاهر أسمائه الحسنى وصفاته العليا ومظاهر إسمه

الأعظم، ففي كلّ زمان المظهر بتدبير الله في ولايته التكوينيّة في الخلق هو الانسان الكامل ، وبهذا يكون مظهر (ليس كمثل شئ) يجمع شؤون الجمال والجلال والكمال ، فلا يقاس بأهل البيت : أحد، عند قياس الخلق بهم ، كما لا يقاس بالله أحد، حتّى الرسول وأهل بيته عند مقايسة الخلق كلّهم بالله سبحانه ، فتدبّر.

(١٣) - إنّ من أهمّ [وظائف](#) المسلم والمسلمة معرفة الأئمّة الأطهار:، فإنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة ، ميتة الكفر والضلال والنفاق ، فاعرف أيّها الزائر، الزائرة إمام زمانكما، فإنّ من تمام الحجّ لقاء الامام ، ومعرفته وإطاعته وولايته ومحبّته بالقلب وإحياء آثارهم وعلومهم بالعلم النافع والعمل الصالح بالجسد والروح ، بالقلب والقالب ، وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق ، وأعلام الدين ، والسنة الصادقة ، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ، وردوهم وروود الهيم العطاش) [3]

وفي زيارة الجامعة الكبرى عن مولانا الامام الهادي ٧: «أشرفت الأرض بنوركم ، وفاز الفائزون بولايتكم ، وبكم يسلك إلى الرضوان ، وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن».

قال أمير المؤمنين ٧: «لا يقاس بأل محمّد من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين وعماد اليقين ، اليهم يفىء الغالي ، وبهم يلحق التالي ، ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصيّة والوراثة» [4].

(١٤ - ان أهل البيت والأئمّة الأطهار : بلحاظ الزمان كليلة القدر، وبلحاظ المكان كالكعبة، في إنفرادهما في المقامات والمنازل فلا يقاس بهم أحد.

(١٥ - إن الإرتباط الروحي والعاطفي والسلوكي والعقلي معهم ليضمن السعادة الأبدية ، كما يكون من حفظ العهد مع الأئمّة : والذي منه زيارة الأئمّة الأطهار .:

قال الامام الرضا ٧: «إنّ لكلّ امام عهداً في عنق أوليائه وشيعته ، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه ، كان أنمّتهم شفعاءهم يوم القيامة» [5].

(١٦ - إنّ الزيارة تعني حضور الزائر المحب والموالي عند المزور، وهل الدين إلاّ الحبّ ، وإنّ حبّ محبوب الله من حبّ الله، فالزيارة من أجمل وأروع مظاهر الحبّ الالهي للنبي وآله :، ثمّ من أبرز لوازم الحبّ الحقيقي الطاعة والتسليم المحض والخالص (إن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) [6].

وإنّ من أنفع الأشياء بعد الاسلام والايمان بالله سبحانه ، هو حبّ النبي وآله :، فإنّ المرء مع من أحبّ [7].

قال الله سبحانه : (من يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) [8] .

(١٧ - إن من أدب الزيارة والحضور الإستئذان عند الدخول (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) [9] (إذا دعيتهم فادخلوا) [10] .

وعلى الزوار أن لا يؤذوا نبيهم وأهل بيته : بارتكاب المعاصي والموبقات (ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي) [11] فإذا كان الاستئناس بالحديث يؤذيه ، فكيف لا تؤذيه المعاصي والذنوب؟! وإن من يؤذي الله والرسول ، فعليه لعنة الله والرسول والملائكة ، واللعن طرد من رحمة الله ومن رحمة رسوله والعياذ بالله فتأتي النبي والعترة الطاهرة للتوبة والاستغفار.

(١٨ - ومن الأدب الاسلامي في حضور النبي وآله ، أن لا ترفع الأصوات (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) [12] .

فإنه يوجب حبط الأعمال (إن الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) [13] .

(ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) [14] .

(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) [15] .

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ) [16] .

فتعظيم النبي وأهل بيته : ومن يحذو حذوهم وتوقيرهم وتكريمهم ، إنما هو من شعائر الله (ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) [17] .

(١٩ - قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) [18] .

لا يخفى انه يستدل بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) إنّ المؤمن ليؤذن له في الدخول والضيافة النبوية المباركة ، كما انه يكون في البداية بدعوة ، ثم بالإذن (إذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا) [19] .

وبهذه الدعوة والضيافة يجلس الزائر والزائرة على المائدة النبوية التي فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، وما لم يخطر على قلب بشر ، فيرتوي من عذب ماءه ، ويتناول من طعام علومه ومعارفه ، كما ورد في قوله تعالى : (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) [20] قال الامام الباقر ٧: أي إلى علمه ممّن يأخذه .

فالطعام الإلهي والنبوي والولوي ، إنّما يعني العلوم والمعارف والحقائق وأسرار الطبيعة وما ورائها.

ومن شرائط آداب الضيافة لمن أراد أن يستطعم من أطعمة النبي وآله : أن لا يستأنس بحديث غيرهم (وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ) [21] .

فيا ترى : هل من يستأنس بأسواق المدينة وبضاعتها الأجنبية ، ويتلَهّف من حانوت إلى حانوت ، ويستطيب بالتلّهيات والفنادق وأكلاتها المتنوّعة يشعر بلذّة مناجاة نبيّه ويستأنس بزيارة قبره ؟!! هيهات ! هيهات !...

(أكف جُشاءك فإنّ أكثر الناس في الدنيا شعباً أكثرهم جوعاً يوم القيامة).

(٢٠ - من ثقافتنا ومعتقداتنا في مدرسة أهل البيت أئمّة الدين : إنّ الرسول الأعظم ٦ وفاطمة الزهراء والأئمّة الاثني عشر : أحياء عند ربّهم يرزقون ، وأنهم شهداء الخلق يرون ويسمعون باذن الله سبحانه ، كما نقرأ في إذن الدخول :

«وَأَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَكَ وَخُلَفَاكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَحْيَاءٌ عِنْدَكَ يُرْزَقُونَ، يَرَوْنَ مَقَامِي ii وَيَسْمَعُونَ كَلَامِي ii، وَيَرُدُّونَ سَلَامِي ii» [22].

(٢١ - ان من أسرار الزيارة رفع الدرجات يوم القيامة وإحاطة صلاة الله وملائكته ليعيش الانسان في أنوار الله (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) [23].

فمن نتائج الزيارة إشعاع النور في الحياة ، والتخلّص من شوائب الطبيعة وظلماتها للوصول إلى نور الله والقرب منه قاب قوسين أو أدنى ، كما أنّ الله قريب من عبده ، أقرب إليه من حبل الوريد.

(٢٢ - إنّ الزائر والزائرة ليستلذان بأسماء رسول الله وأهل بيته الأطهار: (فما أحلى أسمائكم) وإنّه ليشعر بذلك في جوانحه وقلبه ببرد الولاية وسكينة التقوى ينتزل به الروح الأمين على قلبك ، فتذرف دموع الحب والشوق والندم على الذنوب والغفلات ، وينجو من قساوة القلب وجمود العين .

(٢٣ - إنَّ الزيارة المقبولة والصادقة لتزيد في معرفة الزائرين ، كما إنَّ المعرفة تزيد من الفضل وعلوِّ الدرجات ، فهناك تفاعل بينهما كالتفاعل بين الايمان الراسخ والعمل الصالح ، فيزداد من فضل الله ومن فضل رسوله وعترته الطاهرين : (أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) [24] .

إنَّ الله سبحانه (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ) [25] (وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى) [26]

ورسول الله والعتره الطاهرة الانسان الكامل العيني الذي كان مظهراً لفعل الغناء الإلهي (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً) [27] .

فينبغي للزائرين رجالاً ونساءً أن يبذلوا ما في وسعهم في رعاية آداب الضيافة في المدينة المنورة ، والإنتفاع منها بروية محيياً الرسول الأكرم والعتره الطاهرة .:

(٢٤ - إنَّ لكلِّ واحد من رسول الله وفاطمة الزهراء والأئمة الأطهار الإمام الحسن المجتبي وزين العابدين علي بن الحسين والإمام الباقر محمد بن علي والإمام الصادق جعفر بن محمد : زيارات متعدّدة كما في كتب الأدعية والزيارات ، وإن من أخفّ زيارات الرسول الأعظم ٦ ما ورد عن الامام الصادق ٧ : «أَسْئَلُ اللَّهَ الَّذِي اجْتَبَاكَ وَاخْتَارَكَ وَهَدَاكَ وَهَدَى بِكَ، أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْكَ صَلَاةً كَثِيرَةً طَيِّبَةً» .

(٢٥ - ورد في فضل زيارة فاطمة الزهراء ٣ : من زارها فله الجنّة - واللام (فله) للاستحقاق أو التفضل أو الاقتضاء، ويُسلّم عليها في مواضع ثلاثة : عند بيتها وعند قبر النبي ٦ في الروضة المقدّسة ، وفي جنّة البقيع ، وإنّما أوصت بخفاء قبرها لتعلن عن مظلوميتها عبر التاريخ ، وإلى أن يظهر المنتقم الحقيقي صاحب الزمان لينتقم من ظالمها لعنة الله عليهم .

(٢٦ - لقد ورد في فضل زيارة أئمة البقيع بل مطلق زيارة ذرية الرسول ٦ عن رسول الله ٦: من زارني أو زار أحداً من ذريتي زرتة يوم القيامة ، فأنقذته من أهوالها.

(٢٧ - عن زيد الشحام قال : قلت لأبي عبدالله ٧: ما لمن زار احداً منكم ؟ قال : كمن زار رسول الله ٦.

وقد ورد كما مرّ إنّ من زار رسول الله فقد زار الله، فمن زار واحداً من الأئمة الأطهار : كأنما زار الله في عرشه ، كيف ومن يتفياً بأصل الشجرة يتفياً بأغصانها أيضاً.

(٢٨ - قال الامام الصادق ٧: من زارني عُفرت له ذنوبه ولم يمت فقيراً.

(٢٩ - ومن المستحب المؤكّد أيضاً زيارة سيّدنا حمزة سيّد الشهداء وشهداء أحد تذكر بطولاتهم وتضحياتهم وفدائهم ودفاعهم للدين والعقيدة في سبيل الله. وكانت مولاتنا فاطمة الزهراء ٣ تزور قبر عمّها حمزة في كلّ اسبوع مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس .

وفي خبر: تأتي قبور الشهداء كلّ غداة سبت فتأتي قبر حمزة فتترحم عليه وتستغفر له [28].

(٣٠ - كما يستحب زيارة الأصحاب الأبرار والصحابيات المؤمنات كبنات النبي وزوجاته الصالحات وعمّاته عاتكة وصفية ، وكأمّ البنين وحليمة السعدية ، كما تزور عقيل بن أبي طالب وإبراهيم ابن النبي ٦ وإسماعيل ابن الامام الصادق ٧ وشهداء أحد والحرّة في البقيع ، وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات .

ثم اعلم ان زيارة القبور من الأمر الراجح والجائز شرعاً عند كل المذاهب الإسلامية ، فلا ينكره إلا المكابر، ومن في قلبه مرض ، فزادهم هم الله مرضاً.

فان شر ذمة قليلة من اتباع المنهج الأموي والإسلام الدخيل يكفر من يزور القبور أو يشد الرحال اليها حتى قبر رسول الله محمد ٦، ممن انبرى لردعهم وبيان ضلالتهم علماء الإسلام بتسليط الضوء على مفهوم الزيارة أكثر من ذي قبل ، وإثبات صحة ذلك ورجحانه شرعاً، وانه من القربات والطاعات ، وأن قبور الأنبياء والأوصياء والصلحاء ذكوراً وإناثاً من مصاديق دارالعلم ، ومواضع نزول الرحمة الإلهية ، وباب الله المؤتى .

ولمزيد الفائدة والبصيرة أشير إلى ما قاله المحقق النراقي ١ في كتابه القيم[29]

في زيارة المشاهد لبيان بعض عوائدها وفوائدها وآثارها في الدنيا والآخرة ، فقال :
(إعلم أن النفوس القويّة القدسية ، لا سيما نفوس الأنبياء والأئمّة الأطهار : إذا انقضوا أبدانهم الشريفة ، وتجرّدوا عنها، وصعدوا إلى عالم التجرّد، وكانوا في غاية الإحاطة والاستيلاء على هذا العالم ، فأمر هذا العالم عندهم ظاهرة منكشفة ، ولهم القوة والتمكن على التأثير والتصرّف في مواد هذا العالم - من باب الولاية التكوينية بإذن الله كالمعاجز والكرامات - فكلّ من يحضر مقابرهم لزيارتهم يطلّعون عليه ، ولا سيما ومقابرهم مشاهد أرواحهم المقدّسة العليّة ، ومحال حضور أشباحهم البرزخيّة النورية ، فإنهم هناك يشهدون (بل أحياء عند ربهم يرزقون) وبما آتاهم الله من فضله فرحون ، فهم تمام العلم والإطلاق بزائري قبورهم ، وحاضري مراقدهم ، وما يصدر عنهم من السؤال والتوسل والاستشفاع والتضرع ، فتهدّب عليهم نسمات أطافهم ، وتفيض عليهم من رشحات أنوارهم ، ويشفعون إلى الله في قضاء حوائجهم ، وإنجاح مقاصدهم ، وغفران ذنوبهم ، وكشف كربهم ، فهذا هو السرّ في تأكد استحباب زيارة النبي ٦ والأئمّة الأطهار .:

مع ما فيه من صلتهم ، وبرّهم ، وإجابتهم ، وإدخال السرور عليهم ، وتجدد عهد ولايتهم - إشارة إلى حديث الإمام الرضا ٧ بانه من عهد الإمام على رعيته زيارته في حياته وبعد مماته وإحياء أمرهم - إشارة إلى الحديث المعتبر: «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيأ أمرنا» وإعلاء كلمتهم ، وتنكبت أعدائهم - فان زيارة قبورهم تكون كالشوكة في عيون أعدائهم من المنافقين والمنافقات - وكل واحد من هذه الأمور ممّا

لا يخفى عظيم أجره ، وجزيل ثوابه - فهذا يعني أنّ إضافة على ثواب الزيارة فإنّه يثاب على هذه النوايا الصالحة أيضاً - وكيف لا تكون زيارتهم - حينئذٍ - أقرب القربات وأشرف الطاعات .

مع أنّ زيارة المؤمن من جهة كونه مؤمناً فحسب عظيم الأجر ، جزيل الثواب ، وقد ورد به الحث الأكيد ، والترغيب الشديد من الشريعة الطاهرة ، وإذا كان الحال في المؤمن من حيث أنه مؤمن ، فما ظنك ممّن عصمه الله من الخطأ وطهره من الرّجس ، وبعثه إلى الخلائق أجمعين ، وجعله حجّة على العالمين ، وارتضاه إماماً للمؤمنين ، وقدوة للمسلمين ، ولأجله خلق السماوات والأرضين ، وجعله صراطه وسبيله وعينه ودليله وبابه الذي يؤتي منه ، ونوره الذي يستضاء به ، وأمينه على بلاده ، وجعله المتصل بينه وبين عباده من رسل وانبياء وأئمّة وأولياء» انتهى كلامه رفع الله مقامه .

أقول : كل ما ذكره من الأوصاف إنّما يدعمه الأدلة المعتبرة من العقل والكتاب والسنة ، كما هو ثابت في محلّه ، وإنّما يزداد الزائر والزائرة ثواباً ومقاماً بزيادة معرفتهم بالمزور وفمن زار رسول الله أو أحد الأئمّة الأطهار : عارفاً بحقه ، بأنّه إمام مفترضى الطاعة وجبت له الجنّة ، على نحو الإقتضائية ، ولو لا وجود الموانع من الذنوب والمعاصي ، فالمعرفة جوهرية الزيارة فتدبّر. والله المستعان .

[١] () البقرة : ١٩٦ .

[٢] () الكافي : : ٤٤٩٥ .

[٣] () نهج البلاغة خطبة : ١٨٧ .

[٤] () النهج خطبة ٢ .

[٥] () الكافي : : ٥٦٧٤ .

[٦] () آل عمران : ٣١ .

- [٧] () البحار: ١٣١٧.
- [٨] () النساء: ٦٩.
- [٩] (- ٢ - ٣) الأحزاب : ٥٣.
- [١٠]
- [١١]
- [١٢] () الحجرات : ٢.
- [١٣] () الحجرات : ٣.
- [١٤] () الحجرات : ٢.
- [١٥] () الحجرات : ٤.
- [١٦] () الفتح : ٨ - ٩.
- [١٧] () الحجّ : ٣٢.
- [١٨] () الأحزاب : ٥٣.
- [١٩] () الأحزاب : ٥٣.
- [٢٠] () عبس : ٢٤.
- [٢١] () الأحزاب : ٥٣.
- [٢٢] () مفاتيح الجنان .
- [٢٣] () الأحزاب : ٤٢.
- [٢٤] () التوبة : ٧٤.
- [٢٥] () الشعراء: ٧٩.
- [٢٦] () النجم : ٤٨.
- [٢٧] () النساء: ٦٤.
- [٢٨] () الفقيه : : ١١٤ ١.
- [٢٩] () جامع السعادات : ٣٩٨/٣.

علاقة الرسول ٦ والأمة

العلاقة يعني إرتباط وثيق بين الاثنين ، يتولّد منها لمودّة والطاعة والرحمة فيما إذا كانت علاقة إلهيّة خالصة ، وإن العلاقة بين رسول الله محمّد ٦ وبين أمّته المرحومة الوسطى ، إنّما هي علاقة الصلاة والسلام .

بيان ذلك :

لقد أمر الله سبحانه نبيّه عند أخذ صدقات الناس والزكاة الواجبة ، بل والمستحبّة منهم ، أن يدعو لهم ويصلي عليهم فقال تعالى : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) [1] .

كما أمر المؤمنين أن يصلّوا على نبيّهم ٧ وبدء بنفسه بالصلاة عليه في قوله تعال : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [2] [3] .

ثمّ أمر سبحانه وتعالى أيضاً نبيّه الأكرم ٦ بالسلام على الوافدين عليه فقال عزّوجلّ : (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) [4] .

وكان النبي ٦ سباقاً بالسلام فلم يسبقه أحد، بل كان يبتدء بالسلام على الناس في حياته ، وكذلك الأمر بعد رحلته مع زوّاره والمسلمين عليه ، وهذه بشرى سارة للوافدين والزائرين لقبر رسول الله ٦ فإنّهم قبل أن يسلموا على نبيّهم يسبقهم بالسلام ، وسلام النبي لا ريب أنّ فيه السلامة من كلّ شين وسقم في الأبدان والأرواح ،

والعمدة أن يكونوا من المؤمنين (وإذا جاءك الذين يؤمنون) لا من المنافقين
والمخالفين الذين يؤذون نبيهم بالانحراف عن نهجه وهديه وسننه ، ويكتفوا بقشور
الاسلام ، ويدعون اللب واللباب .

فأمر الله المؤمنين بالسلام على نبيهم أيضاً فقال : (وسلموا عليه تسليماً).

[١] () التوبة : ١٠٣ .

[٢] () الأحزاب : ٥٦ .

[٣] () لقد تحدّث بالتفصيل عن الصلوات وأثارها في الدنيا والآخرة راجع موسوعتنا (الرسالاتالاسلامية)
المجلد السابع .

[٤] () الأنعام : ٥٤ .

من آثار وعوائد الزيارة في الدنيا والآخرة

وإنّ في زيارته والسلام والصلاة عليه آثار عظيمة وعوائد جسيمة وفوائد لا تعدّ ولا تحصى في الدنيا والآخرة من أبرز آثار زيارته وزيارة إبنته فاطمة الزهراء ٣ وزيارة أبنائه الأئمة الأطهار في البقيع ، وكذلك زيارة الأبرار والأخيار من صحابته الكرام .

(١ - الإيمان الراسخ بالله ورسوله واليوم الآخر وبما جاء به النبي ٦ .

(٢ - إظهار المودة التي هي أجر الرّسالة المحمّديّة (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) [1] .

(٣ - التكريم والتعظيم لمقامهم الشامخ ومنازلهم الرفيعة .

(٤ - الشكر على تحمّلهم الرسالة السماويّة السمحاء، وإبلاغها للناس من أجل سعادة البشر وهدايتهم .

(٥ - التخلّق والتحلّي بأخلاقهم الطيّبة (إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [2] (لَقَدْ

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [3] .

(٦ - الاستمداد الروحي والفكري والسلوكي والعقيدتي من أرواحهم الطاهرة وجاههم عند الله، فإنّهم وسائط الفيض بين الخالق والخلق ، وأنهم من أتمّ مصاديق الوسيلة (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) [4] .

(٧ - طلب الشفاعة منهم في الدنيا والآخرة (كنت شفيعه يوم القيامة) .

(٨ - طلب التوبة والإستغفار والرجوع إلى الله عند أضرحتهم المقدسة لشرافة المكان بالمكين .

(٩ - طلب الأجر والثواب والخلص من الآثام والقبائح بزيارتهم وقصد حرمهم المقدسة .

(١٠ - زيارتهم من مصاديق التولي والتبري للذين من فروع الدين .

(١١ - نيل المواهب الالهية والعطايا الربانية في الدنيا والآخرة تفضلاً من الله بما لا يخطر على قلب بشر .

(١٢ - أداءً لحقوقهم التي لا يمكن لأحد أن يفى بتمامها إلا بلطف من الله سبحانه .
وهذا غيظ من فيض ، وقطرات من بحار أنوار الزيارة .

في سفينة البحار: عن فرحة الغري في حديث النبي ٦ قال لعلي ٧: يا أبا الحسن إن الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من ابقاع الجنة ، وعروسة من عرصاتهما، وإن الله جعل قلوب بحباء من خلقه ، وصفوة من عباده تحن اليكم ، وتحتمل المذلة والأذى فيكم ، فيعمرون قبوركم ، وينكرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله، ومودةً منهم لرسوله ، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي ، وهم زوّاري وجيراني غداً في الجنة . يا علي من عمّر قبورهم وتعاهدها فكانها أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس ، «ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجّة بعد حجّة الاسلام وخرج من ذنوبه حتّى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمّه فابشر وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر. ولكن حثالة من الناس يعيرون زوّار قبوركم ، كما تعيّر الزانية بزناها، أولئك شرار أمّتي لا أنالهم الله شفاعتي ، ولا يردون حوضي» [5] .

أقول : يا جدّاه يا رسول الله صلّى عليك الملك بما أحاط به علمه ، وأحصاه كتابه ،
إن الحُثالة والأشرار من أمتك لم يعيّرُوا زوّار قبوركم وحسب ، بل قالوا بتكفيرهم
وأباحوا إراقة دمائهم ، بتفجيراتهم وأحزمتهم الناسفة ، وهدموا قبور أبناءك
الطّاهرين . فقتلوا الابرياء من الرّجال والنساء والاطفال حتّى الرّضع منهم ، فبأي
ذنب قتلت !!؟ وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أي منقلبٍ ينقلبون ، ألا لعنة الله على
القوم الظالمين .

اللّهم وّقّ جميع المسلمين لما فيه وحدة صفوفهم أمام أعداء الدّين ، اللّهم أنصر
الإسلام وأهله ، وأخذل الكفر والنّفاق وأهله . اللّهم أنصر حماة الدين وجيوش
المسلمين واحفظ بلاد الإسلام من كيد المعتدين والطّغاة والظالمين ، آمين يا رب
العالمين ، وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف
الخلائق أجمعين ، محمّد وآله الطاهرين .

[١] () شورى : ٢٣ .

[٢] () القلم : ٤ .

[٣] () الأحزاب : ٢١ .

[٤] () المائدة : ٣٥ .

[٥] () مستدرک الوسائل ، کتاب الحجّ الباب العاشر من أبواب المزار .

